

فَقِيلَ لَهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ
الدَّارُ الْعَالَمِيَّةُ
لِلنَّشْرِ التَّوَزُّعِ

فَقِيرَةُ الزَّهْلِكِ

الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٢٠١١/٠٠٠٠٠٠٠٠

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-5025-00-00

الدَّارُ الْعَالَمِيَّةُ لِلنَّشْرِ التَّوَزُّعِ



ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحى-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ /+ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ /+٢٠٣ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ /+٢٠٣

E.mail: alamia_misr@hotmail.com

فَقِيرٌ إِلَى اللَّهِ

تَأْلِيفُ

لَا بِي جَبْرِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ الْعَفِيِّ

تَقْدِيمُ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
مُحَمَّدُ حَسَنَانُ



الْذَّائِرُ الْعَالَمِيَّةُ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ



تَقَالِيدُ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ
مُحَمَّدٍ حَسَّانَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَعْدُ..

فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾

[الْحَزَنِيْدُ: ٢٠].

وَلَا رَيْبَ أَنَّنا نَعِيشُ عَصْرًا طَغَتْ فِيهِ الْمَادِّيَّاتُ، وَالشَّهَوَاتُ، وَقَسَتْ فِيهِ الْقُلُوبُ،
وَتَرَاكَمَتِ الذُّنُوبُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَقَلَّ الْخَوْفُ مِنْ عَلامِ الْغُيُوبِ!!

وَمَا أَحْوجَنَا فِي هَذَا الْعَصْرِ إِلَى مَنْ يُجَدِّدُ إِيمانَنَا بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَيُبَصِّرُنَا بِحَقِيقَةِ
الدُّنْيَا، وَيُذَكِّرُنَا بِالْآخِرَةِ ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الْاَعْلَى: ١٧].

وَبَيْنَ أَيْدِينَا كِتَابُ «فِقْهِ الزُّهْدِ» لِوَالِدِي الْحَبِيبِ الْمُوفِّقِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَفِيفِي؛
زَادَهُ اللَّهُ تَوْفِيقًا وَرِشَادًا.

كِتَابٌ يَأْخُذُ بِأَزَمَّةِ قُلُوبِنَا إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَيَهْزُ الْقُلُوبَ الْغَافِلَةَ لِتَفِيءَ مِنْ جَدِيدٍ
إِلَى الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، وَيُذَكِّرُنَا بِقَضِيَّةٍ قَدْ تَبَدُّوا غَرِيبَةً عَلَى أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ
اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا؛ إِنَّهَا: قَضِيَّةُ الزُّهْدِ، وَحَقِيقَةُ الزُّهْدِ: الْانْصِرَافُ عَنِ الشَّيْءِ؛ احْتِقَارًا لَهُ،
وَتَصْغِيرًا لِشَأْنِهِ، لِلْاِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِخَيْرٍ مِنْهُ.

وَيُعَرِّفُهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ ^(١): «الزُّهْدُ: تَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ، وَالْوَرَعُ: تَرْكُ مَا تَخَافُ ضَرَرَهُ فِي الْآخِرَةِ».

وَيَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا: قِصْرُ الْأَمَلِ، وَلَيْسَ بِأَكْلِ الْغَلِيظِ، وَلَا لُبْسِ الْعَبَاءِ» ^(٢).

وَيُعَرِّفُهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ تَغْرِيفًا جَامِعًا رَائِعًا؛ فَيَقُولُ:
«الزُّهْدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

الْأَوَّلُ - تَرْكُ الْحَرَامِ وَهُوَ زُهْدُ الْعَوَامِّ.

الثَّانِي - تَرْكُ الْفُضُولِ وَهُوَ زُهْدُ الْخَوَاصِّ.

الثَّالِثُ - تَرْكُ مَا يَشْغِلُ عَنِ اللَّهِ وَهُوَ زُهْدُ الْعَارِفِينَ» ^(٣).

فَكَمْ مِنَ النَّاسِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَقِّقَ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ - فَحَسِبَ!! - وَيَتْرَكَ الْحَرَامَ مِنَ الْأَقْوَالِ، وَالْأَفْعَالِ، وَالْأَحْوَالِ!!؟

الْأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى مُجَاهَدَةٍ كَبِيرَةٍ ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ٦٩]، فَتَعَالَوْا بِنَا جَمِيعًا لِهَذِهِ الْوَاحَةِ الْوَارِفَةِ الظَّلَالِ، وَالْبُسْتَانِ الْيَانِعِ الثَّمَارِ؛ لِنَتَعَرَّفَ عَلَى حَقِيقَةِ الزُّهْدِ

(١) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (١٠/٢١، ٥١١)

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرم والتعديل» (١/١٠١)، ووكيع في «الزهد» [٤]، وأبو نعيم في

«الحلية» (٦/٣٨٦)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» [٣٢] بإسناد صحيح عنه، والعباء: ضرب

من الأكسية؛ كما في «النهاية» لابن كثير.

(٣) كما في «المدارج» لابن القيم (٢/١٢).

وَشَرَفِهِ، وَفَضْلِهِ، وَالْعَيْشِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَالْوُقُوفِ
عَلَى بَعْضِ الْأَسْبَابِ الْمُعِينَةِ لِتَحْقِيقِ الزُّهْدِ لِحَنِي ثَمَرَاتِهِ الطَّيِّبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
أَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَنَا، وَأَنْ يُزَكِّي نَفُوسَنَا، وَأَنْ يُبَصِّرَنَا بِالْحَقِّ، وَأَنْ
يَرْزُقَنَا جَمِيعًا حُسْنَ الْحَاقِمَةِ، وَالْأَيُّعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ
وَمَوْلَاهُ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

كَتَبَهُ

مُحَمَّدُ حَسَنًا

ربيع الأول ١٤٣٢ هـ.

تَقْلِيدِي

فَضِيْلَةُ الشَّيْخِ

صَهْبَانِي الدَّرَوِي

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

وَبَعْدُ...

فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (١).

فَعَلَامَةٌ خَيْرٍ بَعْدَ اللَّهِ وَبِأَمَةِ اللَّهِ أَنْ يُوفَّقَ وَأَنْ تُوفَّقَ لِلْفَقْهِ فِي الدِّينِ؛ فَالْفَقِيْهُ يَعْمَلُ قَلِيلًا وَيُؤْجِرُ كَثِيرًا.. الْفَقِيْهُ يُنْزِلُ الْأُمُورَ مَنَازِلَهَا اللَّاتِقَةَ بِهَا.. الْفَقِيْهُ يَعْمَلُ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُجْتَمِعَةً قَدْرَ اسْتَطَاعَتِهِ، وَكَذَا فَإِنَّهُ يُعْمَلُهَا جَمِيعًا، فَلَا يَبْنِي حُكْمًا عَلَى حَدِيثٍ وَاحِدٍ وَيَتْرُكُ سَائِرَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي الْبَابِ؛ بَلْ يَجْمَعُ بَيْنَهَا قَدْرَ جَهْدِهِ وَاسْتَطَاعَتِهِ، فَيَدْفَعُ التَّعَارُضَ الَّذِي قَدْ يَظْهَرُ لِشَخْصٍ بَيْنَ حَدِيثَيْنِ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ النُّصُوصِ. فَمَثَلًا قَوْلُ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]؛ فَمِنْ مَعَانِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: اْعْمَلُوا بِالنُّصُوصِ - جَمِيعَهَا - قَدْرَ اسْتَطَاعَتِكُمْ.

فَهَذَا الَّذِي ذُكِرَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ الْفَقِيْهِ الْخَيْرِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» [٧١]، ومسلم [١٠٣٧] عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هَذَا.. وَكَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَهَا فِقْهٌ، وَالزَّكَاةَ لَهَا فِقْهٌ، وَالْحَجَّ لَهُ فِقْهٌ، وَالصَّيَامَ لَهُ فِقْهٌ، فَكَذَا
الْأَخْلَاقُ لَهَا فِقْهٌ تَلَزَمَ مَعْرِفَتُهُ، وَيَلَزَمُ الْوُقُوفُ عَلَيْهِ، فَقَدْ يَتَقَلَّدُ شَخْصٌ خُلُقًا يَرَى نَفْسَهُ
فِيهِ مُوَفَّقًا وَهُوَ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ بَعِيدٌ كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ وُجُوهِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، شَاذٌّ وَمُخَالَفٌ
لِلْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَضْلًا عَنِ النُّصُوصِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَدْ يَشْتَدُّ الشَّخْصُ فِي مَوْقِفٍ يَحْتَاجُ إِلَى اللَّيْنِ فَيُخْطِئُ بِشِدَّتِهِ وَيَتَهَوَّرُ، وَقَدْ يَلِينُ
فِي وَقْتٍ يَحْتَاجُ إِلَى شِدَّةٍ فَيَقْعُ بِذَلِكَ فِي الضَّعْفِ وَالْخَوَرِ. وَقَدْ يَزْهَدُ الشَّخْصُ فِي شَيْءٍ فِي
وَقْتٍ يَحْتَاجُ إِلَى حِرْصٍ، وَقَدْ يَحْرِصُ عَلَى شَيْءٍ وَالْأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى زُهْدٍ؛ فَالْفَقِيهُ مَنْ يُنْزِلُ
النُّصُوصَ مَنَازِلَهَا وَالْوَقَائِعَ مَوَاقِعَهَا.

هَذَا.. وَلَمَّا كَانَ رَسُولُنَا الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ الزَّاهِدِينَ لَرِمْنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَى
طَرِيقَتِهِ فِي هَذَا الْبَابِ - بَابِ الزُّهْدِ - فَتَنْظُرُ كَيْفَ كَانَ يَسِيرُ فِي حَيَاتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ نَسِيرُ عَلَى
دَرْبِهِ وَنَقْتَفِي أَثَرَهُ إِذْ هُوَ خَيْرُ الزَّاهِدِينَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ.

أَمَّا وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُفِيدُ الْحَثَّ عَلَى التَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا، وَوَرَدَ عَنْهُ كَذَلِكَ
الِاسْتِمْتَاعُ بِالْمُبَاحِ مَا دَامَ حَلَالًا، فَلَزِمْنَا أَنْ نُؤَفِّقَ بَيْنَ الْوَارِدِ عَنْهُ - صَلَوَاتُ رَبِّي عَلَيْهِ
وَسَلَامُهُ -؛ فَضْلًا عَنِ التَّوْفِيقِ بَيْنَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّتِي قَدْ يَبْدُو مِنْ ظَوَاهِرِهَا لِقَلِيلِ
الْعِلْمِ أَنَّهَا مُتَعَارِضَةٌ، فَهَذَا مَبْحَثٌ جَلِيلٌ، وَبِالدَّرَاسَةِ وَالتَّأَمُّلِ جَدِيرٌ.

هَذَا.. وَقَدْ قَامَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَفِيفِيِّ بْنِ عَبْدِ الْمُقْصُودِ آلِ عَفِيفِي - حَفَظَهُ اللَّهُ -
بِجَمْعِ كَثِيرٍ مِنَ الْوَارِدِ فِي أَبْوَابِ الزُّهْدِ مِنْ آيَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَأَحَادِيثَ مِنْ
أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَدَلَ جَهْدًا فِي الْجُمْعِ بَيْنَ مَا قَدْ يَبْدُو مُتَعَارِضًا، فَضْلًا
عَنْ تَنَازُلِهِ بَعْضُ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ بِشَرْحٍ مُخْتَصَرٍ وَنَافِعٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَذَلِكَ - كَمَا
أَسْلَفْتُ - فِي أَبْوَابِ الزُّهْدِ، وَهَذَا كِتَابُهُ مَحَلٌّ لِدَلِّكَ.

وَأَخِي مُحَمَّدٌ حَفَظَ اللَّهُ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الْمُجِدِّينَ، وَلَا أَرْكَبُهُ عَلَى اللَّهِ، وَقَدْ حَرَصَ عَلَى سَلَامَةِ الْمَادَّةِ الْحَدِيثِيَّةِ الَّتِي أوردَهَا، وَاعْتَنَى بِتَخْرِيجِ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ وَكَذَا الْأَثَارِ عَنِ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ قَدَّرَ جَهْدَهُ وَاسْتَطَاعَتَهُ، وَحَكَمَ عَلَى الْأَحَادِيثِ بِمَا تَسْتَحِقُّهُ صِحَّةً أَوْ ضَعْفًا؛ فَكَانَ مُسَدِّدًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. وَأوردَ كَذَلِكَ حَفَظَ اللَّهُ أَقْوَالَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي كِتَابِهِ هَذَا؛ فَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا عَلَى إِفَادَاتِهِ الَّتِي أَفَادَ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ لَهُ مَزِيدًا مِنَ التَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ.

هَذَا.. وَقَدْ نَظَرْتُ فِي كِتَابِ أَخِي مُحَمَّدٍ؛ ذَلِكُمُ الْكِتَابُ الْمَوْسُومُ بِـ «فَقِيمَةِ الزُّهْدِ» فَالْفَيْتُهُ - وَاللهُ الْحَمْدُ - نَافِعًا.

❖ وَأُشِيرُ إِلَى أَمْرَيْنِ قَبْلَ خِتَامِي لِهَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ؛ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ :

❖ **الْأَمْرُ الْأَوَّلُ:** أَنَّنِي تَرَكْتُ لِأَخِي مُحَمَّدٍ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - رَأْيَهُ وَوَجْهَةَ نَظَرِهِ فِي عَدَدٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي حَكَمَ عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِ هَذَا، فَالْأَمْرُ فِيهَا وَاسِعٌ وَمُحْتَمَلٌ؛ كَحَدِيثِ: «الْمُبْدَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ» وَحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لِي مِنْ خَشْيَتِكَ...» وَغَيْرِ ذَلِكَ قَلِيلٌ.... وَهَذِهِ أَحَادِيثٌ - كَمَا أَسْلَفْتُ - وَجْهَاتُ النَّظَرِ فِيهَا مُحْتَمَلَةٌ، لَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أُشِيرَ إِلَى رَأْيِي فِيهَا، وَاللهُ الْمُؤَفِّقُ.

أَمَّا عَنِ الْأَثَارِ؛ فَالْعَمَلُ فِيهَا مُرْهَقٌ، وَتَخْرِيجُهَا وَالْحُكْمُ عَلَيْهَا يَحْتَاجُ إِلَى وَقْتٍ طَوِيلٍ لِكَثْرَتِهَا، وَلَمْ يُسَعِفْنِي الْوَقْتُ لِاسْتِخْرَاجِ أَسَانِيدِهَا وَمِنْ ثَمَّ الْحُكْمُ عَلَيْهَا.

❖ **الْأَمْرُ الثَّانِي -** وَأَرَاهُ مُهِمًّا هُنَا - وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِكِتَابِ «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» - رَحِمَ اللَّهُ ابْنَ الْقَيْمِ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَقَدْ نَقَلَ أَخِي مُحَمَّدٌ حَفَظَ اللَّهُ بَعْضَ الثَّقُولَاتِ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ، فَأَحْبَبْتُ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ أَلْفَتَ النَّظَرَ إِلَى أَنَّ كِتَابَ «الْمَدَارِجِ» هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَحَفَّظَ عَلَى مَا أوردَهُ مِنْ مَسَائِلَ وَتَفْسِيَّاتٍ وَأَلْفَاظٍ بَعِيدَةٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلِي فِي شَأْنِهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - تَفْصِيلٌ يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ؛ وَقَدْ كَثُرَ

فِي كِتَابِهِ هَذَا «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» اسْتِعْمَلَ أَلْفَاظًا؛ كَأَلْفَاظِ: الْعَارِفِينَ - السَّالِكِينَ ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي أَكْثَرَ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا أَهْلُ التَّصَوُّفِ، وَلَا تَكَادُ تُوجَدُ فِي آيَاتٍ أَوْ أَحَادِيثٍ أَوْ أَقْوَالِ سَلَفِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِينَ. وَإِنْ كَانَ فِي الْكِتَابِ بَعْضُ النَّفْعِ؛ لَكِنْ يُمَيِّزُهُ مَنْ لَهُ عِلْمٌ وَبَصِيرَةٌ.

❖ هَذَا... وَفِي الْجُمْلَةِ؛ فَكِتَابُ أُخِي مُحَمَّدٍ - حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَلَا وَهُوَ كِتَابٌ:
«فِيهِ الرَّهْدُ» كِتَابٌ نَافِعٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ؛ فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَهُ لِمَزِيدٍ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْهُ صَالِحِ الْأَعْمَالِ بِقَبُولٍ حَسَنٍ.. اللَّهُمَّ آمِينَ.

وصلّى الله على نبينا محمد وسلم

والحمد لله رب العالمين

كَتَبَهُ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُصْطَفَى بْنُ الْعَدَوِيِّ

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد؛

فقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [النَّسَاءُ: ٧٧].

«فوصف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جميع الدنيا بأنها متاعٌ قليلٌ، وأنت أيها الإنسان تعلم أنك ما أوتيت من القليل إلا القليل؛ ثم إن القليل إن تمتعت به فهو لعبٌ وهو؛ لقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ﴾ [الحَدِيد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [التَّحْكِيم: ٦٤].

فلا تبع أيها العاقل حياةً قليلةً تفنى بحياة كثيرة تبقى؛ كما قال الفضيل بن عياض: لو كانت الدنيا ذهباً يفنى، والآخرة خزفاً يبقى؛ لوجب علينا أن نختر ما يبقى على ما يفنى؛ ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتي سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من إنسٍ وجنٍّ، وسخر له الريح والطير والوحوش، ثم زاده الله تعالى أحسن منها؛ حيث قال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]؛ فوالله ما حسبها رفعة، بل خاف أن يكون استدراجاً من حيث لا يعلم؛ فقال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [البَقَرَة: ٤٠].

وهذا فصل الخطاب لمن تدبر.

هذا؛ وقد قال الله تعالى لك ولجميع أهل الدنيا: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَشْتَأَنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[التَّحْجَرُ: ٩٢-٩٣]؛ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]» (١).

ومن علم حقيقة ذلك حملهُ ذلك على الرحلة في طلب الآخرة، والمصارعة إلى الخيرات، وامتنال أوامر الله وأوامر رسول الله ﷺ.

وما ضعف من ضعف وتأخر من تأخر إلا بسبب حبه للدنيا وثناء الناس عليه، ونفرتة من ذمهم له؛ فإذا زهد في ذلك؛ في حب الدنيا والحياة وحبِّ الشاء تصدَّى لكل معارضٍ لقلبه؛ ولا يكون ذلك إلا بصدق اللجأ إلى الله، وصحة اليقين والثقة فيما عند الله، وقوة محبته له؛ وكلما كان الحب أقوى كانت اللذة أعظم بالمحبوب، فمن عرف الدنيا زهد فيها.

ومن عرف الله حق المعرفة رغب فيما عنده، وزهد في كل شيء سواه؛ وهذا هو الزهد الكامل، وأعرف الناس بالله هم الأنبياء والمرسلون؛ ولذلك كانوا أعظم الزاهدين، وأفضل الورعين، وأئمة المتقين؛ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهكذا أهل الإيمان والتقوى.

ولقد صور العلامة ابن القيم هذه الحقيقة في أبياتٍ جميلةٍ فقال (٢): فصلٌ في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم الذهب الباقي على الخزف الفاني.
لكن ذا الإيمان يعلم أن هذا كالظلال وكلُّ هذا فاني

كخيالٍ طيف ما استتم زيارة إلا وصبح رحيله بأذان

(١) راجع: «المستطرف في كل فنٍ مستظرف» (٢/٥٩٧، ٥٩٨).

(٢) كما في «القصيدة النونية» بشرحها (٢/٦٠٦، ٦٠٧).

وسحابة طلعت بيوم صائف فالظل منسوخ بقرب زمان

وكزهرة وافى الربيع بحسنها أو لامعاً فكلاهما أخوان

أو كالسراب يلوح للظمان في وسط الهجير بمستوى القيعان

أو كالأماني طاب منها ذكرها بالقول واستحضارها بجنان

وهي الغرور رؤوس أموال المفاليس الأولى تجروا بلا أثمان

أو كالطعام يلذ عند مساغه لكن عقباه كما تجدان

هذا هو المثل الذي ضرب الرسول لها وذا في غاية التبيان

وإذا أردت ترى حقيقتها فخذ منه مثلاً واحداً ذا شأن

أدخل بجهدك أصبغاً في اليم وانظر ما تعقله إذا بعيان

هذا هو الدنيا كذا قال الرسول ممثلاً والحق ذو تبيان

قال ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبه في اليم فلينظر

بم يرجع»^(١). وقال: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل بظل شجرة، ثم راح وتركها»^(٢).

«أيها الناس! إن الدنيا دار بلاء، والآخرة دار قرار، فخذوا لمقرم من ممرمكم، ولا

تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، في الدنيا أنتم، ولغيرها خلقتكم»^(٣).

(١) يأتي؛ وهو صحيح.

(٢) صحيح، وسيأتي.

(٣) أخرجه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» رقم [١٣٠٤]، والخطيب في «تاريخه» (٩/ ٣٦٣)، عن الأصمعي قال: خطبنا أعرابي فحمد الله.. فذكره. وأخرجه الرافعي في «التدوين» (١/ ٢٣٠) عن الشافعي قال: يحكى عن بعض الحكماء أنه قال وهو يعظ: يا أيها الناس إنما الدنيا دار ممر..

إنما هذه الحياة متاع والسفيه الغوي مَنْ يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها
وقال الآخر:

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن إذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبت فيها بطون البهائم
القرطبي في «التفسير» (١٦ / ٨٨).

وقد أتت الدنيا لنبينا ﷺ فلم يُرْذها ولم يقبلها^(١)؛ وإنما كان يطلب الكفاف
ولا يرجو زيادة، وكان يقول: «اللهم اجعل زرق آل محمد قوتًا»^(٢)؛ أي: كفافًا.

قال ابن بطال: «فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما
فوق ذلك؛ رغبة في توفر نعيم الآخرة، وإيثارًا لما يبقى على ما يفنى، فينبغي أن تقتدي به
أمته في ذلك». «الفتح» (١١ / ٢٦٩).

وكان النبي ﷺ يتمثل بقوله: «اللهم إن العيش عَيْشُ الآخرة»؛ فكان
ﷺ في أعلى درجات الزهادة، ولم يطلب يومًا زيادة؛ بل كان المال إذا زاد عنده
أخرجه وأنفقه إلا ما كان يرصده ويعده لدين من الديون^(٣).

(١) كما في الصحيح، وسيأتي.

(٢) صحيح؛ أخرجه البخاري [٦٤٦٠]، ومسلم [١٠٥٥]، وفي لفظ: «اللهم ارزق آل محمد قوتًا»؛
أي: ما يقوت الأبدان وكيف عن الحاجة. وهذا معناه: طلب الكفاف؛ قاله القرطبي.

(٣) قُلْتُ (مصطفى): «ولهذا فقه ولا شك»، قُلْتُ (محمد): وبيانه في رسالتنا تلك بإذن الله، ولقد
سمعت من الشيخ مقبل - في شريط له - قال: إن المناصب وكراسي الحكام لا تساوي عندنا
بكرة!! فرحمه الله تعالى؛ فلقد خرج من الدنيا ولم يأخذ منها شيئًا.

ولقى من شدة العيش ما لاقى، وعانى من المشقة والتعب ما عانى.

وكان طعامه غالبًا الأسودين: التمر والماء^(١)، وما رأى خبزًا مرققًا قط^(٢)، وثبت أنه ما أكل على خوانٍ (مائدة) قط^(٣)، مع قدرته على تحصيل ذلك، لكن أثر الباقي على

(١) وستأتي الروايات بذلك.

(٢) ولا تعارض بين هذا وبين ما ثبت في «صحيح مسلم» [١٩٤٨] أن النبي ﷺ قرب إليه خوان عليه لحم في قصة الضبِّ مع خالد والفضل، وابن عباس رضي الله عنهما؛ قال النووي رحمه الله في «شرحه لمسلم» (١٠٢/١٣): «وليس المراد بهذا الخوان ما نفاه في الحديث المشهور في قوله: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط» بل شيء من نحو السفرة». اهـ. وأيده العظيم آبادي صاحب «عون المعبود» (٢٣٤/١٠)، وقال الحافظ في «الفتح» (٥٨٠/٩): «وأجاب بعضهم بأن أنسًا ما رأى ذلك ورآه غيره، والمثبت مقدم على النافي»، وهو ما رجحه ابن بطال في «شرحه للبخاري» (٤٦٩/٩) حيث قال: «وليس نفي أنس أن النبي ﷺ لم يأكل على خوانٍ ولا أكل شاة مسمومة يرد قول من روى عن النبي ﷺ أنه أكل على خوانٍ، وأنه أكل شواء، وإنما أخبر كلُّ بما علم. وهذا ابن عباس يقول في الأضب أنهم أكلن على مائدة النبي ﷺ؛ فأثبت له مائدة، وقد أنزل الله على قوم عيسى بن مريم المائدة حين سألوه إياها، وأكل المرقق والشاة المسمومة داخل في قوله تعالى: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق»، فجميع الطيبات حلال أكلها إلا أن يتركها تارك زهدًا وتواضعًا وشحًا على طيباته في الآخرة أن ينتقصها في الدنيا كم فعل النبي ﷺ، وذلك مباح له»، وقال القرطبي صاحب «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١٣٤/١٦) معلقًا على حديث الضب: «وفيه دليل على جواز اتخاذ الأخونة، والأكل عليها، فإنه ﷺ قد كان له خوان، وأكل عليه بحضرته، على ما اقتضاه ظاهر هذا الحديث، وما روي أنه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، لم تكن لهم موائد، وأنهم كانوا يأكلون على السفر؛ فذلك كان غالب أحوالهم. والله تعالى أعلم».

(٣) قال ابن بطال: «أكل المرقق مباح، ولم يجنب النبي ﷺ أكله إلا زهدًا في الدنيا وتركًا للنعيم وإشارة لما عند الله، كما ترك كثيرًا مما كان مباحًا له» «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٤٦٩/٩).

الفاني^(١)، وكذلك أصحابه من بعده كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عمر ومصعب وابن عوف وأبي ذر وعائشة وسائر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأتباعهم؛ كأمثال الحسن البصري وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن المسيب وأويس القرني وابن سيرين ونحوهم؛ فهؤلاء خير القرون؛ كما قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». أخرجه البخاري [٢٦٥١]، ومسلم [٢٧٣٥]، عن عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

وخطّتي في هذه الرسالة - التي أسأل الله أن تكون زادًا لنا يوم نلقاه - على النحو التالي:

- ١ - بدأتُ فيها بتعريف الزهد وحقيقته وفضله، ثم ثنّيت بالتزهد في الدنيا، وبيان حقاقتها بالنصوص القرآنية والنبوية وأقوال العلماء.
- ٢ - ثم تناولتُ زهد النبي ﷺ وأقواله في الزهد بعرض بعض النصوص الثابتة، عنه في ذلك.
- ٣ - ثم عقدتُ فصلًا في زهده ﷺ في الملبس والمطعم والمسكن وما شابه.
- ٤ - ثم عن زهد الصحابة والتابعين بقدر ما تيسر جمعه من الثابت الصحيح عنهم، وأذر ما سواه من ضعيف لم يثبت إسناده.
- ٥ - ثم بيان بعض المعينات على الزهد وبعض ثماره.

(١) قال الماوردي (فيما نقله عنه السلطان في «معجزات النبي ﷺ» ص (١١٢، ١١١): «وهو أزهّد الناس فيما يُقتنى ويُدّخر، وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر، لم يُخلّف عينًا ولا دينًا، ولا حفر نهرًا، ولا شد قصرًا، ولم يورث ولده وأهله متاعًا ولا مالًا، ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها، فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها».

٦- ثم تقريرُ بعضِ الأمور التي قد يلتبس فهمها في موضوع الزهد بأقوالِ سلفنا الصالح؛
 كأمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وقد عرضت ذلك أو بعضه في
 ثنايا الرسالة، والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والنية، وأن يجعل
 عملنا لوجهه خالصاً، ولا يجعل لأحدٍ فيه شيئاً؛ إنه سبحانه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

وأخـر دعوانا أنـت الحمد لله رب العالمين

كتبه

أبي حمزة البدر محمد بن العفيفي

١٩ شعبان ١٤٢٥ هـ

تم تحريره في جمادى الأولى لعام ١٤٣١ هـ

هاتف رقم / ٠١٦٠٣٩٦٦٣٩

تعريف الزهد

لُغَةً:

الزهدُ: ضد الرغبة^(١).

يُقال: يزهد فلانٌ في الشيء؛ أي: يرغبُ عنه.

والتزهدُ: التعبد.

يُقال: فلانٌ يتزهد: أي: يتعبد.

قال ابن منظور في «اللسان»: «الزهد والزَّهَادَةُ في الدنيا، ولا يُقال الزهد إلا في الدين خاصة، والزهدُ: ضدُّ الرغبة والحرص على الدنيا».

والتزهيد في الشيء وعن الشيء: خلاف الترغيب فيه. وزهده في الأمر: رغبته عنه؛ وفي حديث الزهري وسئل عن الزهد في الدنيا؛ فقال: «هو ألا يغلب الحلالُ شكره، ولا الحرام صبره»^(٢)؛ أراد: ألا يعجز ويقصر شكره على ما رزق الله من الحلال، ولا صبره عن ترك الحرام. «الصحيح». يُقال: زهد في الشيء وعن الشيء. وفلان يتزهد: أي: يتعبد انتهى المراد.

والمعنى: إذا قدر على حرام صبر عنه وابتعد، وإذا حصل له حلال لم يشغله عن الشكر؛ بل قام بشكر الله عليه؛ قاله ابن رجب.

(١) «مختار الصحاح» ص[١٨٢] لمحمد بن أبي بكر الرازي.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» [٤٥٥٣]، [١٠٧٧٦]، وفي «الزهد الكبير» [٣٤]، وابن أبي الدنيا في «الزهد» [٩٣]، ومن طريقه ابن الأعرابي في «الزهد» رقم [٥]، وابن المقرئ في «المعجم» [٦٥]، وهو صحيح.

قال سفيان بن عيينة: «ما سمعت في الزهد قط شيئاً أحسن من هذا».

واصطلاحاً؛ عَرَفَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِتَعْرِيفَاتٍ؛ فَقِيلَ:

- **الزهد:** الإعراض عن الدنيا، واستصغارها، ومحو آثارها من القلب.

- **وقيل:** ترك راحة الدنيا؛ طلباً لراحة الآخرة.

- **وقيل:** هو أن يخلو قلبك مما خلّت منه يدك^(١).

- واستدلّ بعضهم في المراد بالزهد بقول الله تبارك وتعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٣].

فالزاهد؛ لا يفرح من الدنيا بموجود، ولا يأسف منها على مفقود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢):

«الزهد المشروع: هو ترك الرّغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو فضولُ المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله، كما أن «الورع المشروع»: هو ترك ما قد يضرُّ في الدار الآخرة، وهو ترك المحرمات والشبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها؛ كالواجبات.

فأما ما ينفع في الدار الآخرة؛ فالزهد فيه ليس من الدين؛ بل صاحبه داخلٌ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرُّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٨٧]، كما أن الاشتغال بفضول المباحات، هو ضد الزهد المشروع، فإن اشتغل بها عن فعلٍ واجبٍ أو فعلٍ محرمٍ كان عاصياً، وإلا كان منقوصاً عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين».

قال ابن القيم^(٣) - في عبارة ابن تيمية -: «الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة»:

(١) «المدارج» (١١/٢) لابن قيم الجوزية.

(٢) في «الفتاوى» (٢١/١٠)، وقرر ذلك في (ص: ٥١١).

(٣) كما في «مدارج السالكين» (١٢، ١١/٢).

«وهذه العبارة من أحسن ما قيل في «الزهد» وأجمعها» اهـ.

قلتُ: وثمَّ أقوال آخر نقلها العلامة ابن القيم في «المدارج»^(١)؛ عن الأئمة أورد منها

ما يلي:

- قال الإمام أحمد: «الزهد في الدنيا: قصرُ الأمل؛ واليأس مما في أيدي الناس».

(وانظر: «جامع العلوم») لابن رجب [٢٩١].

وقال ابن رجب في «جامعه» [ص: ٣٨٣]: «قال المروزي: قيل لأبي عبد الله - يعني:

أحمد - أي شيء الزهد في الدنيا؟ قال: قصر الأمل. مَنْ إذا أصبح قال: لا أمسى. قال: وهكذا قال سفيان: قيل لأبي عبد الله بأي شيء نستعين على قصر الأمل؟ قال: ما ندرى إنما هو توفيق» اهـ، وروي عن مالك نحوه؛ كما في «الشعب» [١٠٧٧٩] [٧/٤٠٦].

- وقال عبد الله بن المبارك: «هو الثقة بالله مع حب الفقر، وقال: الزهد في الدنيا

بقلبك».

- وقال عبد الواحد بن زيد: «الزهد: الزهد في الدينار والدرهم».

- وقال أبو سليمان الداراني: «ترك ما يشغل عن الله».

- وقال الأوزاعي: «بغض المحمدة وحب الثناء»^(٢).

(١) قلت (مصطفى): لي ملاحظات كثيرة جدًّا على كتاب «مدارج السالكين» وإجمالاً فليتنظرن إلى ما فيه، وليحترزن منه في كثير من المواطن.

(٢) ذكره عنه القرطبي في «التفسير»، [الكهف: ٧]. وقد سئل بعضهم عن حدِّ الزهد، فقال: إن وجدنا أكلنا وإن فقدنا صبرنا.

وقال غيره: إن فقدنا شكرنا وإن وجدنا آثرنا، وقال غيره: حد الزاهد المنشرح صدره يكون بثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب القوت، والإيثار عند القوت. (القرطبي / الحشر / ويؤثرون على أنفسهم).

- قال ابن القيم: «وقد قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه:

- الأول - ترك الحرام. (وهو زهد العوام).

- والثاني - ترك الفضول من الحلال. (وهو زهد الخواص).

- والثالث - ترك ما يشغل عن الله. (وهو زهد العارفين^(١)).

وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدّم من كلام المشايخ، مع زيادة تفصيله، وتبيين درجاته، وهو من أجمع الكلام».

والذي أجمع عليه العارفون^(٢): «أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة؛ وعلى هذا صَنَّفَ المتقدمون كتب الزهد؛ كالزهد لعبد الله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهناد بن السري، ولغيرهم» انتهى المراد.



(١) قلت (مصطفى): اصطلاح العارفين هذا اصطلاح لم يكن معهوداً زمن النبي ﷺ وأدخله المتصوفة، وتبعهم عليه بعض أهل السنة، وليس كل عارف صالحاً؛ بل هناك عارف ضالّ مضلّ، وإبليس كان عارفاً كما أشار القرطبي وغيره، وقد أقسم بعزة الله، وعلم أن الله أغواه؛ إذ قال: ﴿فَمَا أَغَوَيْتَنِي﴾ [الإِزْف: ١٦]، وانظر: القرطبي في «تفسيره» لهذه الآية، والله الموفق.

(٢) انظر التعليق السابق.

ومن أقوال الصحابة في الزهد

وأهل العلم اختلفوا في معنى الزهد قديماً وحديثاً - كما مرت أقاويلهم - وها

هي طائفة من بساط ما ورد عن أصحاب النبي ﷺ :

١- **عن علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل»^(١).

قال الحافظ في «الفتح» (١١/٢٤٠، ٢٤١): «ومن كلام عليٍّ أخذ بعض الحكماء قوله: الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة؛ فعجب لمن يقبل على المدبرة ويدبر على المقبلة» ثم قال: «وقيل: إن قصر الأمل حقيقة الزهد»^(٢)؛ وليس كذلك بل هو سبب؛ لأن من قصر أمله زهد، ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة، والتسويق بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب؛ لأن رفته وصفاء إنما يقع بتذكر الموت

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (الفتح) (١١/٢٣٩) [الرقاق في الأمل وطوله] - معلقاً - وأبو داود في «الزهد» [١١٣]، وهناد [٥٠٩]، و«الزهد» لأحمد ص [١٦٢]، ولعافي بن عمران [٢٢٠]، وعزاه الحافظ لابن أبي شيبه في «المصنف»، وابن المبارك في «الزهد» وأبي نعيم في «الحلية» (١٣/١٧٢، ١٧٣) وهو صحيح.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» رقم [٣]، والبيهقي (١٣/١٧٣، ١٧٤) من طريق: علي بن أبي حنظلة مولى علي بن أبي طالب عن علي مرفوعاً؛ وأوله: «إن أشد ما أتخوف عليكم خصلتين». وسنده ضعيف. وله شاهد في «قصر الأمل» [٤]، والبيهقي في «الشعب» (٣/١٧٤) عن جابر مرفوعاً؛ لكنه ضعيف أيضاً؛ وعزاه الحافظ لأبي عبد الله بن منده.

(٢) وقد عرّفه سفيان الثوري بهذا التعريف، كما سيأتي، وبه عرّفه الإمام أحمد، نقل ابن القيم ذلك عنه في «المدارج» (٢/١١، ١٢)، كما مرّ.

قال القرطبي في «التفسير» (١٠/٣٥٥) [الكهف: ٧]: «وقد اختلفت عبارات العلماء في الزهد؛ فقال قوم: قصر الأمل، وليس بأكل الخشن ولبس العباء؛ قاله سفيان الثوري. قال علماءنا: وصدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإن من قصر أمله لم يتألق في المطعومات، ولا يتفنن في الملابس، أخذ من الدنيا ما تيسر، واجترأ منها بما يبلغ».

والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

وقيل: من قصر أمله قلَّ همه وتنور قلبه؛ لأنه إذا استحضر الموت اجتهد في الطاعة، وقل همه، ورضي بالقليل.

٢- وعن عليٍّ أيضًا قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «طوبى للزاهدين في الدنيا، والراغبين في الآخرة، أولئك قومٌ اتخذوا أرض الله بساطًا، وتراها فراشًا، وماءها طيبًا، والكتاب شعارًا، والدعاء دثارًا، ورفضوا الدنيا رفضًا»^(١).

٣- وعن ابن مسعود قال: «إن الله عَزَّجَلَّ جعل الدنيا كلها قليلًا؛ فما بقى منها إلا قليل من قليل، ومثل ما بقى منها كعين الغدير»^(٢)، شرب صفوؤه، وبقى كدرؤه»^(٣).

٤- وقال أيضًا: «أنتم أكثر صلاةً وأكثر صيامًا وأكثر جهادًا من أصحاب محمد ﷺ وهم كانوا خيرًا منكم؛ قالوا: فيم ذاك، يا أبا عبد الرحمن؟ قال: «كانوا أزهدهم منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة»»^(٤).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» [٢٦]، و«الزهد» [٨٧]، والبيهقي في «الشعب» (١٣/ ١٧٩) ط الرشد، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٩) بإسنادٍ فيه ضعف.

(٢) القطعة من الماء يُغادرها السيلُ، أي يتركها؛ هذا قول أبي عبيد، وقال الليث: «الغدير؛ مستنقع الماء ماء المطر، صغيرًا كان أو كبيرًا؛ غير أنه لا يبقى إلى القيظ إلا ما يتخذة الناس من عِدٍّ، أو وحْدٍ أو وقطٍ أو صهريج أو حائر».

قال أبو منصور: «الغدُّ: الماء الدائم الذي لا انقطاع له، ولا يسمى الماء الذي يجمع في غدير أو صهريج أو صنع عِدًّا، لأن العِدَّ ما يدوم، مثل ماء العين والركية»، انتهى من «لسان العرب» مادة [غدر] ص [٣٢١٧].

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» [١٢٣]، وأبو داود في «الزهد» برقم [١٣٧]، وأحمد في «الزهد» ص [١٩٧]. وهو صحيح.

(٤) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٣/ ١٨٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٢٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٦)، والحاكم في «المستدرک» (٤/ ٣١٥)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٦٧-١٦٨)، =

٥- قال أبو واقد الليثي (الحارث بن عوف - وكانت له صحبة): «تابعنا الأعمال أيهما أفضل؟ فلم نجد شيئاً أعون [أبلغ] على طلب الآخرة من الزهد في الدنيا»^(١).

٦- وعن ابن مسعود قال: «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأدِّ ما افترض الله عليك تكن أعبد الناس، واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أورع الناس». وسنده صحيح عن ابن مسعود موقوفاً عليه.

وهو عند أبي داود في الزهد برقم [١٣٩].

٧- وعن أبي ذر قال: «ذو الدرهمين يوم القيامة أشدَّ حساباً من ذي الدرهم»، وسنده صحيح. وهو عند أحمد في «الزهد» ص [١٨٤]، وأبي داود في «الزهد» برقم [٢٠٢].



= وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» رقم [١٧٦]، وهو في «الزهد» لأبي داود برقم [١٣١]، وهناد رقم [٥٧٥]، وابن الأعرابي في «الزهد» رقم [٥٦]. وهو صحيح.

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» ص [٢٤٩]، وهناد في «الزهد» برقم [٥٥٨]، وابن الأعرابي في «الزهد» رقم [٥٧]، والبيهقي في «الشعب» [١٠٦٨٢]، وأبو داود في «الزهد» برقم [٣٨٥]، وسنده حسن. وتابعنا الأعمال: أحكمناها وأتقناها وأعطيناها حقها. انظر القاموس.

فصل الزهد وشرفه وحقيقته

الزهد في الدنيا مقامٌ شريفٌ من مقامات الصالحين؛ وعطاءٌ عظيمٌ لا يعرف قدره إلا العالمون، ونعمةٌ كبرى لا يحظى بها إلا المتقون؛ ولذلك أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بقطع النظر عن الدنيا وزهرتها؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ١٣١).

قال السعدي في «التفسير» (طه: ١٣١): «أي: ولا تمدن عينيك معجبًا، ولا تكرر النظر مستحسنًا - إلى أحوال الدنيا والممتعين بها؛ من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملات، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابًا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها - بقطع النظر عن الآخرة - القوم الظالمون، ثم تذهب سريعًا، وتمضي جميعًا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا القيامة، وإنما جعلها الله فتنة واختبارًا؛ ليعلم من يقف عندها، ويغتر بها، ومن هو أحسن عملاً؛ كما قال العجالي: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿ [الكهف: ٧-٨].

﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ورزق ربك؛ العاجل (من العلم والإيمان وحقائق الأعمال الصالحة) والآجل (من النعيم المقيم، والعيش السليم في جوار الرب الرحيم) خير مما متعنا به أزواجًا، في ذاته وصفاته، وأبقى لكونه لا ينقطع، أكلها دائم وظلها؛ كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦-١٧].

وفي هذه الآية إشارةٌ إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحًا إلى زينة الدنيا وإقبالًا عليها أن يذكر ما أمامها من رزق ربه وأن يوازن بين هذا وهذا. انتهى.

وسياقي مزيدٌ في آخر الرسالة لفضل الزهد وبعض ثمراته وفوائده.

❖ حقيقته:

❖ وتدبر هذا الكلام القيم في حقيقة الزهد للعلامة ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ:

فقال ابن القيم في «المدارج» (١٤، ١٣/٢): «لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد

في (المال، والصور، والرياسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله).

❖ وليس المراد رفضها من الملك؛ فقد كان سليمان وداود عَلَيْهِمَا السَّلَام من أزهد أهل

زمانها، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما. وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على

الإطلاق، وله تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب ^(١) وعبد الرحمن بن عوف والزبير ^(٢)

وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال ^(٣)، وكان الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

من الزهاد، مع أنه من أكثر الأمة محبة للنساء، ونكاحاً لهن، وأغناهم.

وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مالٍ كثير، وكذلك الليث بن سعد

من أئمة الزهاد، وكان له رأس مالٍ يقول: «لولا هو لتمندل بنا هؤلاء».

وَمِنْ أَحْسَن ما قيل في الزهد؛ كلامُ الحسن - أو غيره -: «ليس الزهد في الدنيا

بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله، أوثق منك بما في يدك،

وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أصبت بها - أرغب منك فيها لو لم تصبك»؛ فهذا من

أجمع كلام في الزهد وأحسنه، وقد روي مرفوعاً ^(٤) انتهى.

(١) لم يعلم عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثراءٌ. والله أعلم. (قاله مصطفى).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» رقم [٣١٢٩]، وكلام الحافظ في «الفتح» (٦/ ٢٧٠).

(٣) قال ابن الجوزي في «صيده» (ص: ٢٦): «كان لعلّي أربع حرائر، وسبع عشرة أمة، وبلغت صدقته

أربعين ألفاً».

(٤) ولا يصحّ مرفوعاً؛ فقد رواه الترمذي [٢٣٤٠]، وابن ماجه [٤١٠٠]، عن أبي ذر مرفوعاً؛

وقال الترمذي: «عمر بن واقد: منكر الحديث» ١هـ. وروي عن يونس بن ميسرة قوله؛ كما في =

فالزهد أن ترهد في كل ما سوى الله وكل ما يشغلك عنه وعن طاعته وعبادته؛ فهذا داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قد ملكا الدنيا وكانا عند الله من الزاهدين، وكان داود يأكل من عمل يده^(١).

❁ أقسامه:

قال العلامة ابن القيم في «الفوائد» ص [١٤٧]: «الزهد أقسام^(٢)»:

- ١ - زهد في الحرام؛ وهو فرض عين.
- ٢ - وزهد في الشبهات؛ وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحباً.
- ٣ - وزهد في الفضول؛ وهو زهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره.
- ٤ - وزهد في الناس.
- ٥ - وزهد في النفس؛ حيث تهوّن عليه نفسه في الله.
- ٦ - وزهد جامعٌ لذلك كله؛ وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما يشغلك عن الله.

وأفضل الزهد:

«إخفاء الزهد، وأصعبه: الزهد في الحُطُوظ...»^١. هـ. المراد.

❁ وقسمه في «روضة المحبين» ص [٢٦٦] إلى خمسة أقسام؛ أعلاها الزهد في كل إرادة تخالف مراد محبوبه.

= «الشعب» (٧/ ٤٠٥) [١٠٧٧٤]، وابن أبي الدنيا في «الزهد» [١٠٧]، و«الزهد» لابن الأعرابي رقم [٦]، وفي «الزهد» لأحمد [١٨] عن يونس عن أبي مسلم الخولاني قوله. ولعله: أبو إدريس. (١) أخرجه البخاري في «الصحيح» [٢٠٧٢] عن المقدم مرفوعاً. (٢) ونحوه في «عدة الصابرين» ص [٢٢٦].

قال ابن القيم: «وبين هذا وبين الزهد في الدنيا أعظم ما بين السماء والأرض؛ فالزهد خمسة أقسام:

✽ زهد في الدنيا.

✽ وزهد في النفس.

✽ وزهد في الجاه والرياسة.

✽ وزهد فيما سوى المحبوب.

✽ وزهد في كل إرادة تخالف مراد المحبوب.

وهذا إنما يحصل بكمال المتابعة لرسول الحبيب؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].
فجعل سبحانه متابعة رسوله سبباً لمحبتهم له...».

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في «طريق المهجرتين» ص [٣٨١-٣٨٥]:

«الزهد على أربعة أقسام:

أحدها- فرض على كل مسلم، وهو الزهد في الحرام، وهذا متى أحل به انعقد سبب العقاب، فلا بد من وجود سبب ما لم ينعقد سببه آخر يضاده.

الثاني- زهد مستحب، وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود فيه، وهو الزهد في المكروه وفضول المباحات والتفنى في الشهوات المباحة.

الثالث- زهد الداخلين في هذا الشأن، وهم المشمرون في السير إلى الله، وهو

نوعان:

أحدهما - الزهد في الدنيا جملة:

وليس المراد تخلّيها من اليد ولا إخراجها وقعوده صفرًا منها، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية؛ فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكُن قلبه، وإن كانت في يده فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك. وهذا كحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب بزهد المثل من أن خزائن الأموال تحت يده؛ بل كحال سيّد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح، ولا يزيده ذلك إلا زهدًا فيها.

ومن هذا الأثر المشهور - وقد روي مرفوعاً^(١) وموقوفاً -: «ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهد في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك».

والذي يَصُحُّ هذا الزهد ثلاثة أشياء:

أحدها - علمُ العبد أنها ظلٌّ زائلٌ وخيالٌ زائرٌ؛ وأنها كما قال تعالى: ﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدَرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وسَمَّاهَا سبحانه: ﴿مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ [الزمر: ١٨٥]، ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذّرنا مثل مصارعهم، وذمّ من رضيَ بها، واطمأن إليها.

وقال النبي ﷺ: «ما لي وللدنيا إنما كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها»^(٢).

(١) ولا يصح عن النبي ﷺ، وقد تقدّم، وصوّب ابن رجب في «جامع العلوم» وقفه.

(٢) سيأتي؛ وهو صحيح بنحوه.

فما اغتر بها، ولا سكن إليها إلا ذو همة دنية، وعقل حقير، وقدر خسيس.

الثاني- علمه أن وراءها دارًا أعظم منها قدرًا، وأجل خطرًا، وهي دار، البقاء، وأن نسبتها إليها كما قال النبي ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر به يرجع»^(١)؛ فالزاهد فيها بمنزلة رجل في يده درهم زغل، قيل له: اطرحه فلك عوضه مائة ألف دينار مثلاً، فألقاه من يده رجاء ذلك العوض؛ فالزاهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زهد فيها.

الثالث- معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها، فمتى يتقن ذلك وصار له به علم يقين هان عليه الزهد فيها؛ فإنه متى يتقن ذلك وثلج له صدره وعلم أن مضمونه منها سيأتيه بقي حرصه وتعبه وكده ضائعاً، والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك؛ فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها، وتثبت قدمه في مقامه - والله الموفق لمن يشاء.

النوع الثاني- الزهد في نفسك:

وهو أصعب الأقسام وأشقها، وأكثر الزاهدين إنما وصلوا إليه ولم يلجؤه؛ فإن الزاهد يسهل عليه الزهد في الحرام لسوء مغبته وقبح ثمرته، وحماية لدينه، وصيانة لإيمانه، وإيثاراً للذة والنعيم على العذاب، وأنفة من مشاركة الفساق والفجرة، وحمية من أن يستأثر لعدوه، ويسهل عليه الزهد في المكروهات وفضول المباحات؛ علمه بها يفوته بإيثارها من اللذة والسرور الدائم والنعيم المقيم.

ويسهل عليه زهده في الدنيا؛ معرفته بما وراءها وما يطلبه من العوض التام والمطلب الأعلى.

(١) سيأتي؛ وهو في «صحيح مسلم».

وأما الزهد في النفس؛ فهو ذبحها بغير سكين.

وهو نوعان:

أحدهما- وسيلة وبداية، وهو أن تُميتها، فلا يبقى لها عندك من القدر شيءٌ، فلا تغضبُ لها، ولا ترضى لها، ولا تنتصر لها، ولا تنتقم لها، قد سبَّلت عرضها ليوم فقرها وفاقته؛ فهي أهون عليك من أن تنتصر لها أو تنتقم لها، أو تحيِّبها إذا دعتك أو تكرمها إذا عصتك، أو تغضب لها إذا دُمَّت، بل هي عندك أخس مما قيل فيها، أو ترفهها عما فيه حظك وفلاحك وإن كان صعباً عليها. وهذا وإن كان ذبحاً لها وإماتةً عن طباعها وأخلاقها، فهو عين حياتها وصحتها، ولا حياة لها بدون هذا البتة.

وهذه العقبة هي آخر عقبة يشرف منها على منازل المقربين، وينحدر منها إلى وادي البقاء ويشرب من عين الحياة، ويخلص روحه من سجون المحن والبلاء وأسر الشهوات، وتتعلق بربها ومعبودها ومولاها الحق؛ فيا قرّة عينها به، ويا نعيمها وسرورها بقربه، ويا بهجتها بالخلاص من عدوها، واللجوء إلى مولاها ومالك أمرها ومتولي مصالحها.

وهذا الزهد هو أول نقدة من مهر الحب فيا مفلس تأخر.

والنوع الثاني- غاية وكمال، وهو أن يبذلها للمحجوب جملة بحيث لا يستبقي منها شيئاً؛ بل يزهد فيها زهد المحب في قدر خسيس من ماله قد تعلقت رغبة محبوبة به؛ فهل يجد من قلبه رغبة في إمساك ذلك القدر وحبسه عن محبوبة؟ فهكذا زهد المحب الصادق في نفسه، قد خرج عنها وسلَّمها لربه، فهو يبذلها له دائماً بتعرضٍ منه لقبولها.

وجميع مراتب الزهد المتقدمة مباد ووسائل لهذه المرتبة.... إلى آخر تلكم الكلمات التي تُكتب بماء الذهب؛ فهي كلمات القيم ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وطيب ربي ثراه.

فتدبرها - أخي - وحاول تطبيقها، وسل الله العون على ذلك؛ فهو المعين، والموفق من وفقه الله، ومن أعانه الله فهو المعان؛ نسأل الله أن يرزقنا حلاوة طاعته، والأنس به، والقرب منه، وأن يطرح الدنيا من قلوبنا، وأن يرزقنا الجد والعمل للآخرة، وأن يحشرنا مع قدوة المتقين وسيد الزاهدين سيد ولد آدم نبينا محمد ﷺ.

لفتة ويرد:

ما تقدم من كلام حول مسألة حقيقة الزهد وقول العلامة: «لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد في المال و - ثم قال -: وليس المراد: رفضها من الملك؛ فقد كان سليمان وداود عليهما السلام أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة^(١).. الخ» انتهى المراد.

فالمراد من مقالته هذه؛ أن الغنى ليس منافيًا للزهد، ولكن كما قال الإمام أحمد: بشرط أن لا يفرح المرء إذا زادت (أمواله) ولا يحزن إذا نقصت؛ كما نقله عنه ابن القيم في «عدة الصابرين» ص [٢٢٥]؛ فقد يكون الغني من أزهد الزهاد، وهذا شرطه كما تقدم من كلام أحمد وغيره من الأئمة؛ فالدنيا في يده ليست في قلبه؛ تفتته وتشغله عن طاعة ربه وطاعة نبيه ﷺ. وهذا هو معنى كلام ابن القيم: (وليس المراد: رفضها من الملك)؛ فقد يملك الدنيا كسليمان وداود ويوسف مع أنهم من أزهد الخلق.

✽ والشرعية تقر أصحاب الأموال والثروات إذا كانوا يؤدون حق الله فيها؛ فسعد ابن أبي وقاص يقول: «وأنا ذو مال كثير» البخاري [٦٣٧٣]، ومسلم [١٦٢٨].

✽ قال الحافظ في «الفتح» (٤٣٣/٥): «فيه إباحة جمع المال بشرطه».

(١) ليس ليشبع رغبته، ولكن ليحملن الدين والسنة عنه ﷺ ويشترنها. وسيأتي عنه ﷺ كيف دفع عن نفسه طيبات الدنيا اختيارًا لطيبات الحياة الباقية.

وأثنى رسول الله ﷺ على أصحاب الغنى في حالٍ وذمهم أشدَّ الذم في حال!!

ففي «الصحيحين» البخاري [٦٦٣٨]، ومسلم رقم [٩٩٠] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انتهيتُ إلى النبي ﷺ وهو جالسٌ في ظلِّ الكعبة فلما رأيَ قال: «هم الأَخْسَرُونَ وربَّ الكعبة». قال: فجئتُ حتى جلستُ فلم أَتَقَارَّ^(١) أن قمت، فقلت: فذاك أبي وأمي من هم؟ قال: «هم الأَكْثَرُونَ أموالاً، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا. من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله^(٢). وقليلٌ ما هم....» الحديث.

وهنا أبين أن أكثر الناس - كما بين رسول الله ﷺ - لا يقومون بحق المال، وعليه؛ فالأمر لا يطرد؛ كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٢٧/٦) - حين تكلم على قصة الزبير في «الفتح» [٣١٢٩] وفيه في آخره -: «وكان للزبير أربع نسوة، ورفع الثلث؛ فأصاب كل امرأة ألف ومائتا ألف»، وهذا لأنه كان له أرضٌ عظيمة من عوالي المدينة، فلما مات باعها ابنه عبد الله وباع الدور التي تركها الزبير أيضاً، فقضى عبد الله بن الزبير قضاء دين والده، ورفع الثلث الموصى به، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة من ثمن عقاراته ألف ألف ومائتا ألف^(٣).

قال الحافظُ ابنُ حجر: «فيه أن لا كراهة في الاستكثار من الزوجات والخدم» ثم قال: «وكونُ هذا لا يكره للزبير وأنظاره لا يطرد» انتهى المراد.

(١) أي: لم يمكنني القرار والثبات.

(٢) وهذا؛ كما قال ﷺ: «ما يسرنى أن عندي مثل أحد هذا ذهباً، تمضي علي ثلاثة أيام، وعندى دينار إلا شيء أرسده لدين. إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا...»، وهو مطلعٌ لحديث أبي ذر؛ كما في «الصحيح» [٦٤٤٤] أيضاً. وأخرجه من حديث أبي هريرة برقم: [٦٤٤٥].

(٣) وهناك اختلاف في العدد في بعض الروايات جمع بينها الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢٦٨/٦).

فمن علم أنه بجمعه للأموال والاستكثار منها لا يصرفه ذلك عن دينه ولا يشغله عن عبادة ربه ويؤدي حق الله فيه فلا بأس والحالة هذه.

وانظر لسعد بن الربيع وهو يقول لأخيه عبد الرحمن بن عوف^(١): «إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت، نزلتُ لك عنها^(٢) فإذا حلَّت^(٣) تزوجتها».

يا الله! هل هذا حدث في عالم البشر؟!

نعم وربي حدث، ولكن ممن؟ ممن تربوا على مائدة القرآن وسنة النبي ﷺ؛ فرسولُ الله ﷺ هو أستاذهم ومربيهم ومعلمهم.

فانظر لمساعدة الأخ لأخيه ليس درهماً أو درهماً ولكن نصف ماله؛ فهل وظَّفنا أموالنا مثل هذا التوظيف؟ هل تنازل أحدٌ منا عن ماله أو نصف ماله أو رُبْعَه للفقراء والمحتاجين! لقد قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: .. رجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» أخرجه البخاري [٥٠٢٥]، ومسلم [٨١٥] عن ابن عمر. فنسأل الله أن يجعلنا من المتقين الصادقين؛ إنه وليُّ ذلك ومولاه.



(١) وحديثه في «الصحيح» [٢٠٤٨]، [٣٧٨١].

(٢) يعني: طلقها لأجلك.

(٣) أي: انقضت عدتها.

أبواب في الترغيب والحث على التزهيد في الدنيا

(١)

وبيان حقارتها وخستها

إلا ما كان فيها من صالح الأعمال

الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَالزُّهْدُ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ

وَأَوْجِزُ مَا سَبَقَ فِيمَا يَلِي؛ فَأَقُولُ:

أما الزهد في الدنيا؛ فقد كثر في القرآن الإشارة إلى مدحه، وإلى ذم الرغبة في الدنيا - وقد تقدّم بعضها.

(١) قال ابن القيم في «طريق المهجرتين» ص[٣٦]: «واعلم أنه يحسن إعمال اللسان في ذم الدنيا في موضعين:

- أحدهما - موضع التزهيد فيها للراغب.

- والثاني - عندما يرجع به داعي الطبع والنفس إلى طلبها، ولا يأمن من إجابة الداعي فيستحضر في نفسه قلة وفائها، وكثرة جفائها، وخسة شركائها، فإنه إن تمّ عقله، وحضر رشده؛ زهد فيها ولا بد.

❁ وقال ابن رجب في «جامعه» [٢٩٢]: «واعلم أن الذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس راجعاً إلى زمانها الذي هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم القيامة؛ فإن الله جعلها خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً... وليس الذم راجعاً إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهاداً أو مسكناً... قال: وإنما الذم راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا...». فالدنيا لا تذمّ مطلقاً بل إنها تُحمد بالنسبة إلى من تزود منها الأعمال الصالحة. وأن فيها مساجد الأنبياء، ومهبط الوحي، وهي دار التجارة للمؤمنين اكتسبوا منها الرحمة، وربحوا بها الجنة؛ فهي نعم الدار لمن كانت هذه صفته.

وأما ما ذكر من أنها تغر وتخدع، فإنها تنادي بمواعظها، وتنصح بعبورها، وتبدي عيوبها بما ترى من أهلها من مصارع الهلكى وتغلب الأحوال من الصحة إلى السقم، ومن الشيبة إلى الهرم، ومن الغنى إلى الفقر، ومن العز إلى الذل. لكن محبتها قد أصممه وأعماه حبها، فهو لا يسمع نداءها؛ كما قيل:

لو كان في العالم من يسمع

قد نادى الدنيا على نفسها

وجامع بددت ما يجمع

كم واثقٍ بالعمر أمنيته

«جامع العلوم» [٢٩٦]

❖ قال تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [الأنفال: ٦٧].

❖ وقال تعالى: ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴾ [الزَّحْزَاحُ: ٢٦].

وتوعد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا، واطمأن إليها، وغفل عن آياته، ولم يرج لقاءه؛ فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ لَا يَرْجُوهُ لِقَاءُنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَوْا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ (٧) أُولَئِكَ مَا لَهُمْ أُنَارٌ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ [يُونُس: ٧-٨].

وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون ثقاقفه عن طاعة الله، وطلب الآخرة، ويكفي في الزهد في الدنيا قوله تعالى: ﴿ أَفَرَبَّيْتُمْ أَنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴾ (٢٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿ (٢٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿ [الشَّعَرَاءُ: ٢٥-٢٧]. (١)

وقد ذم الله من كان يريد الدنيا بعمله وسعيه ونيتة؛ وقد ورد ذلك في حديث: «إنما الأعمال بالنيات» [متفق عليه من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

والأحاديث في ذم الدنيا وحقارتها كثيرة جدًا، وقد تقدّم كثير منها. ومعنى الزهد في الشيء: الإعراض عنه لاستقلاله، واحتقاره، وارتفاع الهمة عنه؛ يُقال: شيء زهيد: أي قليل حقير.

وقد تكلم السلف ومن بعدهم في تفسير الزهد في الدنيا وتنوعت عباراتهم عنه، ورود في ذلك حديث مرفوع - لكنه لا يصح والصحيح وقفه (٢) - عن أبي ذر قال: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أنت أصبت بها - أرغب فيها لو أنها بقيت لك».

(١) «الفوائد» ص [١٠٩]، وانظر: ص [١١٧] فصل: (العابد الجاهل والعالم الفاجر).

(٢) كما قد تقدم قريبًا.

وأخرجه ابن أبي الدنيا عن يونس بن ميسرة قوله. وزاد: «وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء».

❖ قال ابن رجب في «جامعه» ص [٣٤٧] - وما تقدّم من كلامه - : «ففسر الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء كلّها من أعمال القلوب لا من أعمال الجوارح، ولهذا كان أبو سليمان يقول: «لا تشهد لأحدٍ بالزهد؛ فإن الزهد في القلب»:

أحدها- أن يكون العبدُ بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه؛ وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوّته، فإن الله ضمن أرزاق عباده، وتكفّل بها؛ كما قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: ٦]، وقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الدَّارِئَاتِ: ٢٢]، وقال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ [الْجِنِّ: ١٧].

قال الحسن: «إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عَزَّجَلَّ».

وقال الإمام أحمد: «أسرُّ أيامي إلَيَّ يوم أُصبح وليس عندي شيء».

وقيل لأبي حازم الزاهد: «ما مالك؟ قال: لي مالان لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس».

وقيل له: «أما تخاف الفقر؟ فقال: أنا أخاف الفقر ومولاي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى».

وقال الفضيل بن عياض: «أصل الزهد الرضا عن الله عَزَّجَلَّ». وقال: «القنوع هو الزهد وهو الغنى».

فمن حقق اليقين؛ وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلُّق بالخلقين رجاءً وخوفاً، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان

كذلك كان زاهداً في الدنيا حقيقةً، وكان من أغنى الناس، وإن لم يكن له شيءٌ من الدنيا؛ كما قال عمار: «كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً».

وقال ابن مسعود: «اليقين: ألا تُرضي الناسَ بسخط الله، ولا تحمد أحداً على رزق الله، ولا تلم أحداً على ما لم يؤتك الله؛ فإن الرزق لا يسوقه حرصٌ حريصٍ، ولا يرده كراهةٌ كاره، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بقسطه وعدله وحكمه - جعل الرُّوح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشكِّ والسخط».

والثاني- أن يكون العبد إذا أُصيب بمصيبةٍ في دنياه من ذهاب مالٍ أو ولدٍ أو غير ذلك، أرغب في ثواب ذلك؛ مما ذهب عنه من الدنيا أن يبقى له، وهذا أيضاً ينشأ من كمال اليقين.

ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب. وقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في دعائه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهَوِّن به علينا مصائب الدنيا»^(١).

والثالث- أن يستوي عند العبد حامده وذامه في الحق، وهذا من علامات الزهد في الدنيا، واحتقارها، وقلة الرغبة فيها؛ فإن من عظمت الدنيا عنده أحبَّ المدح وكره الذمَّ.. أما من استوى عنده الأمران دلَّ على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه وامتلائه من

(١) أخرجه الترمذي [٣٥٠٢]، والنسائي في «الكبرى» (٦/١٠٦، ١٠٧)، وابن المبارك في «الزهد» [٤٣١] رواية المروزي، وفيه عبید الله بن زحر، فيه مقال، وضعفه ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٨٣٠/٥).

قلت: ولعبید الله بن زحر متابع عند الحاكم (١/٥٢٨)، تابعه الليث بن سعد؛ لكن الراوي عنه أبو صالح كاتب الليث، وهو ضعيف؛ لكن الحديث بهذا يحتمل التحسين، والله أعلم. وتابعه ابن لهيعة أيضاً عند الطبراني في «الكبير» (١١/١٠٧)، وفي «الصغير» [٨٦٦]، وفي «الدعاء» [١٩١١]. قلت (مصطفى): «والراجح ضعفه عندي، والله أعلم».

محبة الحق وما فيه رضا مولاه. وقد رُوي عن السلف عباراتٌ أُخر في تفسير الزهد في الدنيا، وكلُّها ترجعُ إلى ما تقدّم.

وقد قسم كثير من السلف الزهد أقساماً:

❖ فمنهم من قال: «أفضل الزهد: الزهد في الشرك، وفي عبادة ما عبد من دون الله، ثم الزهد في الحرام كلّ من المعاصي. ثم الزهد في الحلال. وهو أقلُّ أقسام الزهد.

فالقسمان الأولان كلاهما واجب، والثالث: ليس بواجب.

❖ وقال إبراهيم بن أدهم: «الزهد ثلاثة أصناف: فزهدٌ فرضٌ، وزهدٌ فضلٌ، وزهدٌ سلامةٌ؛ فالزهد الفرض: الزهد في الحرام، والزهد الفضل: الزهد في الحلال، والزهد السلامة: الزهد في الشبهات». ثم قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ:

❖ وأهلُ الزُّهد في فضول الدنيا أقسام:

❖ فمنهم من يحصل له، فيمسكه ويتقرب به إلى الله، كما كان كثيرٌ من الصحابة وغيرهم.

قال أبو سليمان: «وكان عثمان وعبد الرحمن بن عوف خازنين من خزان الله في أرضه، يُنفقان في طاعته، وكانت معاملتهما لله بقلوبهما».

❖ ومنهم من يُخرجه من يده، ولا يمسكه، وهؤلاء نوعان:

❖ منهم من يخرجه اختياراً وطوعية.

❖ ومنهم من يخرجه ونفسه تأبى إخراجه، ولكن يجاهدها على ذلك، وقد اختلف في أيهما أفضل؛ فقال ابن السماك والجنيد: الأول أفضل؛ لتحقيق نفسه بمقام السخاء والزهد، وقال ابن عطاء: الثاني أفضل؛ لأن له عملاً ومجاهدة.

وفي كلام أحمد ما يدلُّ عليه أيضًا.

ومنهم من لم يحصل له شيءٌ من الفضول، وهو زاهد في تحصيله، إما مع قدرته، أو بدونها، والأول أفضل من هذا، ولهذا قال كثيرٌ من السلف: إن عمر بن عبد العزيز كان أزهد من أويس ونحوه، كذا قال أبو سليمان وغيره.

وكان مالك بن دينار يقول: الناس يقولون: مالكٌ زاهدٌ، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا فاغرةً فاها فتركها.

- وقد اختلف العلماء: «أيُّ أفضل: من طلب الدنيا من الحلال ليصل رحمه، ويقدم منها لنفسه، أم من تركها فلم يطلبها بالكلية؟ فرجحت طائفة من تركها وجانبها، منهم الحسن وغيره، ورجحت طائفة من طلبها على ذلك الوجه، منهم النخعي وغيره، روي عن الحسن عنه نحوه».

- والزاهدون في الدنيا بقلوبهم لهم ملاحظ ومشاهد يشهدونها:

✽ فمنهم من يشهد كثرة التعب بالسعي في تحصيلها؛ فهو يزهد فيها قصدًا لراحة نفسه؛ قال الحسن: «الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن».

✽ ومنهم من يخاف أن ينقص حظه من الآخرة بأخذ فضول الدنيا.

✽ ومنهم من يخاف طول الحساب عليها؛ قال بعضهم: «من سأل الله الدنيا، فإنما يسأل طول الوقوف للحساب».

✽✽ ومنهم من كان ينظر إلى حقارة الدنيا عند الله فيقذرها؛ كما قال الفضيل: «لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت عليَّ حلالًا، ولا أحاسب بها في الآخرة، لكنت أتقذرها كما يتقذر الرجل الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه».

❖ ومنهم من كان يخاف أن تشغله عن الاستعداد للآخرة والتزود لها؛ فعمر ابن المنكدر حين بُعث إليه مألٌ بكى واشتد بكاءؤه، وقال: «خشيت أن تغلب الدنيا على قلبي، فلا يكون للآخرة فيه نصيب، فذلك الذي أبكاني، ثم أمر به، فتصدق به على فقراء أهل المدينة.

- وخواص هؤلاء يخشى أن يشتغل بها عن الله.

قال أبو سليمان: «الزهد ترك ما يشغل عن الله»، وقال: «كل ما شغلك عن الله من أهلٍ ومالٍ وولدٍ؛ فهو مشؤوم».

فالزهد في الدنيا يراد به تفرغ القلب من الاشتغال بها، ليتفرغ لطلب الله، ومعرفة، والقرب منه، والأنس به، والشوق إلى لقائه (وهذه الأمور ليست من الدنيا).

❖ والزاهدون في الدنيا يحبهم الله تعالى. ولم لا وقد زهدوا فيما رغب الله في الزهد فيه، واشتغلوا بما أمر الله بالاشتغال به. فأحبوا الله فأحبهم الله، وأحبوا الآخرة فخرجت الدنيا من قلوبهم.

قال عون بن عبد الله: «الدنيا والآخرة في القلب، ككفتي الميزان بقدر ما ترجح إحداهما تخفُّ الأخرى».

❖ وبكلِّ حال؛ فالزهد في الدنيا شعار أنبياء الله وأوليائه وأحبابه؛ كما قال عمرو ابن العاص: «ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ، إنه كان أزهد الناس في الدنيا، وأنتم أرغب الناس فيها»^(١).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٩٨، ٢٠٣)، والحاكم (٤/٣٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» [٦٣٧٩]، والبيهقي في «الشعب» (٧/٣٤٣) بإسنادٍ صحيحٍ.

وقال ابن مسعود لأصحابه: «أنتم أكثر صومًا وصلاةً وجهادًا من أصحاب محمد ﷺ، وهم كانوا خيرًا منكم، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: كانوا أزهدَ منكم في الدنيا، وأرغبَ منكم في الآخرة»^(١).

❁ ثم الزهد فيما في أيدي الناس موجبٌ لمحبة الناس؛ ولا تكون عزيزًا إلا باستغنائك عن المخلوقين.

قال الحسن: «لا تزال كريماً على الناس، أو: لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك، استخفوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك».

وقال أيوب السخيتاني: «لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم».

وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ بالأمر بالاستغفاف عن مسألة الناس والاستغناء عنهم. فمن عفاً عنهم فإنهم يحبونه ويكرمونه لذلك؛ بل ويسود به عليهم؛ كما قال أعرابي لأهل البصرة: من سيّد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم.

وما أحسن قول بعض السلف في وصف الدنيا وأهلها:

وما هي إلا جيفةٌ مستحيلةٌ عليها كلابٌ همُّهن اجتذابُها
فإن تجتنبها كنتَ سلماً لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابُها

انتهى كلامُ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» ص (٣٣٤-٣٦١) بتصرفٍ وتلخيصٍ. (الحديث الثالث والثلاثون).

متاع الدنيا قليل، وظلٌّ زائل!!

فمتاع الدنيا قليلٌ ذاهبٌ، وظلٌّ منقضٍ وزائلٌ:

قَالَ الْعَالِي: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّسَاء: ٧٧].

وهذا ترغيبٌ للإقبال على الآخرة؛ وتزهيدٌ في متاع الدنيا القليل الضئيل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾

[النِّسَاء: ٧٧]، أي: آخرة المتقي خيرٌ من دنياءه: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّسَاء: ٧٧]؛ أي: من أعمالكم؛ بل توفونها أتم الجزاء، وهذه تسليَةٌ لهم عن الدنيا، وترغيبٌ لهم في الآخرة، وتحريضٌ لهم على الجهاد».

وقال ابن أبي حاتم: «حدثنا أبي حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن زيد عن هشام قال: قرأ الحسن: «قل متاع الدنيا قليل». قال: «رحم الله عبداً صاحبها على حسب ذلك؛ وما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجلٍ نام نومة، فرأى في منامه بعض ما يجب ثم انتبه».

وقال ابنُ معين: كان أبو مصهر ينشد:

«ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار المقام نصيب
فإن تُعجب الدنيا رجلاً فإنها متاعٌ قليلٌ والزوال قريب»
انتهى

إذا كان متاعُ الدنيا إلى فناء؛ فلم الانبساطُ إليها، والانبذاعُ بها، ولم الضحكُ الذي يفتك بصاحبه؟! ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التَّوْبَةِ: ٨٢].

وعن ابن عباس في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التَّوْبَةِ: ٨٢]،

قال: «الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت وصاروا إلى الله تعالى؛ استأنفوا

في بكاءٍ لا ينقطع عنهم أبداً»^(١). - يعني في (الآخرة) - أو -: (في النار)؛ فلم الضحك الشديد؟ فابكِ على نفسك من الآن؛ وخف من الواحد الديان قبل فوات الأوان، وقبل أن يقال: مات فلان!!

فجعل الله سبحانه الدنيا داراً فانية مزينة بزينة زائلة؛ وما جعلها دار قرار، ولكن كما قال: ﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

وهذا مثل آخر للدنيا:

قَالَ عَلِيٌّ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيْنَتْ وَطَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدَرُوا عَلَيْهَا أَمْرَنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿

[يُونُس: ٢٤-٢٥].

قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» (٣٩٩، ٣٩٨/٢): «ضرب تبارك وتعالى مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها ومما تأكل الأنعام من آب وقضب وغير ذلك. ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: زينتها الفانية.

﴿وَازَّيْنَتْ﴾ أي: حسنت بما خرج في ربها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان.

(١) أخرجه أسد بن موسى في «الزهد» رقم [١]، وصححه الحويني؛ وراجع الطبري عند هذه الآية، وكذا ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٦٣ / ٧).

﴿وَطَرَبَ أَهْلُهَا﴾ الذين زرعوها وغرسوها.

﴿أَنْتُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على جذاذها وحصادها؛ فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة فأيسست أوراقها وأتلفت ثمارها، ولهذا قَالَ الْعَالِي: ﴿أَتْنَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا﴾؛ أي: يابسًا بعد الخضرة والنضارة ﴿كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ﴾؛ أي: كأنها ما كانت حينًا قبل ذلك؛ وقال قتادة: كأن لم تغن كأن لم تنعم؛ وهكذا الأمور بعد زوالها كأن لم تكن.

ولهذا جاء في الحديث ^(١): «يؤتي بأنعـم أهل الدنيا؛ فيغمس في النار غمسة، فيقال له: هل رأيت خيرًا قط، هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا، ويؤتى بأشد الناس عذابًا في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة، ثم يقال له: هل رأيت بؤسًا قط؟ فيقول: لا»، وقال الْعَالِي إخبارًا عن المهلكين: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَشِيمًا﴾ ^(٢٧) ﴿كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا﴾ [هــود: ٦٧-٦٨]، ثم قَالَ الْعَالِي: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [يونس: ٢٤]؛ أي: بين الحجج والأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ﴾ فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعًا مع اغترارهم بها وتمكنهم وثقتهم بمواعيدها وتفلقها عنهم؛ فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها».

وقال السعدي في «تيسير الكريم»: [يونس: ٢٤-٢٥]: «وهذا المثل من أحسن الأمثلة؛ وهو مطابق لحالة الدنيا؛ فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك؛ يزهو لصاحبه إن زها وقتًا حقيرًا، فإذا استكمل وتم؛ اضمحل وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها ممتلى القلب من همها وحزنها وحسرة».

ثم قال ابن كثير: «وقد ضرب الله تعالى الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتابه العزيز؛ فقال في سورة الكهف: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

(١) وهو صحيح، وسيأتي.

فَاخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْدِرًا ﴿٤٥﴾ [الكهف: ٤٥]، وكذا في سورة [الزَّهْر: ٢١]، و[الْحَزَنُ: ٢٠] يضرب الله بذلك مثل الحياة الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ الآية [يُونُس: ٢٥]؛ لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة زوالها رغب في الجنة، ودعا إليها، وسماها دار السلام أي من الآفات والنقائص والنكبات؛ فقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يُونُس: ٢٥] اهـ.

قلت: وقد أورد ابن القيم عددًا من الآيات في هذا الباب؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الْأَنْعَام: ١٦-١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]؛ أي: وإنا لمصيروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار؛ فنجعل كل شيء عليها هالكًا صعيدًا جرزًا لا ينبت ولا ينتفع به. أو: وإن ما عليها لفانٍ وبائِدٍ وإن المرجع لإلى الله (١).

قال ابن القيم في «المدارج» (٢) - بعد تعداده لهذه الآيات -: «والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا، والإخبار بخستها وقلتها وانقطاعها، وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها؛ فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا أقام في قلبه شاهدًا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة، ويؤثر منها ما هو أولى بالإيثار» انتهى.

وَقَالَ الْعَالِي: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الْأَنْعَام: ٣٢]

قال أبو عبد الله القرطبي في «التفسير» (٢٦٦/٦) وما بعدها عند هذه الآية:
«فيه مسألتان:

الأولى- قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؛ أي: لقصر مدتها؛ كما قال:

(١) ابن كثير (٣/ ٧٠).

(٢) (١/ ٤٣٧)، (المنزلة الثامنة عشر: الزهد).

فاعمل على مهل فإنك ميت وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة فأفنيتهما هل أنت إلا كحالم

وقال آخر:

فاعمل على مهل فإنك ميت واكسح لنفسك أيها الإنسان
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى وكأن ما هو كائن قد كان

❖❖ وقيل: المعنى: متاع الحياة الدنيا لعب وهو؛ أي: الذي يشتهونه في الدنيا لا عاقبة له، فهو بمنزلة اللعب واللهو.

ونظر سليمان بن عبد الله في المرأة؛ فقال: أنا الملك الشاب؛ فقالت له جارية

له:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب كان في الناس غير أنك فاني

وقيل: ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ باطل وغرور؛ كما قال: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ

الْعُرُورِ﴾ [الزمر: ١٨٥]؛ فالمقصود بالآية تكذيب الكفار في قولهم: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾

[الأنعام: ٢٩]، واللعب معروف، والتلعب الكثرة اللعب، والملعب مكان اللعب، يقال:

لعب يلعب. واللهو أيضًا معروف، وكل ما شغلك فقد ألهاك، وهوت من اللهو، وقيل:

أصله الصرف عن الشيء؛ من قولهم: لهيئته عنه؛ قال المهدوي: وفيه بعد؛ لأن الذي معناه

الصرف لأمه ياء بدليل قولهم: لهيان، ولأم الأولى واو.

الثاني- ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة؛ فإن حقيقة اللعب ما لا

ينتفع به، واللهو ما يُلتهى به، وما كان مرارًا للآخرة خارج عنهما؛ وذم رجل الدنيا عند

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقال عليٌّ: «الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها»^(١).

وقال محمود الورّاق:

لا تُتبع الدنيا وأيامها ذمًّا وإن دارت بك الدائرة
من شرف الدنيا ومن فضلها أن بها تستدرك الآخرة^(٢)
وروى أبو عمر بن عبد البر^(٣):

* عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا ملعونةٌ. ملعونٌ ما فيها إلا ما كان فيها من ذكر الله أو أدى إلى ذكر الله، والعالم والمتعلم شريكان في الأجر، وسائر الناس همج لا خير فيه». وأخرجه الترمذي^(٤) عن أبي هريرة، وقال: «حديث حسن غريب».

وروى الترمذي^(٥) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء».

- (١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» [١٤٧]، وفي «إصلاح المال» [١٠٨]، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/٤٩٨)، بإسنادٍ فيه نظر؛ كما قال ابن رجب في «جامعه» [٣٩٩].
- (٢) انظر: «صيد الخاطر» ص [١٥٩، ١٦٠]، (فصل: الدنيا معبر الآخرة).
- (٣) بإسنادٍ ضعيفٍ: وهو عنده في «جامع بيان العلم» (١/١٣٣) رقم [١٣٣]، وقد قوّاهُ محققه بطرقه حَفِظَ اللَّهُ، وضعف الألباني في «الإرواء» رقم [٤١٤] الزيادة: «والعالم والمتعلم...».
- وانظر: «الزهد» لأحمد ص [١٧٠] عن أبي الدرداء موقوفاً بهذا اللفظ.
- قلتُ: وقد أورده العلامة الألباني في «الصحيحة» رقم [٢٧٩٧]، وحذفه من «الضعيفة».
- (٤) في «السنن» رقم [٢٣٢٢]، وكذا ابن ماجه [٤١١٢]، وغيرهم.
- وانظر: «العلل» للدارقطني (٥/٨٩) [٧٣٥]، وابن أبي حاتم في «علله» (٢/١٢٤)، و«الضعيفة» [٣٦١٥]، كما في «ضعيف الجامع» (٣/١٦١، ١٦٢) رقم [٣٠١٩].
- (٥) في «السنن» رقم [٢٣٢]، وكذا ابن ماجه [٤١١٠]، وهو حديثٌ منازعٌ فيه، وله طرقٌ كثيرة، بينها الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/٢٥٢)، وكلها لا تخلو من مقال، وراجع «شرح ابن ماجه =

وقال الشاعر:

تمتع من الأيام إن كنت حازماً فإنك منها بين ناهٍ وأمر
إذا أبغت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر
ولن تعدل من الدنيا جناح بعوضة ولا وزن رقٍّ من جناح لطائر
فما رَضِيَ الدنيا ثواباً لمحسن ولا رَضِيَ الدنيا عقاباً لكافر

وقال ابن عباس: «هذه هي حياة الكافر؛ لأنه يُزجى في غرور وباطل؛ فأما حياة المؤمن فتنتوي على أعمال صالحة، فلا تكون لهواً ولعباً».

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة لبقائها، وسميت آخرة، لتأخرها عنا، والدنيا لدنوها منا. ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: الشرك. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا يعقلون أن الأمر هكذا؛ فيزهدوا في الدنيا، والله أعلم» انتهى المراد.

* واعلم أنه مهما أُوتي العبد من نعيم في الدنيا وهو بعيد عن الله وعن طاعته؛ فذلك لا ينجيه من العذاب، وانظر إلى أنعم أهل الدنيا في الدنيا كيف يكون حاله في الآخرة إذا كفر بنعم الله عليه، ولم يستسلم لأمر ربه ونبيه ﷺ؛ كما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأَنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا، من أهل الجنة، فيُصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم! هل

= لمغلطاي» (٤/٤٦٦)، و«فيض القدير» (١/٥٥) و(٥/٣٢٨)، و«الصحيحة» [٦٨٦، ٩٤٣]،

وقوّاه بشواهد الشيخ الأرناؤوط في تعليقه على «السير» (١٤/٥٥١) والحديث يُحسّن لغيره،

والله أعلم.

(١) رقم [٢٨٠٧].

رَأَيْتَ بؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّبَكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ! يَا رَبِّ! مَا مَرَّبَنِي بؤْسٌ قَطُّ؟ وَلَا رَأَيْتَ شِدَّةً قَطُّ».

فَلَا تَضْحَكُ كَثِيرًا؛ وَلَكِنْ ابْكُ كَثِيرًا، وَلِيَكُنْ شُغْلُكَ بِمَا أَنْتَ قَادِمٌ عَلَيْهِ. فَكَّرْ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقِيَامَةِ وَالنَّارِ، وَلَا تَتَشَاغَلْ بِحُطَامٍ فَإِنَّ لَا يَبْقَى وَلَا يَنْفَعُ.

فَلَا سُرُورَ وَلَا قِرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ - وَإِنْ مَلَكَ الْعَبْدُ الدُّنْيَا - إِذَا انْشَغَلَ بِهَا، وَتَرَكَ فَرَائِضَ اللَّهِ، وَارْتَكَبَ مُحَارِمَهُ، وَلَمْ يَمْتَثِلْ أَوْامِرَهُ، وَلَمْ يَحْتَنِبْ نَوَاهِيَهُ وَزَوَاجِرَهُ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي «الْفَتَاوَى» (١٤٢/٢٠): «وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْحِرْصَ وَالرَّغْبَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الدَّارِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَالسُّلْطَانِ مُضِرٌّ؛ كَمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ ^(١) عَنْ كَعْبِ ابْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ذَنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي زُرِّيَّةِ غَنَمٍ بِأَفْسَدِ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

فَذَمَّ النَّبِيُّ ﷺ الْحِرْصَ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ وَهُوَ الرِّيَاسَةُ وَالسُّلْطَانُ. وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ يَفْسِدُ الدِّينَ مِثْلَ أَوْ فَوْقَ إِفْسَادِ الذَّائِبِينَ الْجَائِعِينَ لَزُرِّيَّةِ الْغَنَمِ.

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحِرْصَ إِنَّمَا ذَمٌّ؛ لِأَنَّهُ يَفْسِدُ الدِّينَ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، فَكَانَ تَرْكُ هَذَا الْحِرْصِ بِصَالِحِ الْعَمَلِ...

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ أَيْضًا فِي «الْفَتَاوَى» (١٠٨/١١): «فَحِرْصُ الرَّجُلِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ يُوْجِبُ فُسَادَ الدِّينِ، فَأَمَّا مَجْرَدُ الْحُبِّ الَّذِي فِي الْقَلْبِ إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَفْعَلُ مَا

(١) فِي «السَّنَنِ» [٢٣٧٦]، وَأَخْرَجَهُ كَذَلِكَ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٤٥٦، ٤٦٠)، وَابْنُ خَارِي فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ» (مُعْلَقًا ١/٤٩)، وَالدَّارِمِيُّ [٢٧٣٠]، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» [٣٢٢٨] بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، كَمَا قَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ فِي «الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ» (٣/٣٠٢)، وَفِي الْبَابِ عَنْ عِدَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ أَلْفَ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ فِيهِ رِسَالَةً مُفْرَدَةً؛ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ رِسَائِلِ ابْنِ رَجَبٍ» (١/٦١) طِ الْفَارُوقِ.

أمره الله به، ويترك ما نهى الله عنه، ويخاف مقام ربه، وينهى النفس عن الهوى، فإن الله لا يعاقبه على مثل هذا إذا لم يكن معه عملٌ وجمعُ المال، إذا قام بالواجبات فيه، ولم يكتسبه من الحرام، لا يعاقب عليه، لكن إخراج فضول المال، والاقتصار على الكفاية أفضل وأسلم وأفرغ للقلب، وأجمع للهمم، وأنفع في الدنيا والآخرة» اهـ.



سؤال الله للعبد يوم القيامة عن المال

اعلم - أخي - أن الإنسان سيسأل عن كل شيء امتلكه في هذه الحياة الدنيا ولا ريب؛ فيسأل عن النقيير والقطمير، وعن الصغير والكبير.
ومما سيسأل عنه، ولا بد:

المال

المال هو مال الله، ولو ملكه للإنسان، فإنه ليس تملكاً حقيقياً، فإنه لو كان تملكاً حقيقياً لما سئل عنه.

ومن الأدلة الدالة على سؤال الله العبد عن المال:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، وكان في مطلعها: ﴿أَلْهَنَكُمْ أَثْكَارُ﴾.

والمراد: التفاخر والتباهي بالأموال وكثرتها.

فالعبد إذا لم يؤد شكر ذلك بالطاعة، وأداء حق الله؛ عوقب على ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ثم لتسألن عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة، والأمن، والرزق، وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته».

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ الذي تنعم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه، فينعمكم نعيماً أعلى منه وأفضل، أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره، بل ربما استعنتم به على معاصي الله، فيعاقبكم على ذلك؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طِينَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الحجرات: ٢٠] اهـ.

ومن ذلك:

❖ ما رواه مسلم في «صحيحه» (٩٤ / ١٨ نووي) من حديث مطرف، عن أبيه، قال: أتيت النبي ﷺ، وهو يقرأ: ﴿الْهَكْمُ الْكَافِرُ﴾، قال: «يقول ابن آدم: مالي! مالي! قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»^(١).

❖ وفي «صحيح مسلم» أيضًا^(٢) من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يقول العبد: مالي! مالي! إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس».

❖ وفي «سنن الترمذي» [٢٤١٧] بإسناد حسن لغيره^(٣) من حديث أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».

أخرجه الدارمي [٥٤٣]، وابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» حديث [٣٠]، وأبو يعلى في «مسنده» [٣٤٣٤]، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٣٢ / ١٠).

(١) ورواه الترمذي [٣٣٥٤، ٢٣٤٢]، والنسائي (٢٣٨ / ٦)، وأحمد (٢٤، ٢٦ / ٤)، وعبد بن حميد [٥١٣]، من حديث قتادة، عن مطرف به، ومطرف هو ابن عبد الله بن الشخير.

(٢) برقم [٢٩٥٩] محمد فؤاد (٩٤ / ١٨ نووي)، وابن حبان؛ كما في «الإحسان» [٣٢٤٤].
وقد قال الطحاوي في «شرح المشكل» (٣٤٧ / ٤): «فكان ذلك على أن ما عاد من ماله إلى غيره بعد وفاته أنه ليس هو مالا له؛ إذ لا منفعة لدينه حينئذ، كما لا منفعة له في مال غيره، ونعوذ بالله من ذلك، وإياه نسأل التوفيق».

(٣) لأجل أبي بكر بن عياش؛ فهو حسن الحديث، وسعيد بن عبد الله بن جريج صدوق ربها وهم.

قلت: وفي الباب حديث أخرجه الترمذي [٢٤١٦]، قال: حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا حصين بن نمير أبو محصن، قال: حدثنا حسين بن قيس الرحبي، قال: حدثنا عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم».

قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ، إلا من حديث الحسين بن قيس، وحسين بن قيس يُضعَّف في الحديث من قبل حفظه» اهـ.

فالحديث من هذا الوجه ضعيف لا يثبت، وأقلُّ أحواله أن يكون شاهداً لحديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فسارع أخي بالتخلص من هذا المال، ولا أعني إضاعته، والتفريط فيه، وإنما أعني المسارعة في تسخيره في الحلال الطيب، وإنفاقه في سبيل الله، وأكثر من ذلك في وجوه الخير، ولا تكن من جامعيه^(١)، ومكتنزيه، ومع ذلك، فأنت به شحيح، فتصدق وتَعَجَّل بالصدقة، قبل حلول الأجل، وقبل أن تأتيك منيتك، وأنت خاوي من صحيفتك، وتذكر حديث نبيك محمد ﷺ، الذي أخرجه الشيخان^(٢) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انتهيت إلى النبي ﷺ، وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رأني قال: «هم

(١) أي: لا يكن المال همك الأكبر، ونهمتك العظمى، في هذه الحياة، وقد قال ﷺ: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا» أخرجه الحاكم (٩٢/١)، والبيهقي في «المدخل» (٣٥٢/١) من طريق: أبي عوانة عن قتادة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قلت: وقتادة مدلس وقد عنعن. لكن للحديث طرقٌ قواه بها السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٦٧٩/١)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (٢٨٨/٢).

(٢) البخاري [٦٦٣٨]، ومسلم (٧/٧٣ نووي)، (حديث ٩٩٠ تحقيق محمد فؤاد).

الأخسرون وربّ الكعبة» قال: فجئتُ حتى جلستُ فلم أبقَ (١) أن أقم، فقلت: فذاك أبي وأمي من هم؟ قال: «هم الأكثرون أموالاً، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا» من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله: «وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ، وَلَا بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُوْدِي زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمُ مَا كَانَتْ، وَأَسْمَنُهُ تَنْطَحُهُ بِقَرُونِهَا، وَتَطْوُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا نَفَدَتْ أَخْرَاهَا عَادَتْ إِلَيْهِ أَوْلَاهَا. حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ».

وَكُنْ - أَخِي - مِنْ أَهْلِ الدُّثُورِ، الَّذِينَ يَذْهَبُونَ بِالْأَجُورِ.

✽ أخرج مسلم في «صحيحه» [١٠٠٦] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ (٢)، يَصْلُونَ كَمَا نَصَلِي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفَضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ:

(١) أي: لم يمكنني القرار والثبات.

(٢) قال ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» ص [٥٦-٥٧]:

«وفي هذا الحديث دليل على أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة، وقوة رغبتهم في الخير، كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير، مما يقدر عليهم غيرهم، فكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقة بالأموال التي يقدر عليها الأغنياء، ويحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد؛ لعدم القدرة على آله، وقد أخبر الله عنهم بذلك في كتابه، فقال: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]».

تنبيه:

وأهل الدثور: هم أصحاب الأموال، والشرع لا يمنعهم من ذلك، والشرعة تقرُّ أصحاب الأموال والثروات، إذا كانوا يؤدّون حق الله فيها، ويجوّزُ لهم جمع المال بشرطه، وهكذا فهم الحافظ ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قول سعد بن أبي وقاص: «وَأَنَا ذُو مَالٍ كَثِيرٍ». فقال: «فيه إباحة جمع المال بشرطه» «الفتح» (٤٣٣/٥).

«أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدهما شهوته، ويكون له فيها أجر؟! قال: «أرأيتم لو وضعها في الحرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال؛ كان له أجر».



اجعل همك همَّ المعاد

ولا تجعل الدنيا أكبر همك؛ وأفرغ هموم الدنيا من قلبك ما استطعت؛ واجعل همك همًّا واحدًا؛ هم الآخرة؛ واعلم يقينًا أن من كانت همته ونيته الآخرة أتمته الدنيا وهي مقهورة راغمة.

❦ ففي «سنن ابن ماجه»^(١) و«مسند أحمد» من حديث زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همَّه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته؛ جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».

(١) برقم [٤١٠٥]، وأحمد (١٨٣/٥) بسياق طويل) وفي «الزهد» له ص [٣٣]، وأخرجه كذلك أبو داود [٣٦٦٠]، والترمذي [٢٦٥٦]، وابن ماجه [٤١٠٥]، والدارمي [٢٢٩]، والنسائي في «الكبرى» [٥٨١٧] والطيلوسي في «مسنده» [٦١٧] من طرق عن شعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه عن زيد بن ثابت به.

قلت: وإسناده صحيح، وجوّد سنده العراقي في «تخريج الإحياء» (١١٦٩/٢)، وقبله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٤٣٢/٣)، وصححه البوصيري في «مصابيح الزجاجة» (٢١٢/٤)، وقال المنذري في «الترغيب» (٥٦/٤): «رواته ثقات»، وقال (٥٧/٤): «إسناده لا بأس به».

- وقد توبع أبان بن عثمان من عجلان المدني؛ كما عند الطبراني في «الأوسط» (٢٠١/٧) وفي إسناده عراك بن خالد فيه لين؛ كما في «التقريب».

- وللحديث شاهد عن أنس عند الترمذي [٢٤٦٥]، وفي إسناده يزيد الرقاشي وهو ضعيف. لكن لا بأس به في المتابعات؛ كما قال المنذري في «الترغيب» (٥٧/٤)، وفيه أيضًا الربيع بن صبيح صدوق سيء الحفظ؛ كما قال في «التقريب».

- وله شواهد أخرى أقواها ما سطرته هنا، ويشهد له في المعنى أيضًا الحديث الآتي: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى.. الحديث» وسيأتي.

- وقد استشهد بحديثنا عددٌ من الأئمة وتناوله بالشرح والبيان، فمعناه صحيح ليس بمستنكر، والله تعالى أعلم.

تنبيه: اعلم أن ما كتب للعبد من الرزق يأتيه لا محالة؛ إلا أنه من طلب الآخرة يأتيه رزقه بلا تعب، ومن طلب الدنيا يأتيه بتعب وشدة ومشقة. «تعليق محمد فؤاد على ابن ماجه».

راغمة: أي مقهورة.

فمن جعل الهموم همًّا واحدًا؛ همَّ المعاد، كفاه الله همَّ دنياه.

ولو قام العبد بأوامر الله، وسلك ما يحبه الله ويرضاه، واشتغل بعبادة ربه ومولاه، مع القناعة باليسير، والرضا بالقليل؛ لامتأ القلب بالغنى وعدم التطلع والاستشراف إلى حطام الدنيا الفاني، والغنى الحقيقي هو غنى النفوس.

وفي «سنن الترمذي»^(١) و«سنن ابن ماجه» وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وله شاهدٌ من حديث معقل بن يسار عند الحاكم في «المستدرک»^(٢) وهو صحيح لغيره؛ ولفظه: إن رسول الله ﷺ قال: «يقول ريكتم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تضرغ لعبادتي أماً قلبك غنى وأماً يديك رزقاً، يا ابن آدم لا تباعد مني فأماً قلبك فقراً، وأماً يديك شغلاً».

وشاهدٌ من التنزيل في قول الله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]؛ بل وَقَالَ الْعَالِي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ^(٤) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿[الدَّارِ الْآخِرَةِ: ٥٦-٥٨]

وفي «مسند أحمد»^(٣) من حديث أبي واقد الليثي قال: كنا نأتي النبي ﷺ إذا أنزل عليه، فيحدثنا، فقال لنا ذات يوم: «إن الله عزَّ وجلَّ قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة

(١) برقم [٢٤٦٦]، وابن ماجه [٤١٠٧]، وابن أبي شيبة (١٢٦/٧)، وفيه زائدة بن نسيط؛ قال فيه الحافظ: «مقبول»؛ أي: حيث يتابع. وجهه ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٤/٦٤٢)، ووافقه الألباني في «الصحيحة» [١٣٥٩]، وللحديث شاهدٌ يقويه قد أشرت إليه. وجوده ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/٢٦٢).

(٢) (٣٢٦/٤).

(٣) برقم [٢١٩٠٦].

قلت: وفي سنده هشام بن سعد متكلم فيه إلا أنه ثبت في روايته عن زيد بن أسلم كما قال أبو داود، واستشهد به الشيخان؛ كما في «تهذيب المزي».

وايتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحب أن يكون إليه ثانٍ، ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب.

أما من شغلته الدنيا عن العمل للآخرة؛ فهذا كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا آلِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الْغَافِق: ٥١].

وفي «سنن الترمذي»^(١) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري قالا: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع؛ فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ قال: فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني».

قال الترمذي: «ومعنى: «اليوم أنساك» يقول: اليوم أتركك في العذاب، هكذا فسروه. ترأس: من الرئاسة والتقدم على القوم، وتربع: تأخذ ربع الغنيمة».

وفي رواية لمسلم [٢٩٦٨]: «فيلقى العبد فيقول: أي فل؟ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. قال: فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني».

ومن علم حقيقة الدنيا؛ جعلها زاداً لآخرته. فلا تكنُ للدنيا حريصاً، تخدمها وهي تزجرك عن نفسها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل، كأنك لم تر حريصاً محروماً، ولا زاهداً مرزوقاً، ولا ميتاً عن كثير، ولا متبلغاً عن الدنيا باليسير.

ومن عرف أن الدنيا كالثلج يذوب، والآخرة كالدر يبقى؛ قويت رغبته في بيع هذه بتلك، وقد قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَفْءَدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [الحَاج: ٩٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْقَى﴾ [النَّاس: ٧٧].

(١) برقم [٢٤٢٨]، وسنده حسن؛ وأخرجه أحمد (٤٩٢/٢٠) بسند صحيح.

رغبة النبي ﷺ عن طيبات الدنيا

لقد رغب رسول الله ﷺ عن طيبات الحياة الدنيا ورفضها، وقنع بالقليل، ورضي باليسير، وكان بإمكانه أن يحصل له من التوسع والتبسط فيها؛ ولكنه أثر الباقي على الفاني؛ وقال له ربه: ﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤].

قال الحافظ ابن كثير: «أي: والدار الآخرة خيرٌ لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهّد الناس في الدنيا، وأعظمهم لها إطراحاً؛ كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خيّر عليه السّلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله عزّ وجلّ؛ اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية» انتهى.

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر بن الخطاب قال: قلت: يا رسول الله! ادع الله فليوسع على أمتك؛ فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئاً؛ فقال: «أَوْ فِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ؟ أَوْلَيْتَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طِيبَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا».

وفي رواية لمسلم: «فدخلتُ على رسول الله ﷺ وهو مضطجعٌ على حصير. فجلست فأدنى عليه إزاره. وليس عليه غيره. وإذا الحصير قد أثّر في جنبه. ومثلها قرطاً في ناحية الغرفة. وإذا أفيقٌ معلق. قال: فابتدرت عيناى. قال: «ما يبكيك؟ يا ابن الخطاب!» قلتُ: يا نبي الله! وما لي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثّر في جنبك. وهذه

(١) البخاري [٢٤٦٨]، ومسلم [١٤٧٩]، وهو جزءٌ من حديث طويل.

قلت: تقدّم أن توظيف المال في سبيل الخير لا ينافي الزهد - بمعنى أن الغنى لا ينافي الزهد -؛ وكيف والنبي ﷺ بهذه الحال؟

والجواب - كما ذكر - أن المال إنما يرغب فيه ليستعان به على الآخرة، والتقرب إلى الله وطاعته به؛ والنبي ﷺ لم يحتج إلى المال من هذا الوجه. ومن ثمّ رفض الدنيا أياً رفض، ورغب عنها رغبة في الحياة الطيبة الدائمة - الآخرة - وانظر: «الفتح» (١١/ ٢٨٤، ٢٨٥).

خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار. وأنت رسول الله ﷺ وصفوته. وهذه خزانتك؛ فقال: «يا ابن الخطاب! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟».

❦ ولذلك قال رسول الله ﷺ؛ كما في «سنن الترمذي» برقم [٢٣٧٧]، و«مسند أحمد» [٣٧٠٩]، وابن ماجه في «السنن» برقم [٤١٠٩] بسند صحيح^(١) من حديث عبد الله بن مسعود قال: نام رسول الله ﷺ على حصير؛ فقام وقد أثر في جنبه؛ فقلنا: يا رسول الله! لو اتخذنا لك وطاءً؟ فقال: «ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتركها».

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

وفي «مسند أحمد» [٢٧٤٤]^(٢)، من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصيرٍ قد أثر في جنبه؛ فقال: يا نبي الله، لو اتخذت فراشاً أو ثر من هذا؟ فقال: «ما لي وللدنيا؟ ما مثلي ومثل الدنيا، إلا كراكبٍ سار في يوم صائفٍ، فاستظل تحت شجرة ساعةً من نهار، ثم راح وتركها».

* وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرُّني أن لا تمر عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيءٌ إلا شيئاً أرصدهُ لدينٍ».

(١) وانظر: «المسند» برقم [٤٢٠٨].

(٢) وأخرجه عبد بن حميد برقم [٥٩٧]، وسنده حسن، على كلامٍ في هلال بن خباب؛ فقال الحافظ في «التقريب» [٨٢٥٨]: «صدوق تغير بأخرة».

(٣) البخاري [٦٤٤٥]، ومسلم [٩٩١].

وفي «الصحيحين»^(١) أيضًا من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أمشي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حرّة المدينة فاستقبلنا أحدٌ؛ فقال: «يا أبا ذر!» لت: لبيك يا رسول الله! قال: «ما يسرّني أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا تمضي عليّ ثلاثة وعندي منه دينار، إلا شيئًا أرصدُهُ لديّن، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا - عن يمينه وشماله، ومن خلفه - ثم مشى، ثم قال: إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا - عن يمينه وعن شماله ومن خلفه - وقليل ما هم... الحديث».

معاني:

- أرصدُهُ لديّن: أعدُهُ لديّن.

قال الحافظ في «الفتح» (٢٧٥/١١): «في الحديث: الحث على الإنفاق في وجوه الخير، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في أعلى درجات الزهد في الدنيا، بحيث أنه لا يجب أن يبقى بيده شيءٌ من الدنيا إلا لإنفاقه فيمن يستحقه، وإما لإرصاده لمن له حق.. وفيه تقديم وفاء الدين على صدقة التطوع».

فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزهّد الناس في الدنيا مع القدرة عليها، وإذا حصلت له، ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله، ولم يدّخر لنفسه شيئًا لغد؛ فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينظر إلى هذه الدنيا نظرة قومٍ قد تسارعوا إليها وتنافسوا فيها؛ وأدّى ذلك إلى مشاحنات وخصوماتٍ فيما بينهم، بل وبين الإخوة أنفسهم في أمور الميراث ونحوها؛ وهذا مصداق ما أخبر به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم^(٢) من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «...فوالله! ما

(١) البخاري [٦٤٤٤]، ومسلم [٩٤].

(٢) البخاري [٣١٥٨، ٤٠١٥]، ومسلم [٢٩٦١].

الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم، كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم».

وزاد بعضهم: «وتلهيكم كما ألهتهم».

* قال الحافظ في «الفتح» (٣٠٤ / ٦): «وفي هذا الحديث... أن المنافسة في الدنيا، قد تجرُّ إلى هلاك الدين».

قلت: وقد بَوَّبَ له البخاري في موضعٍ من «صحيحه» حديث [٦٤٢٥]، بقوله: «باب: ما يحذر من زهرة الدنيا، والتنافس فيها».

وقال الحافظ في شرحه هناك؛ في «الفتح» (٢٤٩ / ١١):

- قوله: «فوالله! ما الفقر أخشى عليكم»: «وهذه الخشية يحتمل أن يكون سببها؛ علمه أن الدنيا ستفتح عليهم، ويحصل لهم الغنى بالمال».

- وقوله: «فتنافسوها»: «والتنافس من المنافسة؛ وهي: الرغبة في الشيء، ومحبة الانفراد به، والمغالبة عليه».

- وقوله: «فتهلككم»: «أي: لأن المال مرغوبٌ فيه؛ فترتاح النفس لطلبه، فتمنع منه، فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك».

قال ابن بطال: «فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فنتتها، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها. ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى؛ لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجرُّ إلى هلاك النفس غالباً، والفقير آمن من ذلك» انتهى.

❁ وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٩٦٢] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟» قال

عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله ^(١)، قال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك. ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض».

- معاني:

- التدابر: الإعراض والتقاطع.

- تجعلون بعضهم على رقاب بعض: أي تجعلون بعضهم أمراء على بعض.

* قال النووي في «شرح مسلم» (١٨/٩٦، ٩٧):

قال العلماء: التنافس إلى الشيء؛ المسابقة إليه وكرهه أخذ غيرك إياه، وهو أول درجات الحسد.

وأما الحسد؛ فهو تمني زوال النعمة عن صاحبها.

والتدابير: التقاطع. وقد بقى مع التدابر شيء من المودة أو لا يكون مودة ولا بغض؛ وأما التباغض؛ فهو بعد هذا؛ ولهذا رتب في الحديث؛ ثم ينطلقون في مساكين المهاجرين: أي: ضعفاءهم فيجعلون بعضهم أمراء على بعض؛ هكذا فسروه انتهى.

وفي «الصحيحين» ^(٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «إِنْ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يَفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا».

(١) أي: نحمده ونشكره ونسأله المزيد من فضله. قاله النووي.

(٢) البخاري [١٤٦٥]، ومسلم [١٠٢٥].

وفي رواية ^(١): «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم من بركات الأرض؟»
 قيل: وما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا»: فقال له رجل: هل يأتي الخير بالشر ^(٢)؟
 فصمت النبي ﷺ حتى ظننت أنه ينزل عليه ^(٣)، ثم جعل يمسح عن جبينه،
 فقال: «أين السائل» قال: أنا. قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع لذلك، قال النبي
 ﷺ: «لا يأتي الخير إلا بالخير؛ إن هذا المال خضرة حُلوة، وإن كل ما أنبت
 الربيع يقتل حبطاً أو يُلِمُّ، إلا آكلة الخضرة، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها
 استقبلت الشمس، فاجترت وسلطت وبالت، ثم عادت فأكلت، وإن هذا المال حلوة.
 من أخذه بحقه، ووضعها في حقه، فنعم المعونة هو. وإن أخذه بغير حقه كان كالذي
 يأكل ولا يشبع».

- معاني الحديث:

- زهرة الدنيا: المراد بالزهرة: الزينة والبهجة؛ والمراد: (ما فيها من أنواع المتاع
 والثياب والزروع وغيرها مما يفتخر الناس بحسنه مع قلة البقاء).
 - «المال خضرة حلوة»: قال الحافظ: «معناه أن صورة الدنيا حسنة مؤنقة، والعرب
 تسمي كل شيء مشرق ناضر أخضر».

قال ابن الأنباري: قوله: «المال خضرة حلوة»: «ليس صفة المال، وإنما هو للتشبيه،
 كأنه قال: المال كالبقلة الخضراء الحلوة. أو (التاء) في قوله: «خضرة وحلوة» باعتبار ما
 يشتمل عليه المال من زهرة الدنيا، أو: على معنى فائدة المال أي أن الحياة به أو العيشة،

(١) للبخاري [٦٤٢٧]، ومسلم أيضاً.

(٢) أي: هل يستجلب الخير الشر؟ والمعنى: أتصير النعمة عقوبة؟ لأن زهرة الدنيا نعمة من الله؛ فهل
 تعود هذه النعمة نقمة؟. «الفتح» (١١/ ٢٥٠).

(٣) أي: الوحي.

أو: أن المراد بالمال هنا الدنيا لأنه من زيتها؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦)، وقد وقع في حديث أبي سعيد أيضاً المخرج في «السنن»: «الدنيا خضرة حلوة» فيتوافق الحديثان ويحتمل أن تكون التاء للمبالغة.

- الربيع: الجدول. - حبطاً: انتفاخ البطن من كثرة الأكل.
- يُلِمُّ: يقرب من الهلاك. - الخضرة: ضرب من الكلاء يعجب الماشية.
- امتدت خاصر تائها: جانبا البطن من الحيوان (عظم جنبها من الشبع).
- اجترّت: مضغت ما أخرجته من بطنها من العلف.
- ثلطت: أَلَقَتْ ما في بطنها (الرجيع الرقيق)؛ ثم عادت فأكلت.
- ✽ والمعنى: أنها إذا شبت فثقل عليها ما أكلت تحيل في دفعه بأن تجتر فيزداد نعومة ثم تستقبل الشمس فتحمي بها فيسهل خروجه، فإذا خرج زال الانتفاع فسلمت.
- قال الأزهري: «هذا الحديث فيه مثلان:

أحدهما - للمفرط في جمع المانع من إخراجها في وجهه - وهو ما تقدّم - أي: الذي يقتل حبطاً.

والثاني - المقتصد في جمعها وفي الانتفاع بها وهو آكلة الخضر». «الفتح» (٢٥٢/١١).

✽ وقد بين النبي ﷺ أن سرّ هوان الأمة وضعفها وتكالب الأمم عليها هو حبُّ الدنيا والرغبة عن الآخرة؛ ففي «سنن أبي داود»، و«مسند أحمد»، و«مسند الطيالسي»، و«التاريخ الكبير» للبخاري، والطبراني في «الكبير»^(١) من طرق عن ثوبان

(١) أخرجه أبو داود [٤٢٩٧]، وأحمد (٢٧٨/٥)، والطيالسي [٩٩٢]، والبخاري في «تاريخه» (٣/٢/٣٥٣)، والطبراني [١٤٥٢] عن ثوبان مرفوعاً.

مولى النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل؛ ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليدققن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

وهذا إن دل فإنها هو دالٌّ على زهادته ﷺ في الدنيا واختياره الآخرة على الأولى لعلمه بمعائب الدنيا، فلم يرضها لنفسه ولا لمن يحبه من أمته؛ أعادنا الله من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة برحمته (١).



= قلتُ: وهو حديثٌ جيدٌ؛ كما قال الهيثميُّ في «المجمع» (٧/ ٢٣٠)، وقد صححه لطرقة وشواهده العلامة الألباني في «الصحيحة» [٩٥٨].
(١) قاله البيهقي في «الشعب» (٢/ ١٧٥) [١٤٧٧].

تَعُوذُ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ فَتْنَةِ الْغِنَى^(١) وَفَتْنَةِ الْفَقْرِ

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أم المؤمنين عائشة أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار، وعذاب النار، ومن فتنة الغنى»^(٣)، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كم نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب».

(١) وفي «سنن الترمذي» [٢٣٣٦]، وغيره بسند حسنٍ عن كعب بن عياض أن النبي ﷺ قال: «إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال».

بل وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَتَوَلَّكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ﴾ [التَّحَاوُن: ١٥].

(٢) البخاري [٦٣٦٨]، ومسلم [٢٠٧٩].

وقد قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٢٠): «إن غنى المال قد يكون سبب هلاك صاحبه كثيراً، فإنه معشوق النفوس، فإذا رأت من يستأثر بمعشوقها عليها سعت في هلاكه، كما هو الواقع، ثم قال: إن اللذة الحاصلة من غنى المال إما لذة وهمية، وإما لذة بهيمية، فإن صاحبه التذ بنفس جمعه وتحصيله فتلك لذة وهمية خيالية. وإن التذ بإنفاقه في شهواته فهي لذة بهيمية».

(٣) وفي رواية للبخاري [٦٣٧٧]: «وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر». وقد قال الغزالي في «الإحياء» (٣/ ٣٦٦ دار الحديث):

«ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله، وكان المال مسهلاً لها، وآلة إليها، عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية، فاستعاذ الأنبياء من شره، حتى قال نبينا ﷺ: «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً» فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمحض خيره، وقال: «اللهم أحييني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرنني في زمرة المساكين».

قلت: وهو حديثٌ منازعٌ في تصحيحه وتضعيفه.

قال الغزالي؛ كما في «الفتح» (١٨١ / ١١) في مسألة فتنة الغنى والفقر: «فتنة الغنى الحرص على جمع المال، وحبه حتى يكسبه من غير حِلِّه، ويمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه، وفتنة الفقر يراد به: الفقر المدقع، الذي لا يصحبه خير، ولا ورع، حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة، ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب، ولا في أي حالة تورط».

وقيل: «المراد به: فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها، وليس فيه ما يدل على تفضيل الفقر على الغنى، ولا عكسه» اهـ.

قلت: وهذا محمولٌ على ما إذا خشي من المال فتنة، أما إذا سأل المرء ربه إياه؛ ليقوم بالإنفاق به، وكى لا يتكفف، ويسأل الناس شيئاً، فقد سأل رسول الله ﷺ ربّه ذلك؛ كما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى».

قال النووي: «أما العفاف والعفة، فهو: التنزه عما لا يباح، والكف عنه، والغنى هنا غنى النفس، والاستعفاف عن الناس، وعما في أيديهم» اهـ.

بل دعا الرسول ﷺ لأنس بن مالك بأن يكثر الله ماله^(٢).

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله! أنس خادمك، ادع الله له، قال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته». وهذا لمن لم يخش عليه الفتنة.

(١) مسلم (٤١ / ١٦) نووي.

(٢) وقد قال ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» وهو حديثٌ صحيحٌ. أخرجه أحمد

(٢ / ٤٠٢)، وعند ابن ماجه [٢١٤١] عن يسار بن عبد الله الجهني أن النبي ﷺ قال: «لا

باس بالغنى لمن اتقى...» وقال في «الزوائد»: «إسناده صحيح».

(٣) البخاري (٢٩٨٢، ٦٣٧٩)، ومسلم [٢٤٨٠].

وفي فقه الحديث يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وفيه دليل لمن يفضل الغني على الفقير، ومن قال بتفضيل الفقير أجاب عن هذا: بأن هذا قد دعا له النبي ﷺ بأن يبارك له فيه، ومتى بورك فيه، لم يكن فيه فتنة، ولم يحصل بسببه ضرر، ولا تقصير في حق، ولا غير ذلك من الآفات التي تتطرق إلى سائر الأغنياء، بخلاف غيره» اهـ.



فَصْلٌ

مِنْ أَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الزُّهْدِ

وهذا مزيدٌ - على ما تقدّم - من أقوال سيد الورعين وإمام الزاهدين؛ في التزهيد من الدنيا، وبيان حقارتها وخستها وهوانها، والتعظيم من أمر الآخرة.

١- أخرج الشيخان^(١) من حديث أنس قال: «خرج رسول ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، قال: «اللهم إن العيش عيش الآخرة... فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة».

فقالوا مجيبين: «نحن الذين بايعوا محمداً... على الجهاد ما بقينا أبداً».

زاد في رواية^(٢): «قال: يؤتون بملء كفي من الشعير، فيصنع لهم بإهالة نسخة توضع بين يدي القوم، والقوم جياع وهي بشعة في الحلق ولها ريح متن».

إهالة: دهن يؤتدّم به (سواء كان زيتاً أو سمناً أو شحماً).

نسخة: أي تغير لونها وطعمها (من قدمها).

ريح متن: عتيقة جداً حتى عفّنت وأنتنت. «الفتح» (٧/٤٥٦).

٢- وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله

ﷺ بمنكبي؛ فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

(١) البخاري [٢٨٣٤]، ومسلم [١٨٠٥].

(٢) البخاري [٤١٠٠].

(٣) برقم [٦٤١٦]، وفي رواية عند الترمذي [٢٣٣٣]، وهناد في «الزهد» [٥٠٠]، وابن أبي شيبة

(٧٥/٧) باب (ما ذكر عن نبينا في الزهد) من طريق ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال: أخذ

رسول الله ﷺ ببعض جسدي؛ فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد =

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

المنكب: مجمع العضد والكتف.

قال الحافظ في «الفتح» (٢٣٨/١١): «قال ابن بطل:.. وفي ذلك إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره؛ فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل».

وقال غيره:

هذا الحديث أصل في الحث على الفراغ عن الدنيا، والزهد فيها، والاحتقار لها، والقناعة فيها بالبلغة.

وقال النووي: «معنى الحديث: لا تركز إلى الدنيا، ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه».

٣- وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٨٥٨] من حديث المستورد بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبه هذه في اليم فليُنظر به يرجع».

اليم: البحر.

قال النووي في «شرح مسلم» (١٩٢/١٧): «ومعنى الحديث: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها، وفناء لذاتها، ودوام الآخرة، ودوام لذاتها ونعيمها، إلا كنسبة الماء الذي يعلّق بالإصبع إلى باقي البحر».

=نفسك في أهل القبور» فقال لي ابن عمر: «إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت...». وفي سنده ضعف، وقواه بطرقه العلامة الألباني في «الصحيحة» برقم [١١٥٧].

وقال ابن القيم في «عدة الصابرين» ص [٤٥٥]: «تمثيله لها ﷺ بمُدخل

إصبغه في اليم، فالذي يرجع به إصبغه من البحر هو مثل الدنيا بالنسبة إلى الآخرة، وهذا من أحسن الأمثال؛ فإن الدنيا منقطعة فانية ولو كانت مدتها أكثر مما هي. والآخرة أبدية لا انقطاع لها، ولا نسبة للمحصور إلى غير المحصور، بل لو فرض أن السموات والأرض مملوءتان خردلاً، وبعد كل ألف سنة طائر ينقل خردلة، لفنى الخردل، والآخرة لا تفنى، فنسبة الدنيا إلى الآخرة في التمثيل كنسبة خردلة واحدة إلى ذلك الخردل» انتهى.

٤- وفي «صحيح مسلم» برقم [٤٩٥٧] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفُهُ، فَمَرَّ بِجَدِي أَسْكَ مَيْتٍ، فَتَنَاولَهُ؛ فَأَخَذَهُ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يَحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدَرَاهِمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نَحِبُّ أَنَّهُ لَنَا شَيْءٌ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ! لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسْكَ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيْتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ! لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ».

معاني:

- كنفه: جانبه. - أسك: مقطوع الأذن أو صغير الأذنين.

٥- وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٩٥٨] من حديث مطرف قال: أتيت النبي ﷺ؛ وهو يقرأ: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثُر: ١] قال: «يقول ابن آدم: مالي. مالي». قال: «وهل لك يا ابن آدم! من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟».

٦- وفي لفظ عند مسلم أيضاً [٢٩٥٩] من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقول العبدُ: مالي. مالي. إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس».

معاني:

- فاقتنى: ادخره لآخرته؛ أي: ادخر ثوابه.

وفي رواية: «فأقنى» أي: أَرْضَى. بحذف التاء. قاله النووي (٩٤ / ١٨).

٧- وفي «صحيح البخاري» برقم [٦٤٤٩] من حديث: عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء».

وأخرجه مسلم في «الصحيح» [٢٧٣٧] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قلت: والفقر وحده ليس سبباً لدخول الجنة لكن يشترط مع الفقر الصلاح؛ وعليه؛ ففيه مزية وفضيلة للفقر.

قال الحافظ في «الفتح» (٢٨٤/١١): «ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا؛ كما أن فيه تحريض النساء على أمر الدين لئلا يدخلن النار...».

٨- وفي «الشعب» لليهقي (٣٥، ٣٤ / ١٣)، وابن أبي عاصم في «الزهد» رقم [١٦٩]، وأحمد في «الزهد» ص [١٩٠]: وغيرهم من طريق (الحسن، ومورق، وأبي سفيان وغيرهم) كلهم قالوا: دخل سعد بن مالك على سلمان يعود، فقال: أبشر يا أبا عبد الله مات رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ؛ فقال سلمان: فكيف يا سعد، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليكن بلغه أحدكم من الدنيا كزاد الراكب حتى يلقاني» ولا أدري ما هذه الأساود حولي.

قال: فبكينا جميعاً. وأخرجه أيضاً وكيع في «الزهد» رقم [٦٧]، وهو صحيح، وله شاهدٌ عن خباب مرفوعاً؛ ولفظه: «إنَّما يكفي أحدكم من الدنيا كزاد الراكب» أخرجه ابن أبي عاصم في «الزهد» رقم [١٧٠]، وسنده رجاله ثقات.

وهو عند البيهقي في «الشعب» (٣٩، ٣٨ / ١٣) وابن أبي شيبة «المصنف» (٧٦ / ٧). فهذا هو الذي يكفي العبد ويغنيه أن يسير في هذه الدنيا مسير المسافر في أحماله وأثقاله وفي سيره وحلِّه وترحاله؛ فكيف! والمساكن والدور والأموال والسيارات والعقارات...!! ألا فليقتنع كلُّ امرئٍ بما قسم الله له وألا ينظر إلى من فوقه؛ وليمثل وصية إمام الزاهدين نينا محمد ﷺ التي تقدمت.

٩- وفي «صحيح مسلم» رقم [١٠٥٤] من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه».

وفي لفظٍ من حديث فضالة بن عبيد الأنصاري مرفوعاً: «طوبى لمن هدى للإسلام، وكان عيشه كفافاً وقنع»^(١).

- كفافاً: أي بقدر الحاجة. - وقنع: أي رضي به.

قلتُ: وقد بوب النوويُّ لحديث ابن عمرو بقوله: «بابٌ في الكفاف والقناعة».

وقال في «شرحه على مسلم» (١٤٥/٧): «الكفاف؛ الكفاية بلا زيادة ولا نقص».

قال المناويُّ في «الفيض» (٣٧٢/٤): «فلم يطلب زيادة عليه؛ لعلمه بأن رزقه مقسوم لمن يعدو ما قدر له، ولهذا قيل لحكيم: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك».

(١) أخرجه الترمذي [٢٣٤٩]، وأحمد (١٩ / ٦)، وفي «الزهد» ص [٨]، والنسائي في «الكبرى» [١١٧٩٣] بسندٍ صحيحٍ.

١٠- وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي سعيد الخدري؛ أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم. حتى إذا نَفَدَ ما عنده قال: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله، وما أعطى أحدٌ من عطاءٍ خيرٌ وأوسعُ من الصبر».

قال النووي (١٤٥/٧): «وفي هذا الحديث الحث على التعفف والقناعة والصبر على ضيق العيش، وغيره من مكاره الدنيا» اهـ.

وعلق البخاري قبل هذا الحديث بأثر عمر: «وجدنا خير عيشنا بالصبر».

١١- وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٩٧٩] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي قال: «سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص؛ وسأله رجل؛ فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادمًا. قال: فأنت من الملوك. قال أبو عبد الرحمن، وجاء ثلاثة نفر إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، وأنا عنده؛ فقالوا: يا أبا محمد: إنا والله ما نقدر على شيء؛ لا نفقة ولا دابة ولا متاع، فقال لهم: ما شئتم؛ إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان، وإن شئتم صبرتم؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا» قالوا: فإنا نصبر، لا نسأل شيئًا».

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩، ٦٤٧٠)، ومسلم [١٠٥٣]. وفي رواية: «ومن يتصبر يصبره الله».

١٢- وفي «السنن»^(١) من حديث عبد الله بن مغفل قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الترجل إلا غباً».

- الترجل: تمشيط الشعر وتنظيفه وتسريحه وتحسينه.

- غباً: يوماً بعد يوم (يفعل يوماً ويترك يوماً).

والمراد: النهي عن المواظبة والمداومة، والمبالغة في التزين، والتهالك به، والاشتغال بالترفه، وهذا لا يناقضه الحديث الآخر، ولفظه: «من كان له شعر فليكرمه»؛ لأن النظافة للشعر مطلوبة؛ ولكن ينبغي ألا تكون بهذه المبالغة بحيث يقف كثيراً أمام المرأة، فهذا غير محمود لما يدخل ذلك من تضييع لأوقات، المسلم أحوج إليها، وغير ذلك.

❦ وحديث: «من كان له شعر فليكرمه» أخرجه أبو داود [٤١٦٣]، وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٦٨/١٠) ثم

(١) أخرجه الترمذي [١٧٥٦]، وأبو داود [٤١٥٩]، والنسائي (٨/١٣٢)، وأحمد (٨٦/٤) من طريق: يحيى القطان عن هشام بن حسان عن الحسن البصري عنه به، وقد أعلّه الذهبي في «السير» (٣٦٣/٦)، فقال بعد هذا الطريق: «وله علة؛ فقد رواه حماد بن سلمة عن قتادة عن الحسن مرسلاً، ورواه بشر بن الفضل عن يونس عن الحسن وابن سيرين قولها «وهذا أقوى».

قلت: وأشار إلى هذه العلة النسائي في «الكبرى» [٩٣١٦]، وقال المناوي في «الفيض» (٣١١/٦): «قال أبو الوليد: وهذا وإن رواه ثقات، لكنه لا يثبت؛ لأن رواية الحسن عن عبد الله بن مغفل فيها نظر». وقال المنذري: «في الحديث اضطراب». أما تصحيح من صححه من أهل العلم؛ فلعله لشواهد؛ فله شاهد عند الترمذي في «الشائل» [٣٦]، من حديث حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يترجل غباً»، وحسنه العراقي في «المغني» كما في «تخريج الإحياء» (٨٦/١)، وصححه النووي في «المجموع» (٢٩٣/١)، وابن حجر في «الفتح» (٣٦٧/١٠)، وله شاهد عند أحمد (٢٢/٦)، وأبي داود [٤١٦٠]، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاء» وجوده العراقي في «المغني» (١١١٣/٢).

والإرفاء: الترجل كل يوم.

قال: «وله شاهدٌ من حديث عائشة في «الغيلانيات» وسنده حسن أيضًا»، وكذا حسنه النووي في «المجموع» (١/ ٢٩٣).

قلتُ: وفيه ابن أبي الزناد؛ لا يحتج به؛ لذا قال العراقي في «المغني» (١/ ٨٦): «وليس إسناده بالقوي». وعدَّ الذهبي في «الميزان» (٢/ ٥٧٦) الحديث من مناكيره؛ لكنه متابع من ابن أبي ذئب كما في جزء أبي نعيم: «تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن سعيد ابن منصور» [٥٨]، ولعل التصحيف وارد هنا في اسم ابن أبي ذئب، والله أعلم، خاصة وقد ورد من طرقٍ أخرى عن سعيد بن منصور بإثبات ابن أبي الزناد، وليس ابن أبي ذئب؛ كما في «المعجم الأوسط» للطبراني (٨/ ٢٢٦) والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٢٤)، أما شاهدهُ، وهو حديث عائشة؛ فأخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٢٤)، والطحاوي في «المشكّل» (٨/ ١٤٠)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» [٧٦٦]، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس قد عنعن. وثم شواهد أخرى فيها اختلاف، أوردها البيهقي في «الشعب» (٦٤٥٧-٦٤٦١)؛ فالطرقُ جميعها لا تخلو من مقال، والله أعلم.

١٣- وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٩٥٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(١)؛ فجعل التشديد والتضييق

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه: أن كل مسجون ممنوع في الدنيا، من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة؛ فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من نقصان، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا، مع قلته، وتكديره بالمنغصات، فإذا مات، صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد». وكثيرًا ما شاهدنا هذا ورأيناه رأي العين، بعضهم يسافر إلى ألمانيا أو إيطاليا وغيرها من دول الكفر للعمل هناك، (والله أعلم بما يعمل!!)، ثم تراه يشقى من أجل تحصيل المال لينبي بها العمارات والدور والمحلات، فإذا هو قد وصلنا خبره، وأنه قد مات! مات قبل أن يرى ثمرة ما جناه وحصله وأضاع عمره من أجله!!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

على أهل الإيمان حتى يحبوا لقاء الله وجنته ورضوانه، وجعلت الدنيا جنة للكافر حتى يكرهوا لقاء الله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥].

١٤- وفي «مسند أحمد» (١٨/٦) و«سنن الترمذي» برقم [٢٣٦٨] من حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ: كان إذا صلى بالناس يخر رجالاً من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب: هؤلاء مجانين أو مجانون؛ فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال: «لوتعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزددوا فاقة وحاجة» قال فضالة: وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ.

قال الترمذي: «حديث صحيح».

قلت: وهو كما قال رحمه الله؛ فالسند صحيح.

والخصاصة: الفاقة والجوع الشديد. قاله النووي في «الرياض» رقم [٥١٥].

١٥- وفي «الصحيحين» البخاري [٦٤٤٦]، ومسلم [٧٢٦] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض. ولكن الغنى غنى النفس».

فغنى النفس هو الكفاف.

قال الحافظ في «الفتح» (٢٧٧/١١): «قال ابن بطال: ليس حقيقة الغنى كثرة المال؛ لأن كثيراً ممن وسّع الله عليه في المال، لا يقنع بما أوتي، فهو يجتهد في الازدياد، ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير؛ لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى بما أوتي، وقنع به، ورضي، ولم يحرص على الازدياد، ولا ألح في الطلب، فكأنه غني».

ونقل الحافظ عن القرطبي قوله:

«معنى الحديث: إن الغنى النافع، أو العظيم، أو الممدوح، هو غنى النفس، وبيان أنه إذا استغنت نفسه كَفَّتْ عن المطامع فعزت، وعظمت، وحصل لها من الخطوة والنزاهة والشرف، والمدح، أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس، لحرصه، فإنه يورطه في رذائل الأمور، وخسائس الأفعال، لدناءة همته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس، ويصغر قدره عندهم، فيكون أحقر من كل حقير، وأذل من كل ذليل.

والحاصل: أن المتصف بغنى النفس يكون قانعاً بما رزقه الله^(١)، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة، ولا يلح في الطلب، ولا يلحف في السؤال، بل يرضى بما قسم الله له، فكأنه واجد أبداً، والمتصف بفقر النفس على الضد منه، لكونه لا يقنع بما أعطي، بل هو أبداً في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه، ثم إذا فاتته المطلوب حزن وأسف، فكأنه فقير من المال؛ لأنه لم يستغن بما أعطي، فكأنه ليس بغني، ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى، والتسليم لأمره، علماً بأن الذي عند الله خير وأبقى، فهو معرض عن الحرص والطلب، وما أحسن قول القائل:

غنى النفس ما يكفيك من سدِّ حاجة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً

وقال الطيبي: «يمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلمية والعملية، وإلى ذلك أشار القائل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل هو الفقر»

أي: ينبغي أن ينفق أوقاته في الغنى الحقيقي، وهو تحصيل الكمالات، لا في جمع المال، فإنه لا يزداد بذلك إلا فقراً. انتهى.

(١) كما سبق في الحديث الصحيح: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه».

ثم عَقَّبَ الحافظ بقوله: وهذا وإن كان يمكن أن يراد، لكن الذي تقدم أظهر في المراد، وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب، بأن يفتقر إلى ربه في جميع أموره، فيتحقق أنه المعطي المانع، فيرضى بقضائه، ويشكره على نعمائه، ويفزع إليه في كشف ضرائه، فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غيره، وبه تعالى.

والغنى الوارد في قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَالِيًا فَاغْنَى﴾ [التَّحِيَّاتُ: ٨] يتنزل على غنى النفس؛ فإن الآية مكية، ولا يخفى ما كان فيه النبي ﷺ قبل أن تفتح عليه خيبر، وغيرها من قلة المال، والله أعلم. اهـ كلام الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٦- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَكْبُرُ^(١) ابْنُ آدَمَ، وَيَكْبُرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ الْمَالِ، وَطُولُ الْعُمُرِ».

أخرجه البخاري [٦٤٢١]، وأحمد (٢/٣٥٨، ٤٤٧).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الْأَمَلِ»^(٢).

أخرجه البخاري [٦٤٢٠]، ومسلم [١٠٤٦].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ» (٢٤٥/١١): «قال النووي: هذا مجاز واستعارة، ومعناه أن قلب الشيخ كامل الحب للمال؛ متحكم في ذلك، كاحتكام قوة الشاب في شبابه».

(١) في رواية للترمذي [٢٤٤٢]: «يهرم ابن آدم، ويشب منه اثنتان: الحرص على العمر، والحرص على المال».

(٢) أي: محبة طول العمر، كما في حديث أنس السابق. وفي رواية للترمذي [٢٤٤١]، وأحمد (٢/٣٧٩) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين: طول الحياة، وكثرة المال» وهو عند ابن ماجه [٤٢٣٣] من طريق: العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال عياض: «هذا الحديث فيه من المطابقة، وبديع الكلام الغاية، وذلك أن الشيخ من شأنه أن تكون آماله، وحرصه على الدنيا قد بليت على بلاء جسمه، إذا انقضى عمره، ولم يبق له إلا انتظار الموت، فلما كان الأمر بضده ذم. قال: والتعبير بالشباب إشارة إلى كثرة الحرص وبعد الأمل الذي هو في الشباب أكثر، وبهم أليق، لكثرة الرجاء عادة عندهم في طول أعمارهم ودوام استمتاعهم ولذاتهم في الدنيا...».

وقال غيره: «الحكمة في التخصيص بهذين الأمرين: أن أحب الأشياء إلى ابن آدم: نفسه، فهو راغب في بقائها، فأحب لذلك طول العمر، وأحب المال؛ لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة، التي ينشأ عنها غالباً طول العمر، فكلما أحس بقرب نفاد ذلك، اشتد حبه له، ورغبته في دوامه».

١٧- وأخرج البخاري [٦٤٣٦]، ومسلم [١٠٤٩] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن لابن آدم واديان من مال؛ لا يتغنى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب».

❦ وفي رواية [٦٤٣٨]: «لو أن ابن آدم أُعطي وادياً مَلئاً من ذهب، أحب إليه ثانياً، ولو أُعطي ثانياً، أحب إليه ثالثاً، ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(١).

وانظر: «شرح النووي» (١٣٩/٧)، و«سنن الترمذي» حديث [٢٤٤٠].

١٨- وفي «صحيح البخاري» رقم [٢٨٨٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «تعس عبد الدينار والدرهم والقטיפفة والخميصه، إن أُعطي

(١) قال البخاري في «صحيحه» [٦٤٤٠]: «وقال لنا أبو الوليد، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبي قال: «كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَاكُورٌ﴾ [البكاير: ١]».

رضي، وإن لم يُعط لم يرض» وفي لفظٍ: «وإن لم يُعط سخط». وزاد في رواية: «تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش».

معاني:

- تعس: ضد سعد. يعني: شقي، والتعس هو الشر، وقيل: أن يخر على وجهه.
- انتكس: أي: عاود المرض.
- وإذا شيك فلا انتقش: المعنى: إذا أصابته الشوكة فلا وجد من يخرجها منه بالمنقاش، وهذا دعاء من النبي ﷺ على من جعلوا الدرهم والدينار حياتهم حتى صاروا عبيداً له.
- بل ترى كثيراً من عبّاد المال يعيشون حياة التعساء؛ ولم يهنؤوا بعيش أبداً. هم ونكد، وضعفٌ ومرضٌ؛ فالمرء فيهم تراه مبتلى بالأمراض التي تسحب كل أمواله التي جمعها فلا يبقى له منها شيء، ولا قوة إلا بالله.
- ١٩- وفي «الصحيحين» البخاري [٦٤٩٠] ومسلم [٢٩٩٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ، وَالْخَلْقِ؛ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ».

وفي رواية لمسلم: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله».

تزدروا: تحتقروا وتنتقصوا.

٢٠- وفي «الأدب المفرد» [٣٠٠]، و«سنن الترمذي» [٢٣٤٦]، وابن ماجه [٤١٤١]، و«مسند الحميدي» [٤٣٩] من حديث عبيد الله بن محصن أن رسول الله ﷺ قال:

«من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقيها» وهذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ^(١).

٢١- وقال ﷺ: «غدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم - أو: موضع قدم من الجنة؛ خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما فيها ولمأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها - يعني: الخمار - خير من الدنيا وما فيها». عند البخاري [٦٥٦٨]، وعنده أيضاً [٢٧٩٦] بلفظ: «ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس». كل هذا؛ تحفيزاً للعمل للدار الآخرة والجنة؛ نسأل الله أن يرزقنا نعيمها؛ إنه خير مسؤول.

(١) قلتُ: وفي إسناده عبد الرحمن بن أبي شميلة وهو مجهول؛ قال ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٦٠/٣) معلقاً على قول الترمذي: «حسن غريب»؛ فقال ابن القطان: «ولم يبين لم لا يصح، وذلك أنه من رواية مروان بن معاوية قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي شميلة وهو أيضاً لا تعرف حاله، وإن كان قال فيه ابن معين وأبو حاتم: مشهور، فإنما يعنيان برواية حماد بن زيد عنه، وكم من مشهور لا تقبل روايته».

قلتُ: وفي الإسناد علة أخرى؛ ألا وهي جهالة سلمة بن عبيد الله بن محصن؛ كما قال غير واحدٍ من أهل العلم. قال الذهبي في «الميزان» (١٩١/٢): «قال أحمد: لا أعرفه، ولينه العقيلي» ثم أورد هذا الحديث، وجهله الحافظ في «التقريب»، وقال العقيلي في «الضعفاء» (١٤٦/٢): «وقد روي مثل هذا الكلام عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ بإسناد يشبه هذا في اللين».

وحديث أبي الدرداء عند ابن حبان في «صحيحه» [٦٧١] وهو ضعيف جداً؛ كما بينه العلامة الألباني في «الصحيح» (٣١٧/٥)، وله شاهدٌ عن ابن عمر، أخرجه الطبراني في «الأوسط» [١٨٢٨]، ولكن فيه عطية - وهو العوفي - وهو ضعيف مدلس، وفيه كذلك علي بن عابس ضعيف أيضاً، وكذلك فضيل بن مرزوق صدوق يهم؛ كما قال الحافظ؛ فالخلاصة أن هذا الحديث كل طريقه لا تنهض لتقويته، والله أعلم.

أَبْوَابُ فِي زَهْدِهِ ﷺ

فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَطْعَمِ وَالْمَسْكَنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ

عن عمرو بن العاص قال - وهو على المنبر - للناس: «ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ أما هو، فأزهد الناس في الدنيا، وأما أنتم فأرغب الناس فيها» أخرجه أحمد في «المسند» رقم [١٧٨١٥] بسند صحيح.

قال ابن تيمية رحمه الله: «رسول الله ﷺ إمام الزهد، كان لا يردُّ موجودًا، ولا يتكلف مفقودًا، بل إن حضر لحم دجاجٍ أكله، أو لحم غنمٍ أكله، أو حلواء، أو عسل، أو فاكهة أكله، وإن لم يجد شيئًا لم يتكلفه،

وكان إذا حضر طعامًا، فإن اشتهاه أكله وإلا تركه، ولا يتكلف ما لا يحضر.

وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع، وقد كان يقيم الشهر والشهرين لا يوقد في بيته نارًا». «منهاج السنة» (٧/ ٤٩٠، ٤٩١).

وقال أيضًا في رسالته في «الزهد والورع» ص [٧٤]: «وكان ﷺ عادته في المطعم أنه لا يردُّ موجودًا، ولا يتكلف مفقودًا، ويلبس ما تيسر من قطنٍ وصوفٍ وغير ذلك، وكان القطنُ أحبَّ إليه».



زهده ﷺ في المطعم

أما عن زهده ﷺ في المطعم، فقد تواردت نصوص كثيرة من السنة الصحيحة التي تبين كيف كان عيش رسول الله ﷺ وطعامه، وقد خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يومٍ واحدٍ من طعامين^(١)! مع إمكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له، ولكنه ﷺ أثر اختيار نعيم الآخرة على نعيم الدنيا، وأثر الباقي على الفاني.

فالدنيا كالثلج يذوب والآخرة كالدر يبقى.

❁ وإليك طائفة من النصوص النبوية في ذلك:

١ - ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت لعروة: «ابن أختي»^(٣) إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ ناراً. فقلت: ما كان يُعيشكم^(٤)؟ قالت: الأسودان؛ التمر والماء^(٥)، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح، وكانوا يمنحون

(١) أما في أزماننا؛ فالهمم موجهة إلى نفخ البطون بأنواع الأطعمة - إلا من رحم الله - ولن تجد في هذه الأيام من تُقدَّم إليه الأطعمة بألوانها وأشكالها لها فيعرض عنها أو يأخذ ما يكفيه منها أو ما يقيم صلبه ويعينه على العبادة؛ بل شهوة البطون قد غلبت وتمكنت؛ فهل من مدكر؛ نسأل الله القصد، وعليك أن تنظر في حال نبيك ﷺ في عيشه ومأكله؛ فهو خير أسوة وقدوة.

(٢) البخاري [٦٤٥٩]، وكذا [٢٥٦٧]، ومسلم [٢٩٧٢] [٢٨].

(٣) أي: يا ابن أختي؛ لأن أمه أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) في رواية: «ما كان طعامكم؟».

(٥) والسواد للتمر دون الماء، فوصفا بوصف واحد تغليباً. قال الحافظ (٥/٢٣٥): «هو على التغليب، وإلا فالماء لا لون له، ولذلك قالوا: الأبيضان اللبن والماء».

رسول الله ﷺ من أبياتهم ^(١) فيسقيناه؛ أي: فيسقيناه منه. والمنائح: جمع منيحة وهي العطية والهبة.

- قوله: «ثلاثة أهلة» مفسر عند مسلم: «الهلل ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين».

قال الحافظ (٢٣٥/٥): «ولا شك أن أمر العيش نسبي، ومن لا يجد إلا التمر أضيّق حالاً ممن يجد الخبز مثلاً، ومن لم يجد إلا الخبز أضيّق حالاً ممن يجد اللحم مثلاً، وهذا أمر لا يدفعه الحس، وهو الذي أرادت عائشة» انتهى.

قلت: ومن وجد لحماً أو خبزاً مثلاً، فأثر الخبز على اللحم وهو يجد من اللذة في ذلك؛ فلا شك - إن تحمّل - أنه أفضل من الآخر، وأن ذلك سبيل إلى الزهد في الدنيا، وقصر الأمل فيها، وترك التكلف لأجلها، والعون على العبادة. وانظر: «تفسير القرطبي» (الأعراف: ٣٢/ ٣).

والأمر يختلف في مدى التحمل والصبر من شخصٍ لآخر.

❁ فمنهم من يطيق خشن المأكّل والمطعم.

❁❁ ومنهم من لا يتحمل التخشن، ويهتم بحسن المطعم من غير زيادة في التمتع والتبسط وقصد الالتذاذ؛ فهذا لا حرج فيه، ولا يخرجُه كذلك عن الزهد، لكنه دون الأول؛ فإيثار الجوع والتخشن في العيش مع القدرة وعدم الضرر أعلى وألذ. وانظر: «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة المقدسي، و«جامع العلوم» لابن رجب ص [٢٩٣]، وكما تقدم فهذه هي حالة نبينا ﷺ، من إيثاره الباقي على الفاني ^(٢).

(١) في رواية: «من ألبانهم».

(٢) وهذا هو الغالب في حياته ﷺ ومعيشته؛ لكنه إن تيسر له أي مطعوم قبله ولم يردّه، وإن لم يتيسر لم يتكلف؛ فصلاة الله وسلامه عليه. قال أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي: «إنه لم ينقل =

ومن هذه الأحاديث أيضًا:

٢- في «صحيح البخاري» رقم [٥٣٨٥]، [٦٤٥٧ وهذا لفظه]، من حديث قتادة قال: كنا نأتي أنس بن مالك وخبازه قائم، وقال: «كلوا فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفًا مرققًا حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطًا^(١) بعينه قط».

رغيفًا مرققًا: أي مليّنًا محسنًا؛ فلم يكن عندهم مناخل ينخلونه.

٣- وفي «صحيح مسلم» [٢٩٧٤] من حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبزٍ وزيتٍ في يومٍ واحدٍ مرتين» وفي رواية: «من خبز لحم».

= عن النبي ﷺ أنه امتنع عن طعام لأجل طيبه قط^(*)، بل كان يأكل الحلوى والعسل والبطيخ والرطب، وإنما يكره لما فيه من التشاغل بشهوات الدنيا عن مهمات الآخرة، والله تعالى أعلم. قال القرطبي: «وقد كره بعض الصوفية أكل الطيبات...» قال: «وقول الله عز وجل أُولَىٰ مَا امْتَدَّ عَلَيْهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وكان ﷺ يأكل البطيخ بالرطب ويقول: «يكسر حرًّا هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحرًّا هذا...» انتهى المراد من تفسيره لآية [الأعراف: ٣٢].

(*) قال ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ٣٤٠): «والتحقيق أن العمل لا يمدح ولا يذم لمجرد كونه لذة، بل إنما يمدح ما كان لله أطوع، وللعبد أنفع، سواء كانت فيه لذة أو مشقة؛ فربُّ لذيد هو طاعة، ومنفعة، ورب مشق هو طاعة ومنفعة، ورب لذيد أو مشق صار منهياً عنه.. كما يُستعان بالأكل والشرب على العبادات؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢].»

(١) أي: مشوية. «اللسان» ص [٢٠٩٣]، وانظر: «الفتح» (٩/ ٤٤١) في الجمع بين الروايات.

٤- وفي «الصحيحين»^(١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما في رفي»^(٢) من شيء يأكله ذو كبد^(٣)، إلا شطرُ شعيرٍ في رِفٍّ لي، فأكلت منه حتى طال عليّ، فكلّته»^(٤). ففني» أي: فرغ.

وفي رواية عند أحمد (١٠٨ / ٦): «فليتني لم أكن كلته».

٥- وفي «صحيح البخاري» [٥٤١٣] من حديث سهل بن سعد، وذلك من طريق أبي حازم قال: سألت سهل بن سعد فقلت: هل أكل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النقيّ؟ فقال سهل: ما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النقيّ من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. قال: فقلت: هل كانت لكم في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مناخِلُ؟ قال: ما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْخَلًا^(٥) من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. قال: قلت: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه^(٦)، فيطير ما طار، وما بقى ثريناه فأكلناه»^(٧).. أي: بللناه بالماء. قاله الحافظ ثم قال: «قوله: فأكلناه»؛ يحتمل أن يريد أكلوه بغير عجن ولا خبز، ويحتمل أنه أشار بذلك إلى عجنه بعد البَلِّ وخبزه ثم أكله».

- والنقيّ هو: خبز الدقيق الحواري وهو التنظيف الأبيض؛ كما في حديث مسلم في

صفة أرض البعث: «يحشر الناس على أرض عفراء كقرصة النقي». قاله الحافظ.

(١) البخاري [٦٤٥١]، ومسلم [٢٩٧٣].

(٢) الطاق في الحائط.

(٣) يشمل جميع الحيوانات (ذو حياة).

(٤) كأن الكيل أذهب البركة؛ وانظر: «الفتح» (٢٨٥ / ١١).

(٥) قال الحافظ (٩ / ٤٦١): «والمَنخَل من الأدوات التي جاءت بضم أولها».

(٦) لتطير منه شعوره، والنهي عن النفخ في الطعام خاص بالطعام المطبوخ. «الفتح» (٩ / ٤٥٩).

(٧) وهو في «الصحيح» برقم [٥٤١٠] أيضًا.

فلم ير رسول الله ﷺ خبزاً مرققاً^(١) بأبي هو وأمي ﷺ .

٦- وفي «صحيح البخاري» برقم [٥٤١٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه مَرَّ بقوم بين أيديهم شاةٌ مَصْلِيَّةٌ فدعوه، فأبى أن يأكل وقال: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا. ولم يشبع من خبز الشعير».

٧- وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعامٍ برِّ ثلاثٍ ليالٍ تباعاً حتى قبض». وآل محمد يطلق ويراد به النبي ﷺ نفسه أحياناً؛ كما قد جاءت روايات تؤيد ذلك في هذا الموطن وأشار إلى بعضها الحافظ في «الفتح» (٢٩٧/١١) حيث قال: «وقع في رواية الأعمش عن منصور فيه بلفظ^(٣)»: «ما شبع رسول الله ﷺ»، وفي رواية عبد الرحمن بن عابس عن أبيه عن عائشة: «ما شبع آل محمد ﷺ من خبزٍ برٍّ مأدوم» أخرجه مسلم^(٤)، وفي رواية عبد الرحمن بن يزيد عن الأسود عن عائشة: «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض». أخرجاه^(٥).

وعند مسلم^(٦) من رواية يزيد بن قسيط عن عروة عن عائشة: «ما شبع رسول الله ﷺ من خبزٍ وزيتٍ في يومٍ واحدٍ مرتين» وعند ابن سعد أيضاً من طريق الشعبي عن عائشة: «أن رسول الله ﷺ كانت تأتي عليه أربعة أشهر ما

(١) كما في حديث أنس المتقدم، وهذا على ما علمه ﷺ كما ذكر.
وقد بوب له ابن حبان (تحت: ٦٣٦٠) بقول: «ذكر البيان أن المصطفى ﷺ عند الوجود كان يتنكب السرف في أسباب الأكل وكذلك يأمر أهله».

(٢) البخاري [٦٤٥٤]، ومسلم [٢٩٧٠].

(٣) عند مسلم (٢٩٧٠/٢١).

(٤) في «الصحيح» رقم [٢٩٧٠] [٢٣] دون قوله (مأدوم) لكنها عند البخاري [٥٤٢٣].

(٥) انظر: «صحيح مسلم» (٢٩٧٠/٢٢).

(٦) في «الصحيح» [٢٩٧٤].

يشبه من خبز البر» وفي حديث أبي هريرة نحو حديث الباب. ذكره المصنف في الأطعمة من طريق سعيد المقبري عنه: «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا»، وأخرجه مسلم أيضاً عن أبي هريرة: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير في اليوم الواحد غداً وعشاءً» وتقدم أيضاً في حديث سهل بن سعد: «ما شبع رسول الله ﷺ شعبتين في يوم حتى فارق الدنيا» أخرجه ابن سعد والطبراني^(١)، وفي حديث عمران بن حصين: «ما شبع من غداء أو عشاء حتى لقي الله..» أخرجه الطبراني^(٢). انتهى المراد.

هكذا كان الحبيب ﷺ في نفسه يتنكب الشبع في اليوم الواحد أكثر من مرة؛ فهل وقع هذا الصنيع لأحدنا، مع ابتعاده عن السرف في أسباب الأكل، فلم يكن لينتقي أكلته ما لونها وما طعمها وما صفتها؟ وهل هي بتوابل وخضروات؟ وهل معها بوهرات وما شابه؛ فلم يكن يدقق؛ بل حيثما تيسر أكل، مع أنه لو استطاع أن يجعل جبال مكة ذهباً لفعل؛ وقد أعطاه الله مفاتيح خزائن الأرض كلها ووضعت بين يديه^(٣)؛ ولكنه زهد وتواضع وطلب أن يكون عبداً رسولاً.

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/٤٠٧)، والطبراني في «الكبير» (٦/١٥٩، ١٦٠)، قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٥٦٤): «وفيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف»، وله شاهد عن عائشة عند ابن سعد (١/٤٠٢)، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

(٢) في «المعجم الكبير» (١٨/١٣٩)، وفيه عمرو بن عبيد مترك؛ كما قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٥٦٤)، وهو في «المسند» (٤/٤٤١) بلفظ مقارب.

(٣) كما في «صحيح مسلم» برقم [٥٢٣]، من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ بجوامع الكلم ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت بين يدي».

قال أبو هريرة: «فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تستلونها». تستخرجون ما فيها.

ظهور أثر الجوع على نبينا ﷺ

لقد تعرّض النبي ﷺ في بعض المواقف لشدة الجوع حتى أثر على صوته العذب الطاهر؛ بل وربط على بطنه عصابة من شدة الجوع وجعل يتلوى ويتقلب ظهرًا لبطن؛ كما وصفه الصحابة رضي الله عنهم وأحسوا بحاله ﷺ.

ففي «صحيح مسلم» [٢٠٤٠] [١٤٢] من حديث أنس بن مالك قال: «قال أبو طلحة لأم سليم: قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع... الحديث».

وفي رواية لمسلمٍ أخرى: «قال أنس: رأى أبو طلحة رسول الله ﷺ مضطجعًا في المسجد يتقلب ظهرًا لبطن، فأتى أم سليم؛ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ مضطجعًا في المسجد يتقلب ظهرًا لبطن وأظنه جائعًا...».

وفي روايةٍ ثالثة: «قال أنس بن مالك: جئت رسول الله ﷺ يومًا، فوجدته جالسًا مع أصحابه يحدثهم؛ وقد عصّب بطنه بعصابة - قال أسامه أحد الرواة -: وأنا أشك -: على حجر؛ فقلت لبعض الصحابة: لم عصّب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من الجوع، فذهبت إلى أبي طلحة، وهو زوج أم سليم بنت ملحان، فقلت: يا أبتاه! قد رأيت رسول الله ﷺ عصّب بطنه بعصابة، فسألت بعض أصحابه، فقالوا: من الجوع، فدخل أبو طلحة على أمي؟ فقال: هل من شيء؟ فقال: نعم. عندي كسرٌ من خبزٍ وتمراتٍ، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه وإن جاء آخر معه قلّ عنهم... الحديث».

❁ وحصل شيءٌ من ذلك كذلك في حفر الخندق؛ ففي «صحيح البخاري» [٤١٠٢]، ومسلم [٢٠٣٩] من حديث جابر بن عبد الله قال: لما حُفر الخندق رأيت

برسول الله ﷺ خَمْصًا. فانكفأتُ إلى امرأتي. فقلت لها: هل عندك من شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خَمْصًا شديدًا.. الحديث بطوله».

وفي رواية لجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري [٤١٠١] ^(١):

«فقال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدْيَةٌ ^(٢) شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدْيَةٌ عرضت في الخندق؛ فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوبٌ بحجر، ولبشنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المَعُولَ، فضرب في الكُدْيَةِ فعاد كثيرًا أهمل أو أهيم، فقلتُ: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما كان في ذلك صبر؛ فعندك شيء؟

فقالت: «عندي شعيرٌ وعَنَاق، فذبحتُ العناق، وطحنتُ الشعير، حتى جعلنا اللحم في بالبرمة..».

وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٩٧٨] من حديث سماك بن حرب قال: سمعت النعمان يخطب قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا؛ فقال: «لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يظلُّ اليوم يلتوي، ما يجد دَقْلًا يملأ به بطنه».

قال السنديُّ في «شرح ابن ماجه» (٥٣٦/٢): «قوله: يلتوي: قيل: أي: يتقلب ظهرًا لبطن ويمينًا وشمالًا. وقال الطيبي: الالتواء: الاضطراب عند الجوع والضرب. (الدقل) بفتحيتين أي: أردأ التمر».



(١) وأورده مختصرًا برقم [٣٠٧٠].

(٢) القطعة الشديدة الصلبة من الأرض.

رسول الله ﷺ وصاحباؤه في جوع شديد

تسبب في إخراج ثلاثتهم من بيوتهم

يبحثون عن الطعام

لقد كان الجوع وضيق العيش سبباً لإخراج أكرم الخلق على الله - وهو نبينا ﷺ - وصاحبيه كذلك أبي بكر وعمر من بيوتهم، فتوافقوا جميعاً على أمر واحد؛ فذهبوا يبحثون على من يطعمهم جميعاً.. والحديث في «صحيح مسلم» برقم: [٢٠٣٨] وإليك ذلك المشهد:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يومٍ أو ليلة؛ فإذا هو بأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ^(١) فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالوا: الجوع يا رسول الله؛ قال: «وأنا والذي نفسي بيده! لأخرجني الذي أخرجكما قوموا» فقاموا معه. فأتى رجلاً من الأنصار. فإذا هو ليس في بيته. فلما رآته المرأة. قالت: مرحباً! وأهلاً! فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني. قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسرٍّ وتمرٍ ورطب. فقال: كلوا من هذه. وأخذ المديّة. فقال له رسول الله ﷺ: «إياك! والحلوب» فذبح لهم. فأكلوا من الشاة. ومن ذلك العذق. وشربوا، فلما أن شبعوا ورؤوا؟ قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده! لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».

(١) في رواية: (بينما أبو بكر قاعد وعمر معه، إذ أتاهما رسول الله ﷺ؛ فقال: «ما أقعدكما ها هنا؟» قالوا: أخرجنا الجوع من بيوتنا والذي بعثك بالحق).

رسول الله ﷺ وبلال

وبلال من أوائل من أسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لقد مرت برسول الله ﷺ وبلال أوقاتٌ عصيبةٌ من جُوعٍ وشدةٍ وضيقٍ وتعَبٍ؛ ففي «سنن الترمذي» وابن ماجه و«مسند أحمد»^(١) وغيرهم من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ: «لقد أُوذيتُ في الله، وما يؤذي أحدٌ، ولقد أُخفت في الله وما يخاف أحدٌ، ولقد أتت عليّ ثالثةٌ ومالي وبلال طعام يأكله ذو كبدٍ إلا ما وارى إبط بلال».

وفي رواية: «ومال ولعيالي».

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

معاني:

- ذو كبد: أي ذو حياة (من إنسانٍ أو حيوانٍ أو طير...).

- إلا ما وارى: أي إلا مقدار ما يحمل بلال ويواريه تحت إبطه^(٢).

فانظر - رحمني الله وإياك - كيف كان رسول الله ﷺ وعياله وأصحابه يمرون بهذه الأحوال، ويطوون الأيام والليالي جوعاً وشدةً؟!



(١) أحمد (٣/ ١٢٠)، والترمذي برقم [٢٤٧٢]، وابن ماجه برقم [١٥١]، وهو صحيح.

(٢) قاله محمد فؤاد عبد الباقي في «تعليقه على ابن ماجه» (١/ ٥٤).

دفعُ إشكال

قال الحافظ في «الفتح» (٢٩٧/١١): «قال الطبري: استشكل بعض الناس كون النبي ﷺ وأصحابه كانوا يطوون الأيام جوعاً مع ما ثبت أنه (كان يرفع لأهله قوت سنة)؛ وأنه قسم بين أربعة أنفس ألفَ بعير مما أفاء الله عليه)، وأنه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها وأطعمها المساكين)، وأنه أمر لأعرابي بقطيع من الغنم) وغير ذلك. مع ما كان من أصحاب الأموال كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه؛ وقد أمر بالصدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله، وعمر بنصفه، وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بألف بعير إلى غير ذلك.

والجواب:

أن هذا كان منهم في حالةٍ دون حالةٍ لا لِعَوَظٍ وضيق؛ بل تارة للإيثارة، وتارة لكرهية الشعب ولكثرة الأكل» انتهى.

قال الحافظ: «وما نفاه مطلقاً فيه نظر^(١) لما تقدم من الأحاديث آنفاً؛ وقد أخرج ابن حبان في «صحيحه» عن عائشة: «من حدثكم أنا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم، فلما افتتحت قريظة أصبنا شيئاً من التمر والودك» وتقدم في غزوة خيبر من رواية عكرمة عن عائشة: «لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر».. والحق أن الكثير منهم كانوا في حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة، ثم لما هاجروا إلى المدينة كان أكثرهم كذلك فواساهم الأنصار بالمنازل والمناخ، فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم منائحهم، كما تقدم ذلك واضحاً في كتاب «الهبة».

(١) يعني: من كلام الطبري أنهم لم يكونوا في ضيق؛ فهذا فيه نظر كما قال الحافظ.
 *وقد بَوَّبَ أبو حاتم ابن حبان في «صحيحه» (٢٧٣/١٤) رقم [٦٣٥٩] باباً قال فيه: «ذكر الخبر الدال على أن حالة المصطفى ﷺ كانت حالة اختيار لا اضطرار».

وقريبٌ من ذلك: قوله ﷺ: «لقد أخضت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوديت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليّ ثلاث من يومٍ وليلة مالي ولبلال طعام يأكله أحد إلا شيء يواريه إبط بلال»^(١).

أخرجه الترمذي وصححه، وكذا أخرجه ابن حبان بمعناه.

نعم؛ كان رسول الله ﷺ يختار ذلك مع إمكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له^١. هـ. المراد.

فلم يكن الشأن فيهم العوز والحاجة والفقر فقط؛ بل كان لبعضهم أموال، ولكنهم كانوا يؤثرون على أنفسهم^(٢)، ولا يطلبون إلا ما يكفيهم، وما زاد أخرجه هنا وهناك في سبيل الله؛ كما في «الصحيحين» خ [٢٩٠٤] وم [١٧٥٧] من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكانت للنبي ﷺ خاصة، فكان ينفق على أهله نفقة سنة^(٣)، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح، عُدَّة في سبيل الله».

فهكذا كان رسول الله ﷺ يذل ما في يديه ولا يُبقي معه شيئاً؛ كما قال ﷺ: «لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن لا تمر عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء، إلا شيئاً أرصدُه لدينٍ» أخرجه البخاري [٦٤٤٥] عن أبي هريرة. وفي حديث أبي ذر عنده [٦٤٤٤] زاد: «إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه».

(١) تقدم في الباب السابق، وهو صحيح.

(٢) كما قال الحافظ أيضاً (٩/٤٢٩).

(٣) أي: يجبس لهم ويدخر.

قوله: أرصده: أي: أعدّه أو أحفظه؛ قال الحافظ في «الفتح» (١١ / ٢٧٥) في فوائد الحديث: «فيه أن النبي ﷺ كان في أعلى درجات الزهد في الدنيا بحيث إنه لا يحب أن يبقى بيده شيء من الدنيا إلا لإنفاقه فيمن يستحقه، وإما لإرصاده لمن له حق، وإما لتعذر من يقبله».

ثم قد تعثر به ﷺ أحوال يأكل فيها ويطعم من غير قصد^(١) أو طلب؛ بل حيثما توافق وتيسر، ولكنه في غالب أحواله كان يجانب اتخاذ الأسباب في الأكل والشرب وسائر المطعومات لأنه سيد الزاهدين ﷺ، ورؤي عنه ﷺ أنه: «كان لا يدخر شيئاً لغد»^(٢).

وقد دفع هذا الإشكال الذي أوردناه غير واحد من أهل العلم؛ فمن ذلك ما نقله البيهقي في «الشعب» (٢ / ١٧٥) عن أبي سهل رحمه الله حيث قال: «فإن قال قائل: كان للنبي ﷺ درع وسيف وقوس وفرس وبغل وحمار، وكان يجبس لنسائه قوت سنة مما أفاء الله عز وجل عليه، وكل هذا ادخار؛ فكيف نسلّم على هذه الأخبار هذا الخبر المأثور: «كان لا يدخر شيئاً لغد»؟ فقال: وجه ذلك أنه كان يتعامل فيما بينه وبين مولاه على حسن الظن والانتظار دون الحبس والادخار، وكان لا يحجز لنفسه ليومه من أمسه، ولكن يعدها لدينه، وهكذا آلات الحرب كان يجبسها لنصر الأولياء وكبت

(١) كما قال ابن حبان في «الصحيح» (١٤ / ٢٦٨) [٦٣٥٥].

(٢) أخرجه الترمذي [٢٣٦٢]، وابن حبان في «صحيحه» [٦٣٥٦]، والطبري في «تهذيب الآثار» [٢٤٩٠] من طريق جعفر بن سليمان الضبعي عن ثابت عن أنس مرفوعاً. قال الترمذي: «حديث

غريب، وقد رُوي هذا الحديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلاً».

قلت: ورواية جعفر بن سليمان عن ثابت متكلم فيها. وقد جَوَّد الحديث عدد من أهل العلم كالضياء وابن مفلح والمنائي، وغيرهم، لكن فيه ما سبق من مقال، والله أعلم. وانظر: «الميزان» (١ / ٤١١)، و(٣ / ٣٩١)، و«لسان الميزان» (١ / ٣٣٢)، و«الكامل» (٢ / ١٤٩).

الأعداء على حكم الاستعمال مما تصدق به في حياته؛ ولهذا قال: «إنا لا نورث، ما تركناه صدقة»^(١).

وأما ما كان يُنبذ له، فإنها نساؤه كن ينبذن له ما صار في ملكهن ويدهن تملِكًا وتمويلًا منه لهن.

إنه لم يكن يدخر شيئًا، وما احتبس عنده من شيء على نية الغد، ولكن: يصرفه في نائبة من نوائب الدين. وقيل: لا يدخر ملكًا، بل يدخر تملِكًا. وقيل: لم يكن يدخر على أمل البقاء إلى غد. انتهى. وانظر: «الفتح» (٥٠٣/٩).

قلت: وهذا هو الفارق.

تري كثيرًا من المسلمين هذه الأزمان في قلق إذا لم يُعدّوا لأنفسهم ويملأو بيوتهم أطعمة وألوانًا من المأكولات لشهور؛ بل لسنواتٍ قادمة زاعمين أنهم يعملون للمستقبل، وقد يموت هذا الإنسان من يومه، ثم أين حسن الظن بالله والثقة فيما عنده؟! وأنه سبحانه متكفل بأرزاق العباد، وأنه لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها وأجلها؛ فلم الخوف ولم القلق ولم الاضطراب؟ والرزق آتٍ لا محالة، وكما أن الموت يطلبك ولو كنت في بروج مشيدة؛ فكذلك الرزق يطلبك.

وقد قيل:

يا ابن آدم خلقت للعبادة فلا تلعب، وضمن لك الله رزقك فلا تتعب.

❦ وفي «صحيح البخاري» برقم [٢٧٣٩] من حديث عمرو بن الحارث: خَتَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخِي جَوِيرِيَّةَ بِنْتَ الْحَارِثِ قَالَ: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) أخرجه البخاري [٤٠٣٣]، ومسلم (١٧٥٧/٤٩) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً؛ إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقةً».

وأخرجه أيضاً في مواضع أخرى برقم [٢٨٧٣، ٢٩١٢، ٣٠٩٨، ٤٤٦١] وفي رواية من هذه الروايات: «وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة».

❁ وفي «صحيح مسلم» [١٦٣٥] من حديث عائشة قالت: «ما ترك رسول الله ﷺ درهماً ولا ديناراً ولا شاةً ولا بعيراً ولا أوصى بشيء»^(١)؛ فلم يترك رسول الله ﷺ شيئاً، وهذا لأن رسول الله ﷺ وسائر إخوانه من الأنبياء لا يورثون؛ كما قال ﷺ: «لا نُورث ما تركنا فهو صدقة». أخرجه البخاري [٣٠٣٤]، ومسلم [١٧٥٩] عن عائشة مرفوعاً.

ولذلك فما ترك رسول الله ﷺ شيئاً لأقربائه ينتفعون به بعد موته، وما تركه من شيء يسير إنما هو صدقة، والصدقة لا تحل لآل محمد؛ كما في «الصحيحين» البخاري [١٤٨٥]، ومسلم [١٠٦٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال للحسن بن علي: «أما علمت أن آل محمد ﷺ لا يأكلون الصدقة».

ولذلك فالأمر يختلف، ومن ثم قال ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالةً يتكفزون الناس في أيديهم». أخرجه البخاري [٢٧٤٢]، ومسلم [١٦٢٨].

الشاهد؛ أن رسول الله ﷺ خرج من الدنيا ولم يدع شيئاً، وكل ما تركه (سلاح وبغلته البيضاء، وأرض جعلها صدقة). وليس في بيته شيء آخر؛ فهل هذا إلا لكمال زهده وإعراضه عن الدنيا ﷺ؟

(١) وبؤب له النووي بقوله: «باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه».

زَهْدُهُ ﷺ فِي الْمَسْكَنِ

كَانَ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ زَهْدًا فِي أُنْبَيْتِهِ وَدَوْرِهِ وَمَسْكَنِهِ ^(١).

وَقَدْ وَصَفَ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ بَيُوتَ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

❦ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» رَقْم [٤٥٥] لِلْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ:
«كَنتُ أَدْخُلُ بَيُوتَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَتَنَاوَلُ
سُقْفَهَا بِيَدَيَّ». وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ.

❦ وَأَخْرَجَ أَيْضًا فِي «الْأَدَبِ» رَقْم [٤٥٦] مِنْ حَدِيثِ دَاوُدَ بْنِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ:
«رَأَيْتُ الْحَجَرَاتِ ^(٢) مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، مَغْشَاةً مِنْ خَارِجٍ بِمُسُوحِ الشَّعْرِ، وَأُظُنُّ عَرْضَ
الْبَيْتِ مِنْ بَابِ الْحَجَرَةِ إِلَى بَابِ الْبُعْثِ نَحْوًا مِنْ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ أَذْرَعٍ، وَأَحْرُزُ الْبَيْتَ الدَّخْلَ
عَشْرَ أَذْرَعٍ، وَأُظُنُّ سُمْكَهُ بَيْنَ الثَّمَانِ وَالسَّبْعِ نَحْوَ ذَلِكَ وَوَقِفْتُ عِنْدَ بَابِ عَائِشَةَ، فَإِذَا هُوَ
مُسْتَقْبَلُ الْمَغْرَبِ». وَهُوَ صَحِيحٌ.

فَتَدْبِرُ بَيُوتَ النَّبِيِّ ﷺ .

❦ قَرْيَةُ السَّقْفِ.

(١) وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ التَّطَاوُلَ فِي الْبَنِيَانِ وَاتِّخَاذَ الْقُصُورِ وَتَشْيِيدَهَا وَالتَّفَاخُرَ بِهَا مِنْ عِلَامَاتِ
السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا؛ فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (وَفِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ :
لَمَّا سَأَلَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟) قَالَ ﷺ : «وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهِمُ فِي
الْبَنِيَانِ».

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «الْمَقْصُودُ الْإِخْبَارُ عَنْ تَبَدُّلِ الْحَالِ بِأَنْ يَسْتَوْلِيَ أَهْلُ الْبَادِيَةِ عَلَى الْأَمْرِ وَيَتَمَلَّكُوا
الْبِلَادَ بِالْقَهْرِ فَتَكْثُرُ أُمُوهَا وَتَنْصَرَفَ هَمُّهُمْ إِلَى تَشْيِيدِ الْبَنِيَانِ وَالتَّفَاخُرِ بِهِ، وَقَدْ شَاهَدْنَا ذَلِكَ فِي
هَذِهِ الْأَزْمَانِ». انْظُرْ: «الْفَتْحُ» (١/ ١٥٠)، وَوَصَفَ الرِّعَاةَ بِالْبُهِمِ؛ قِيلَ: لِأَنَّهُمْ مَجْهُولُوا الْأَنْسَابِ،
وَهُنَاكَ أَقْوَالٌ أُخْرَى. انْظُرْهَا فِي «الْفَتْحِ».

(٢) حَجَرَاتُ أَزْوَاجِ نَبِينَا ﷺ .

✽ مصنوعة بجريد النخل.

✽ مغطاة من الخارج بالشعر.

✽ ✽ هكذا بيوته ﷺ ؛ فلم يكن يتفرغ وينشغل بتوسيعها أو تزيينها؛ لأن الأمر أعجل من هذا^(١)، وقد أخبر ﷺ: «أن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه، إلا شيء يجعله في هذا التراب»^(٢).

أي: الذي يوضع في البنيان.

قال الحافظ في «الفتح» (١٣٥/١٠): «وهو محمول على ما زاد على الحاجة»^(٣).

وقال (١١ / ٩٥): «وهذا محمولٌ على ما لا تمس الحاجة إليه مما لا بدَّ منه للتوطن وما يقي البرد والحر».

وكذلك يُمنع تطويلُ البناء وتشيدِه وإنفاق المال فيه، ويذمُّ إذا كان سيشغله عن أمر دينه، ويُغير من قلبه، ويُفتن به، ولا يستقيم حاله!!.

✽ **أما من سلك سبيل التوسعة؛** لا من أجل التباهي والافتخار والتعالي، ولكن بنية توظيفه في الخير، أو في راحة البال، وللعون على عبادة وطاعة الكبير المتعال، أو حاجة الأولاد وكثرتهم، أو لإعانة المحتاجين ممن ليسوا أصحاب مسكن ودور، أو لاستقبال أضيافٍ يشق إدخالهم في بيوت الأهل والأزواج؛ فهذا لا يذم بحالٍ، وإنما المذموم: المفتون بما بينه ويُسَيِّده ويشغله عن ربه ونبيه ﷺ؛ لكن من احتاج

(١) انظر: «مسند أحمد» (٢ / ١٦١)، و«سنن الترمذي» [٢٣٣٥]، وأبي داود [٥٢٣٥].

(٢) كما في «صحيح البخاري» [٥٦٧٢] من حديث خباب.

(٣) وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٠٨٤] من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: «فراش للرجل، وفراش لامرأته، وثالث للضيف، والرابع للشيطان» وبوّب النووي له بقوله: «كراهة ما زاد على الحاجة من الفراش واللباس». قلت: والمسكن داخلٌ في ذلك.

إلى التوسعة للاستفراغ بالنفس، وترويضها على طاعة الله وعبادته، بعيداً عما يشوش عليها، ويعطيها مزيداً من الراحة والاستقرار فلا بأس. ورُبَّ رجلٍ يشتغل بالدعوة إلى الله لو جلس بين أهله وأولاده في مسكن واحدٍ لشوّشوا عليه وهزّوا عليه أفكاره؛ فهذا الصنف يحتاج إلى هدوءٍ واستقرارٍ وراحة بال. أما إذا استطاع العبدُ إقامة دينه واليسر في القيام بالطاعات في بيتٍ متواضع ونفسه منشرة بذلك؛ فهذا خير وأفضل، والأمير يرجع إلى النفع الديني لكل إنسان، والله أعلم. وحسب ابن آدم ثوب يوارى عورته، وطعام يقيم صلبه، وبيت يكتفه.

هذا كله شيء والتشديد والتطاول المسرف - كما نراه في هذا الزمان - أن يكون للرجل بيت يكفيه ويأويه هو وذويه؛ فيحرص أشد الحرص أن يبني عمارات يسكنها ويتباهى بها وينفق عليها الملايين من الأموال، كي تشيّد وتزخرف؛ فهذا هو المذموم.

❖ ❖ ❖ **خلاصة القول:** إذا كان هذا البناء يرجع بالنفع الديني ولا يُفتن به المرء ولا يكون سبيلاً من سبل التباهي والافتخار والتطاول على عباد الله، فاتخاذها في هذه الحالة لا بأس به ^(١)؛ وإلا فلا، والله تعالى أعلم.

(١) وقد أخبر جَلَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من سعادة المرء (المسكن الواسع)؛ أخرجه الطيالسي [٢١٠]، وأحمد (١/١٦٨)، وابن حبان [٤٠٣٢]، والخطيب في «تاريخه» (٩٩/١٢)، والضياء في «الأحاديث المختارة» (٢/٢٤)، عن سعد بإسنادٍ صحيح؛ كما قال الضياء المقدسي، وله شاهدٌ عند أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث (٣/٤٠٧، ٤٠٨)، ويرقم [١٥٣٧٢]. وفي سند أحمد خميل، وهو مقبول كما في «التقريب» أي: حيث يتابع وإلا فلين، والحديث بشاهده الأول صحيح إن شاء الله.

❖ وراجع: «أنيس الساري» ص [٤٨٥١]، ط. مؤسسة الريان. و«الصحيحة» [٢٨٢].

صفة فراشه ﷺ

لقد كان فراش حبيبنا ﷺ الذي كان ينام عليه، وكذلك وسادته ^(١) التي يتكى عليها؛ من آدم وحشوه من ليف.

ففي «صحيح البخاري» رقم [٦٤٥٦]، و«صحيح مسلم» [٢٠٨٢]، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إنما كان فراش ^(٢) رسول الله ﷺ الذي ينام عليه آدمًا، حشوه من ليف».

أي: ورق النخل. والأدم: هو الجلد مطلقًا. وقيل: الجلد المدبوغ الأحمر أو الأسود. والوسادة: مخدته التي ينام عليها بالليل من آدم.

فانظر وتدبر كيف كان ضجاع المصطفى ﷺ مع تأثير خشونة ضجاعه في جنبه الشريف؛ كما في حديث عمر وسيأتي.

وهذا يدلُّ على كمال زهده وإعراضه عن الدنيا ونعيمها وفاخر متاعها.

✽ ويدخلُ في هذا مسجده ﷺ الذي بناه بالمدينة كان سقفه من النخل والجريد، وعضاداته ^(٣) (جانبا الباب) من الحجارة. وكان يسقط بداخله ماء المطر؛ حتى إنه سجد مرة في ماءٍ وطنين.

كما في «صحيح البخاري» رقم [٢٠١٦]، و«صحيح مسلم» برقم [١١٦٧] من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

(١) كما في حديث عمر عند الشيخين (خ ٤٦٨ وم ١٤٧٩).

(٢) وفي رواية: «ضجاع». أي: ما يُضطجع عليه.

وانظر رواية عند البيهقي في «الشعب» [١٤٦٨].

(٣) البخاري [٤٢٨]، ومسلم [٥٢٤].

اضطجاعه ﷺ على حصير

وحال بيته من الداخل

فلقد كان النبي ﷺ يضطجعُ على حصير ليس بينه وبينه فراش؛ فيؤثر رملُ الحصير بجنبه وجسده، وهذا من زهده في دنياه.

* ففي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «فدخلت على رسول الله ﷺ؛ فإذا هو مضطجع على رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئ على وسادة من آدم حشوها ليف^(٢)، فسلمت عليه».

وفي رواية^(٣): «فرايت أثر الحصير في جنب رسول الله ﷺ فبكيت؛ فقال: «ما يبكيك؟» فقلت: يا رسول الله! إن كسرى وقصر فيما هما فيه. وأنت رسول الله؛ فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة؟».

وفي لفظ: فقلت: ادع الله فليوسّع على أمتك، فإن فارس والروم وسّع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئاً، فقال: «أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا» فقلت: يا رسول الله: استغفر لي... الحديث.

وفي الحديث وصفُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لبيت رسول الله ﷺ.

قال: «رفعت رأسي في البيت، فوالله! ما رأيت فيه شيئاً يردُّ البصر إلا أهباً ثلاثة». وفي رواية مسلم: «فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ، فإذا أنا بقبضة من

(١) البخاري [٢٤٦٨]، ومسلم [١٤٧٩].

(٢) وفي رواية: «وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف».

(٣) لمسلم.

شعير نحو الصاع، ومثلها قرظاً^(١) من ناحية الغرفة، وإذا أفیق^(٢) معلق. قال: فابتدرت عيناى» يعني: من البكاء.

وفي رواية^(٣): «ثم رفعتُ بصري في بيته^(٤)؛ فوالله ما رأيت فيه شيئاً يردُّ البصر غير أهبةٍ ثلاثٍ».

الأهبة: بمعنى الأهب، وهو الجلد قبل الدباغ. وقيل: الجلد مطلقاً دبع أو لم يدبغ. **قال الحافظ في «الفتح» (١٩٩/٩):** «والذي يظهر أن المراد به هنا جلد شرع في دبغه ولم يكمل، لقوله - في رواية سمالك بن الوليد - : «فإذا أفیقُ معلق»؛ والأفیق بوزن عظيم: الجلد الذي لم يتم دباجه».

وهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ أن بيته ﷺ خاوٍ من زينة الدنيا.

فما في بيته ﷺ خوانٌ يأكل عليه (يعني: مائدة) ولا سُكْرُجَة (قيل: هي صحاف صغار يؤكل فيها)، و(قيل: قصعة مدهونة). قالوا: (تستخدم للتشهي والهضم وتعين عليه)؛ فلم يكن ﷺ بحاجةٍ إلى الهضم والشبع؛ وقد حدّث أنس بن مالك بذلك؛ ففي «صحيح البخاري» [٥٣٨٦] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما علمت النبي ﷺ أكل على سُكْرُجَة قط، ولا خُبز له مرقق قط، ولا أكل على خوانٍ قط^(٥).

(١) القرظ: ورق السَّلم، ضرب من الشجر الذي يدبغ به. «تاج العروس» (٢٠/٢٥٦)، و«اللسان» (٧/٤٥٤). وجمعه أفق بفتحها كأديم وأدم.

(٢) الأفیق: الجلد الذي لم يتم دباجه.

(٣) انظر أطراف الحديث جميعها تحت رقم [٨٩] عند البخاري.

(٤) أي: نظرت فيه.

(٥) سبق في أوائل الكتاب الجمع بين هذا وبين ما ثبت عنه ﷺ من أنه قدّم له خوانٌ عليه لحم، بأن الغالب من حاله ﷺ تركُ الأكل عليه أو أن الخوان المنفي في حديث أنس نوعٌ مخصوصٌ، وهو الذي كان استعماله من دأب المترفين وصنيع الجبارين أهل الكبر، والله تعالى أعلم.

قيل لقتادة (الراوي عن أنس): «فعلى ما كانوا يأكلون؟ قال: على السفر».

السفر: جمع سفرة، وهو ما يتخذه المسافر من طعام^(١)، وأكثر ما يصنع في جلد، فنقل اسم الطعام إلى ما يوضع فيه. «الفتح» (٤٤٣/٩).



(١) فأصل السفرة الطعام؛ لكنها اشتهرت لما يوضع عليها الطعام. «الفتح» (٤٤١/٩).

زَهْدُهُ ﷺ فِي الْمَلْبَسِ

✽ في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي بردة (ابن أبي موسى الأشعري) قال: «أخرجت إلينا عائشة كساءً وإزارًا غليظًا؛ فقالت: قبض روح النبي ﷺ في هذين».

✽ وفي رواية مسلم: «دخلتُ على عائشة فأخرجت إلينا إزارًا غليظًا مما يصنع باليمن. وكساءً من التي يسمونها الملبدة. قال: فأقسمتُ بالله؛ إن رسول الله ﷺ قبض في هذين الثوبين».

الملبدة: المرقعة. قيل: هي التي ضرب بعضها في بعض حتى تتراكم وتجتمع. «الفتح» (٢٨٩/١٠).

✽ وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عائشة قالت: «خرج النبي ﷺ ذات غداة، وعليه مرطٌ مُرَحَّلٌ من شعر أسود».

معاني:

١- مرطٌ: كساء، تارة يكون من صوف، وتارة من شعر، أو كتان، أو خز يؤتز به^(٣).
وقد بَوَّبَ النووي للحديث بقوله: «بابُ التواضع في اللباس، والاقتصار على الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما، وجواز لبس ثوب الشعر وما فيه أعلام».

(١) البخاري في «الصحيح» رقم [٥٨١٨]، ومسلم [٢٠٨٠].

(٢) برقم [٢٠٨١].

(٣) النووي «شرح مسلم» (٥٧/١٤)، و«مختار الصحاح» ص [٢٨٣] مادة (مرط).

٢- والمرحل: أي عليه صورة رحال الإبل، ولا بأس بهذه الصورة، وإنما يحرم تصوير الحيوان.

وقال الخطابي: «المرحل الذي فيه خطوط».

٣- من شعر أسود: قال النووي: «قيدته بالأسود؛ لأن الشعر قد يكون أبيض».

قال النووي (١٤/ ٥٦): «في هذه الأحاديث ما كان عليه النبي ﷺ من الزهادة في الدنيا والإعراض عن متاعها وملاذها وشهواتها وفاخر لباسها ونحوه واجتزائه بما يحصل به أدنى التجزئة في ذلك كله، وفيه النذب للاقتداء به ﷺ في هذا وغيره» انتهى.

قلت: ومع جواز لبس هذه الثياب؛ وهو - كما ورد - حال رسولنا ﷺ وما كان عليه من الزهد؛ مع هذا لا بأس لمن يلبس أحسن الثياب وأجمل اللباس؛ وهذا محمولٌ في أوقات، وذاك في أوقاتٍ أخرى.

ففي الجُمع والمناسبات واستقبال الوفود وفي الأعياد وما شابه يستحبُّ للمرء أن يتزين بأحسن الزينة، وأجمل الثياب؛ ففي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عمر قال: أخذ عمر جبة من إستبرق تباع في السوق فأخذها فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله اتبع هذه تجمل بها للعيد والوفود - وفي رواية مسلم: لو اشتريت هذه فلبستها للناس يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك - فقال له رسول الله ﷺ: «إنما هذه لباس من لا خلاق له».

فأقره رسول الله ﷺ لكن أنكر عليه كونها من حرير!!.

(١) البخاري [٩٤٨]، ومسلم [٢٠٦٨].

❖ وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس وقد سُئِلَ: «أي اللباس كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ أو أعجب إلى رسول الله ﷺ؟ قال: الحَبْرَة».

معاني:

الحَبْرَة: قال النووي (٥٦ / ١٤): «هي بكسر الحاء وفتح الحاء، وهي ثياب من كتان أو قطن محبرة (أي: مزينة)، والتحجير التزيين والتحسين».

وقال الحافظ في «الفتح» (٢٨٨ / ١٠): «قال الجوهري: الحبرة بوزن عنبة: برد يمان». وقال المروني: «موشية مخططة».

وقال الداودي: «لونها أخضر؛ لأنها لباس أهل الجنة». كذا قال. وقال ابن بطال: «هي من برود اليمين تصنع من قطن وكانت أشرف الثياب عندهم». وقال القرطبي: «سميت حبرة؛ لأنها تحبر (أي: تزين)، والتحجير: التزيين والتحسين».

❖ وفي «صحيح البخاري» [٣٧٦] من حديث أبي جحيفة قال: «رأيت رسول الله ﷺ في قبة حمراء من آدم».

❖ وفي «الصحيحين» البخاري [٣٥٥١] ومسلم [٢٣٣٧] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأته في حلة حمراء. لم أر شيئاً قط أحسن منه».

وقد عقد البخاري في «صحيحه» (٣١٤ / ١٠) باباً بعنوان: (باب ما كان النبي ﷺ يتجوز من اللباس والسبط) اهـ. أي: يستعمل ما يتيسر له.

❖ والحلة: ثوبان. إزار ورداء.

(١) البخاري [٥٨١٢، ٥٨١٣]، ومسلم [٢٠٧٩].

فالثياب الحسنة لها وقت وحال، والثياب الخشنة لها حالٌ تختلف عن الحال الأولى؛
وقد قال النجاشي: ﴿وَأَمَّا نِعْمَةُ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ^(١) [الصحفي: ١١]؛ والله أعلم.

وقد كان ﷺ تطيبه عائشة بأطيب ما يجد تقول: «حتى أجد ويبص الطيب
في رأسه ولحيته» البخاري [٥٩٢٣].

فهكذا رسول الله ﷺ يعاهد أحوال نفسه، وكان السواك لا يفارقه.



(١) وقد بوب الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٢٩٥ / ١٠) باباً بعنوان: «باب استحباب إظهار
النعمة إذا لم يكن سرف ولا مخيلة». وأورد حديث النبي ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن يرى
أثر نعمته على عبده، ويكره البؤس والتباؤس» وهو عند الترمذي [٢٨١٩]، بسند حسن.

فَصْلٌ

في بيان لبس المرقع من الثياب وترك التجمل

قال القرطبي في «التفسير» [الإعراف: ٣٢] في بيان وتوضيح نفيس له عند هذه الآية:

«قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الإعراف: ٣٢]:

فيه أربع مسائل:

❖ **الأولى** - قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ [الإعراف: ٣٢].

بين أنهم حرّموا من تلقاء أنفسهم ما لم يحرمه الله عليهم.

والزينة هنا: الملبس الحسن إذا قدر عليه صاحبه. وقيل: جميع الثياب، كما روي عن عمر^(١): «إذا وسّع الله عليكم فأوسعوا».

وروي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب شيخ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه: «كان يلبس كساء خزٍّ بخمسين ديناراً يلبسه في الشتاء، فإذا كان في الصيف تصدق به أو باعه فتصدق بثمانه». وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر مُشَقِّين ويقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الإعراف: ٣٢].

الثانية - وإذا كان هذا؛ فقد دلّت الآية على لباس الرفيع من الثياب، والتجمل بها في الجمع والأعياد، وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان.

قال أبو العالية: «كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا».

(١) كما في «صحيح البخاري» [٣٦٥].

❦ وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عمر بن الخطاب أنه: رأى حُلَّةَ سِيرَاءٍ^(٢) تباع عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله، لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة».

فما أنكر عليه ذكر التجمل، وإنما أنكر عليه كونها سيراء، وقد اشترى تميم الداري حُلَّةً بألف درهم كان يصلي فيها. وكان مالك بن دينار يلبس الثياب العدنية الجياد. وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار. أين هذا ممن يرغب عنه ويؤثر لباس الخشن من الكتان والصوف من الثياب. ويقول: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الْجُلُود: ٢٦]، هيهات. أترى من ذكرنا تركوا لباس التقوى، لا والله! بل هم أهل التقوى وأولو المعرفة والنُّهى، وغيرهم أهل دُعوى، وقلوبهم خالية من التقوى.

قال خالد بن شاذب: «شهدت الحسن وأتاه فرقد، فأخذ الحسن بكسائه فمدّه إليه وقال: يا فُرَيْقِد، يا ابن أم فريقد، إن البر ليس في هذا الكساء، إنما البر ما وقر في الصدر وصدّقه العمل. ودخل أبو محمد ابن أخي معروف الكرخي على أبي الحسن بن يسار وعليه جبة صوف، فقال له أبو الحسن: «يا أبا محمد، صوّفت قلبك أو جسمك؟ صوّف قلبك والبس القُوهيَّ على القُوهي».

وقال رجلٌ للشبليّ: «قد ورد جماعة من أصحابك وهم في الجامع، فمضى فرأى عليهم المرقعات والفُوط، فأنشأ يقول:

(١) برقم [٢٠٦٨] وهو في «صحيح البخاري» برقم [٢٦١٢] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) قال أبو عبيد: «الخلل برود اليمن، والحلة: إزار ورداء، والسيراء» قال مالك: «هو الوشى من الحرير». وقال الأصمعي: «ثياب فيها خطوط من حرير أو قز، وإنما قيل لها سيراء لتسيير الخطوط فيها». وقال الخليل: «ثوب مضلع بالحرير، وقيل: مختلف الألوان فيه خطوط ممتدة كأنها السيور». «الفتح» (١٠/٣٠٩، ٣١٠).

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نساءه». قال أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «وأنا أكره لبس القُوطِ والمرقعات لأربعة أوجه:

أحدها- أنه ليس من لبس السلف، وإنما كانوا يرقعون ضرورة.

والثاني- أنه يتضمن ادعاء الفقر، وقد أمر الإنسان أن يظهر أثر نعم الله عليه^(١).

والثالث- إظهار التزهيد، وقد أمرنا بستره.

والرابع- أنه تشبه بهؤلاء المتزحزين عن الشرعة، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

وقال الطبري: «ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان مع وجود السبيل إليه من حله.

ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر.

(١) قال العجلي: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»، تقدم قريباً.

• أما حديث: «البداذة من الإيمان» ففي حال صحته - وهو يحتمل التحسين، وقد حسنه العراقي في «أماليه»؛ كما في «الفيض» (٢١٧/٣)، وصححه الحافظ في «الفتح» (٣٦٨/١٠)، وقَوَّاه ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٥٠٠/٣)، وأعلَّه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٢/٢٤)، وراجع «علل الدارقطني» (٤٢٧/١٥). وقد أخرجه أحمد في «الزهد» ص [١٢]، وأبو داود في «السنن» [٤١٦١] - فإن الحديث لا يعني قذارة الثياب، ووساختها، بل كما سأل عبد الله بن أحمد أباه قال له: «ما البداذة؟ قال: التواضع في اللباس». وقاله البيهقي في «شعبه» (١٥٥/٥) [٦١٧٤]، وكما قال المناوي في «الفيض» (١٦٥/٢)، والزرقاني في «شرح الموطأ» (٣٣٨/٤): «وأما خبر «لبداذة من الإيمان» فإثبات التواضع للمؤمن» انتهى المراد.

وقال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٣٣٠/١): «قوله عَلَيْهِ السَّلَام: «البداذة من الإيمان» أراد به اطراح الشهوة في الملبس والإسراف فيه، الداعي إلى التبخر والبطر ليصح معاني الآثار ولا تتضاد، ومن معنى (غباً) يريد عند الحاجة؛ لئلا يكون ثائر الرأس شعته، كأنه شيطان؛ كما جاء عنه عَلَيْهِ السَّلَام».

ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض شهوة النساء.

وسئل بشر بن الحارث عن لبس الصوف؛ فشق عليه وتبينت الكراهة في وجهه ثم قال: «لبس الخز والمعصر أحب إليّ من لبس الصوف في الأمصار».

وقال أبو الفرج: «وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المترفعة ولا الدون ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد ولللقاء الإخوان، ولم يكن تحير الأجود عندهم قبيحاً. وأما اللباس الذي يزري بصاحبه؛ فإنه يتضمن إظهار الزهد وإظهار الفقر، وكأنه لسان شكوى من الله تعالى، ويوجب احتقار اللابس، وكل ذلك مكروهٌ منهى عنه».

فإن قال قائلٌ: «تجويدُ اللباس هوَى النفس، وقد أمرنا بمجاهدتها، وتزینُ للخلق، وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق؟».

فالجواب: «ليس كل ما تهواه النفس يُذم، وليس كل ما يتزين به للناس يُكره، وإنما يُنهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه أو على وجه الرياء من باب الدين؛ فإن الإنسان يجب أن يرى جميلاً. وذلك حظٌ للنفس لا يلام فيه. ولهذا ولهذا يسرح شعره، وينظر في المرأة، ويسوي عمامته، ويلبس بطانة الثوب الخشنة إلى داخل، وظهارته الحسنة إلى خارج. وليس في شيء من هذا ما يكره ولا يُذم. وقد روى مكحول عن عائشة قالت: كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريداهم وفي الدار ركوة فيها ماء، فجعل ينظر في الماء ويسوي لحيته وشعره، فقلت: يا رسول الله وأنت تفعل هذا؟ قال: «نعم إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه، فإن الله جميل يحب الجمال»^(١)..

(١) قلتُ: وفي سنده انقطاع بين مكحول وعائشة؛ وقد أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣٨٩/١) [٩٠٧]، وانظر: «اللسان» ترجمة أيوب بن مدرك (٤٨٨/١)، فقد نقل عن ابن حبان قوله: «روى أيوب بن مدرك عن مكحول نسخة موضوعة» وذكر الحافظ هذا الحديث في ترجمته

وفي «صحيح مسلم»^(١) عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: يا رسول الله! إن الرجل يحب أن يكون ثوبه ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، تدلُّ كلها على النظافة وحسن الهيئة. انتهى.
فالتجوّز في الملبس الذي يؤدي إلى التباهي والافتخار والتعالي والمخيلة - في هذه الحالة - يذم؛ فجمال الثوب في ذاته لا يذم، لكن المذموم البطر والإعجاب بالنفس به، وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجلٌ يمشي في حلة تعجبه نفسه مُرَجِّلَ جمته وبرداه إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة».



لكنه توبع عند السمعاني في «أدب الإماء» [٣٢]، من العلاء بن كثير عنه به، لكن الخبر منقطع كما سبق، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٤٧/١)، ترجمة أيوب، وحكم على الحديث من طريقه بالنكارة. وأخرجه كذلك ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٦٨٧/٢)، وأورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٣٢٠/٢) من طريق أم كلثوم عن عائشة فذكرته؛ لكن حكم عليه أبو حاتم بالنكارة أيضًا.

[٩١] (١)

(٢) أخرجه البخاري [٥٧٨٩] ومسلم [٢٠٨٨].

أَبْوَابُ

فِي زَهْدِ الصَّحَابَةِ (١)

وَالْتَابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

قال ابن مسعود: «أنتم أكثر صلاةً وأكثر صياماً وأكثر جهاداً من أصحاب محمد ﷺ وهم كانوا خيراً منكم. قالوا: فيم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب منكم في الآخرة» (٢).



(١) كان أصحاب محمد ﷺ لا يأكلون طعاماً يلتمسون به تنعماً، ولا يلبسون ثياباً يلتمسون به جمالاً، وكانت قلوبهم على قلب رجل واحد.

رواه أحمد في «الزهد» [٢٥٤] عن يزيد بن أبي حبيب، والمعافي في «الزهد» رقم [١٧٠].

(٢) تقدّم؛ في فصل (ومن أقوال السلف في الزهد).

قلتُ: ونحوه قول المقدام بن معدي كرب؛ كما عند أبي داود في «الزهد» برقم [٤٠٦]؛ ودخل المسجد ورأى الناس يصلون التطوع في المسجد؛ فقال: «صلاة كصلاة الملائكة، والله لأنتم أكثر صلاة منا، ولنحن كنا خيراً منكم» وهو صحيح.

أحاديث عامة في زهد الصحابة^(١)

في المأكَل:

أخرج الشيخان^(٢) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلَّا وَرَقُ الْحَبْلَةِ وَهَذَا السَّمَرُ، حَتَّى إِنْ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ مَالَهُ خَلَطَ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ بَنُو أَسَدٍ تَعَزَّرُنِي عَلَى الدِّينِ، لَقَدْ خَبْتُ إِذَا وَضَلَ عَمَلِي» وَفِي رِوَايَةٍ: «وَضَلَ سَعْيِي».

معاني:

- **ورقُ الحبلة وهذا السمر:** هما نوعان من شجر البادية، وقيل: الحبلة ثمر العضاة (شجر الشوك كالطلح والعوسج) وجوّد هذا النووي؛ وأيدوا هذا الوجه برواية عند الترمذي بلفظ: «وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي أَغْزَوُ فِي الْعَصَابَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا نَأْكُلُ إِلَّا وَرَقَ الشَّجَرِ وَالْحَبْلَةَ». وَقَدْ فَرَّقَ الْقُرْطُبِيُّ بَيْنَ الْوَرَقِ وَالسَّمَرِ كَمَا فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَفِيهَا التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَانْظُرِ «الْفَتْحَ» (١١ / ٢٩٥).

- **إِنْ أَحَدُنَا لَيَضَعُ:** كناية عن التغوط.

- **ماله خلط:** يخرج يابسًا، وذلك ناشئ عن قشف العيش.

(١) وَكَانَ الصَّحَابَةُ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْغِنَى وَالتَّبَسُّطِ وَالسَّعَةِ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَلْبَسُ لَا يَطْعَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَلْبَسُونَ، وَالَّذِينَ لَا يَلْبَسُونَ لَا يَطْعَنُونَ عَلَى الَّذِينَ يَلْبَسُونَ.

❁ وَكَانُوا يَشْبَعُونَ مَرَّةً وَيَجُوعُونَ أُخْرَى.

- مَعَ عَدَمِ تَكَلُّفِ الْجُوعِ - وَهَذَا قَيْدٌ مُهِمٌّ.

(٢) الْبُخَارِيُّ [٦٤٥٣]، وَكَذَا [٥٤١٢]، وَمُسْلِمٌ [٢٩٦٦]، وَالتِّرْمِذِيُّ [٢٣٦٥]، وَغَيْرُهُمْ.

- تعزرنِي: توقفني على الأحكام والفرائض، وقيل: تقوّمني وتعلمني، وقيل: تلومني وتعتبني، وقيل: توبخني على التقصير. ورجّح القرطبي أن المراد بالتعزير هنا الإعظام والتوقير. قال: كأنه وصف ما كانت عليه حالتهم في أول الأمر من شدة الحال وخشونة العيش والجهد، ثم إنهم اتسعت عليهم الدنيا بالفتوحات وولوا الولايات، فعظمهم الناس لشهرتهم وفضلهم، فكأنه كره تعظيم الناس، وخص بني أسد بالذكر لأنهم أفرطوا في تعظيمه.

لكن - الذي يظهر - أنه عتبروا عليه ووبخوه؛ ففي رواية هذا الحديث عند البخاري [٣٧٢٨] أنهم شكوه ووشوا به إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقالوا: «لا يحسن يصلي»^(١).

قال الحافظ: «وهذا هو المعتمد».

من فوائد الحديث:

✽ بيان ما عليه أصحاب النبي ﷺ من الضيق وخشونة العيش. ويؤيد هذا الحديث حديث آخر هو في معناه؛ ففي «صحيح مسلم» [٢٩٦٧] [١٥] من حديث عتبة بن غزوان قال: «لقد رأيته سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما طعامنا إلا ورق الحلبة. حتى قرحت أشداقنا» أي: جرحت بسبب خشونة الورق الذي كانوا يأكلونه وحرارته.

قال النووي في - الحديث الأول - : «وفي هذا بيان ما كانوا عليه من الزهد في الدنيا والتقلل منها، والصبر في طاعة الله تعالى على المشاق الشديدة».

(١) وهذا ورد في قصة طويلة عند البخاري [٧٥٥]، وانظر: «صحيح مسلم» [٤٥٣].

في الملبس:

في «صحيح البخاري» رقم [٤٤٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيتُ سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجلٌ عليه رداء^(١)، إما إزار^(٢)، وإما كساء قد ربطوا^(٣) في أعناقهم؛ فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته».

قال الحافظ في «الفتح» (٦٣٩/١): «زاد الإسماعيلي أن ذلك في حال كونهم في الصلاة، ومحصل ذلك أنه لم يكن لأحدٍ منهم ثوبان».

فهكذا كان أصحاب نبينا ﷺ؛ لكن من وسَّع الله عليه فليوسع على نفسه من غير إسراف ولا مخيلة.

ففي «الصحيح»^(٤) أيضاً من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رجلٌ إلى النبي ﷺ فسأله عن الصلاة في الثوب الواحد؛ فقال: «أو كلكم يجد ثوبين؟»، ثم سأل رجلٌ عمر؛ فقال: «إذا وسَّع الله فأوسعوا. جمع رجل عليه ثيابه^(٥)، صلى رجلٌ في إزارٍ ورداء، في إزارٍ وقميص، في إزارٍ وقباء، في سراويل ورداء، في سراويل وقميص، في تبانٍ وقباء، في تبانٍ وقميص، وقال^(٦): وأحسبه قال: في تبانٍ ورداء».

(١) ما يستر أعالي البدن.

(٢) أي: فقط.

(٣) الأكسية.

(٤) البخاري [٣٦٥].

(٥) أي: إن جمع رجلٌ عليه ثيابه فحسن؛ وقال بعضهم: ليجمع وليصل.

(٦) أبو هريرة؛ والضمير في «أحسبه» راجع إلى عمر.

فانظر إلى ضيق حال الصحابة كيف وصل بهم الحال إلى مشقة ستر العورة في الصلاة، فبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الاقتصار على الثوب الواحد لضيق حالهم جائز، والصلاة في الثوبين أفضل. وانظر «الفتح» (١/ ٥٦٧).

وفي «الزهد» لأحمد ص [٣٢٠، ٣٢٠] بسند صحيح من حديث الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «والله لقد أدركت أقوامًا ما طوى لأحدهم في بيته ثوب قط، ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط، وما جعل بينه وبين الأرض شيئًا قط، وإن كان أحدهم ليقول: لوددت أني أكلة فتصير في جوفي مثل الآجرة»^(١).

قال: ويقول: «بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلاث مائة سنة».

ولقد أدركت أقوامًا إن كان أحدهم ليرث المال العظيم، قال: وإنه لمجهود شديد الجهد، قال: فيقول لأخيه: يا أخي إني قد علمت أني ذو ميراث، وهو حلال، ولكنني أخاف أن يفسد عليّ قلبي وعملي، فهو لك لا حاجة لي فيه».

قال: فلا يرزأ^(٢) منه شيئًا أبدًا، قال: وهو والله مجهود شديد الجهد». قال: والله لقد أدركت أقوامًا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم، ولقد كانوا أشفق من حسنتهم أن لا تقبل منهم منكم أن تؤاخذوا بسيئاتكم».

وعند أحمد في «الزهد» ص [٣٤٧] أيضًا، وفيه زيادة أخرى.

فهذا الصنف يخاف على نفسه الفتنة بالمال الكثير، فيدفعه ويرضى بالدون صيانة لدينه ونفسه وقلبه.



(١) وفي رواية: «إن كان أحدهم ليأكل فما عدا أن يقارب شبعه يمسك».

(٢) أي: فلا يطلب ولا يصيب منه شيئًا.

زهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ ومؤنسهُ ورفيقه في الغار، وصديقه الأكبر، وهو أزهد الصحابة ثم عمر^(١).

وأفضل الأولياء بعد الرسل.

وقد أنفق أبو بكر ماله كله حين رغب رسول الله ﷺ في الصدقة؛ فلم يسبقه يوماً أحد.

❦ ففي «سنن أبي داود» برقم [١٦٧٨] بسند صحيح من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك ما لا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي؛ فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً.

❦ وفي «الزهد» لأبي داود برقم [٣٥] من حديث عروة قال: إن أبا بكر أسلم وله أربعون ألف درهم.

(١) قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (٧/ ٤٧٩- وما بعدها): «أهل العلم يقولون: أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ الزهد الشرعي: أبو بكر وعمر، وذلك أن أبا بكر كان له مال يكتسبه فأنفقه كله في سبيل الله، وتولى الخلافة، فذهب إلى السوق يبيع ويتكسب.. وقال بعض العلماء: علي كان زاهداً، ولكن الصدق أزهد منه، لأن أبا بكر كان له المال الكثير في أول الإسلام والتجارة الواسعة فأنفقه في سبيل الله، وكان حاله في الخلافة ما ذكر، ثم رد ما تركه لبيت المال». ثم نقل عن ابن حزم كلاماً طويلاً، وقال فيه: «ولقد تلا أبا بكر عمر في هذا الزهد..» وعزاه الدكتور/ رشاد سالم لابن حزم في «الفصل» (٤/ ٢١٦-٢١٨).

قال عروة: «فأخبرتني عائشة. قالت. توفي أبو بكر ولم يترك ديناراً ولا درهماً، ضرب الله سكنه».

وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» ص [١٣٦] وص [١٣٨] وهو صحيح. والفقرة الأولى مرسلة.

وفي «الزهد» لأبي داود برقم [٣٧] عن بكر بن عبد الله قال: «إن أبا بكر لم يفضل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصوماً، إنما فضلهم بشيء كان في قلبه» وسنده صحيح.

قال العلامة ابن القيم في «الفوائد» ص (٨٣، ٨٤)، وهو يتحدث عن صحبته لرسول الله ﷺ ومرافقته له في الغار^(١): «كان تحفة ﴿ثَانِي﴾ أَثْنَيْنِ ﴿التَّوْبَةِ: ٤٠﴾ مدخرة للصديق، دون الجميع، فهو الثاني في الإسلام، وفي بذل النفس، وفي الزهد، وفي الصحبة، وفي الخلافة، وفي العمر، وفي سبب الموت؛ لأن الرسول ﷺ مات عن أثر السم، وأبو بكر سُمِّ فمات^(٢).

أسلم على يديه من العشرة عثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

وكان عنده يوم أسلم أربعون ألف درهم، أنفقها أحوج ما كان الإسلام إليها، فلهذا جلبت نفقته عليه: «ما نفعني مال. ما نفعني مال أبي بكر» فهو خير من مؤمن آل فرعون؛ لأن ذلك كان يكتُم إيمانه، والصدق أعلن به. وخير من مؤمن آل يس، لأن ذلك جاهد ساعة، والصديق جاهد سنين. عاين طائر الفاقة، ويحوم حول حب الإيثار،

(١) لقد دخلاً غاراً لا يسكنه لابل، فاستوحش الصديق من خوف الحوادث، فقال الرسول ﷺ: «ما ظنك باثنين والله الثالث» فنزلت السكينة، فارتفع خوف الحادث، فزال الخوف وطاب عيش الماكث. قاله ابن القيم في نفس المصدر.

(٢) يُنظر في ثبوته!.

وَيَصِيحُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البَقَّة: ٢٤٥]. فألفى له حب المال على روض الرضا، واستلقى على فراش الفقر، فنقل الطائر الحب إلى حوصلة المضاعفة، ثم علا على أفنان شجرة الصدق؛ يغرد بفنون المدح، ثم قال في محاريب الإسلام يتلو: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الْبَلَد: ١٧-١٨..]. إلى آخر كلمات ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.



زهدُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أبو حفص العدوي الفاروق. أيد الله به الإسلام، وفتح به الأمصار، وهو الصادق المحدث الملهم، فرّ منه الشيطان، وأعلى به الإيمان، وأعلن الأذان^(١).

كان طعامه الخبز والزيت؛

ففي «الزهد» لهناد [٦٩٠] عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال - وهو في الإمرة - : «إني لا أجده يحل لي أكل مالكم إلا عما كنتُ آكلًا من صلب مالي: الخبز والزيت، والخبز والسمن».

- فكان ربما أتى بالقصة قد جعلت بزيت، وما يليه بسمن، فيعتذر - فيقول: «إني رجلٌ عربي، ولست أستمري هذا الزيت». وهو صحيح.

وفي «الزهد» لأحمد ص [١٥٠] عن أسلم العدوي والد زيد قال: «أصاب الناس سنة غلا فيها السمن، وكان عمر يأكل الزيت، فيقرقر بطنه، فيقول: قرقر ما شئت، فوالله لا تأكل السمن حتى يأكل الناس، ثم قال: اكسر عني حرّه بالنار، فكنتُ أطبخه له فيأكله». وسنده صحيح^(٢).

وقد أنشد بعضهم في ذلك أبياتًا:

يا من يرى عمر تكسوه بردته الزيتُ أدّمُ له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فرقًا وملوكُ الروم تخشاهُ

وفي «الزهد» لأحمد ص (١٤٢، ١٤٣) عن الأحنف بن قيس قال: «وكنّا نشهد طعام عمر فيومًا لحمًا غريضًا^(٣) ويومًا قديدًا ويومًا زيتًا» وهو صحيح.

(١) «تذكرة الحفاظ» (٥ / ١) للحافظ الذهبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وأخرجه كذلك ابن سعد في «الطبقات» (٣ / ٣١٣).

(٣) والغريض: الطريُّ؛ كما في «القاموس».

أما ملبسُهُ:

فلم يكن يبالي هل يلبس ثيابًا من أفخم الثياب وأحسنها أم ثيابه دون ذلك، حتى وصل به الأمر أن لبس ثيابًا مرقعًا.

ففي «الزهد» هناد برقم [٧٠١] من حديث أنس بن مالك قال: «رأيت بين كنفَي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أربع رقاع في قميصه» وهو صحيح.

وأخرجه أبو داود في «الزهد» رقم [٥٨]، وانظر أيضًا: ما ورد في «الزهد» لأحمد ص (١٥١، ١٥٣، ١٥٤).

وفي «الزهد» لأحمد ص [١٥٤]^(١) عن مصعب بن سهل قال: قالت حفصة بنت عمر: يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبًا هو ألين من ثوبك، وأكلت طعامًا هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله عَزَّجَلَّ من الرزق وأكثر من الخير، قال: إني سأخصمك إلى نفسك. أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقي شدة العيش؛ فما زال يذكرها حتى أبكاها؛ فقال لها: إن قلت لك ذاك إني والله لئن استطعت لأشاركنهما^(٢) بمثل عيشهما الشديد لعلِّي أدرك معهما عيشهما الرخي» وهو صحيح.

وها هو عمر - وهو أمير المؤمنين - يقول وهو في أنفاسه الأخيرة حين قُتل - يقول لولده^(٣): «يا عبد الله بن عمر انظر ما عليّ من الدِّين؟، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه. قال: إن وفي له مال آل عمر فأدّ من أموالهم - وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدّهم إلى غيرهم فأدّ عني هذا المال».

لم يقل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: انظر ما لنا من قصور وحدائق وأموال!

(١) وأخرجه هناد في «الزهد» رقم [٦٨٧].

(٢) يعني: رسول الله ﷺ وأبا بكر.

(٣) كما في «صحيح البخاري» [٣٧٠٠].

بل قال: «انظر ما عليّ من الدين».

خليفة مدينٌ وحاكمٌ فقير!

خليفة فاضلٌ لا يستغل أموال الأمة في مصلحته الخاصة.

حاكم عادلٌ لا يوظف خزينة المسلمين لمنفعته الذاتية.

تأمل كيف كان عمر يعمل وينصف ويعدل، ومع ذلك كله يقول: «وددتُ أن ذلك كفاف»^(١).

وقد قال عمر حين طعن أيضًا - كما في «صحيح البخاري» - [٣٦٩٢]: «والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله عَزَّجَلَّ قبل أن أراه».

* وفي «الزهد» لأبي داود رقم [٦٩]^(٢) بسندٍ صحيح من حديث طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام أتى ببرذون فركبه، فهزه فنزل عنه، فعرضت له مخاضة فنزل عن بعيره، وأخذ بخطامه، ونزع موقيه^(٣) فأخذهما بيديه وخاض الماء؛ فقال أبو عبيدة: صنعت اليوم صنيعًا عظيمًا عند أهل الأرض، فصك عمر في صدره؛ فقال: «إنه لو غيرك يقول هذا، إنكم كنتم أقل الناس وأذل الناس وأضعفه، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلکم».

(١) «من مواقف الصحابة» ص [١٠٤، ١٠٥] للشيخ العوايشة.

(٢) وأخرجه أيضًا هناد في «الزهد» رقم [٨١٧] من طريق الأعمش عن قيس بن مسلم عن طارق به، ولفظه: «لما قدم عمر الشام تلقتة الجنود، وعليه إزار، وخفّان، وعمامة، وهو أخذ برأس راحلته، يخوض الماء، فقالوا: يا أمير المؤمنين! تلقاك الجنود والبطارقة، وأنت على حالك هذا؟ فقال عمر: إنا قوم، أعزنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العزة بغيره».

(٣) أي: خفيه.

وانظر: «الزهد» لأحمد ص [١٥٠] والخطيب في «الفيء والمتفق» (٢٠٥٢/٣).
وزهد أبي داود أيضًا برقم [٧٧]، و«شعب البيهقي» (١٨٠/١٣) ط. الرشد.

وفي «الزهد» لهناد برقم [٦٨٩] وسنده صحيح من طريق: يسار بن نمير قال:
«والله ما نخلت لعمر الدقيق إلا وأنا لله عاص» وفي رواية: «وأنا له - يعني عمر -
عاص» عند أبي داود في «الزهد» برقم [٨٣] وقد كان يمنع من اتخاذ المنخل. كما عند أبي
داود في «الزهد» رقم [٧٧، ٧٨].

وكان رسول الله ﷺ يعطيه العطاء، فيقول عمر: أعطه أفقر إليه مني، فقال
له النبي ﷺ: «خذه وتموله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال وأنت غير
مشرف، ولا سائل فخذ، وإلا فلا تتبعه نفسك». رواه البخاري [٧١٦٣]، ومسلم
[١٠٤٥].



زهدُ عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

أبو عمرو الأموي ذو النورين، ومن تستحي منه الملائكة، ومن جمع الأمة على مصحف واحد بعد الاختلاف، ومن افتتح نوابه إقليم خراسان وإقليم المغرب.

وكان من السابقين الصادقين القائمين الصائمين المنفقين في سبيل الله.

ومن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وزوجه بابنتيه رقية وأم كلثوم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال الذهبي^(١): «وكان ممن جمع بين العلم والعمل والصيام والتهجد والإنفاق، والجهاد في سبيل الله وصلة الأرحام فقبح الله الرافضة؛ قال هشام بن يوسف الصنعاني: أخبرنا عبد الله ابن بجير عن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبّل لحيته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» ١. هـ.

قلتُ: والأثر أخرجه عبد الله في «زوائد الزهد» ص [١٦٠] عن يحيى بن معين عن هشام به. وسنده جيد - على كلام في عبد الله بن بجير القاص وقد وثقه ابن معين - ولفظ الأثر هناك: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبّل لحيته، فقليل له: تذكر الجنة فلا تبكي وتبكي من هذا. قال: إن رسول الله ﷺ قال: «القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ منه». قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منزلاً إلا ورأيت القبر أفضح منه». قال: وكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ثم قال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل»^(٢).

(١) «التذكرة» (٩/١). وقال الذهبي: «هاجت رؤوس الفتنة والشر، وأحاطوا به، وحاصروه ليخلع نفسه من الخلافة، وقاتلوه قاتلهم الله؛ فصبر، وكفّ نفسه وعبيده، حتى دُبح صبراً في داره. والمصحف بين يديه، وزوجه نائلة عنده، وتسور عليه أربعة أنفس».

(٢) حديث حسن: أخرجه أبو داود [٣٢٢١]، والترمذي [٢٣٠٨]، وابن ماجه [٤٢٦٧]، =

وفي «الزهد» ص [١٦٠] لأحمد بسند صحيح عن عبد الله بن الزبير قال: قلتُ لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الدار: قاتلهم الله، فوالله لقد أحلَّ الله لك قتالهم. فقال: لا والله لا أقاتلهم أبداً فدخلوا عليه فقتلوه وهو صائم.

وفي «زوائد الزهد» ص [١٦٠] لعبد الله بن أحمد بسند لا بأس به في الآثار عن شرحبيل بن مسلم أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت.

قلت: وشرحبيل من الثالثة وفيه لين، قال الحافظ: «صدوق فيه لين»، وضعفه ابن معين.

وقال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٢٦٧): «تابعي مشهور، وثقة أحمد وغيره. ونقل عن ابن معين تضعيفه». وهو شاميٌّ فراوية إسماعيل عنه مقبولةٌ.

لكنني أتوجَّل من سماعه من عثمان؛ فلا أدري!!

وفي الجملة؛ فعثمان الحَيَّ كان زاهداً عابداً صائماً قائماً متصدقاً متفقاً. جهَّز جيش العسرة بماله وحفر بئر رومة، وبشره رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبه. فصبر واحسب. وزهد في الدنيا مع غناه؛ فرضي الله عنه وأرضاه، وقبح الله من اعتدى عليه وعاداه.



= عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسنادٍ حسنٍ النووي في «خلاصة الأحكام» [٣٦٧٤]، وصححه في «روضة الطالبين» (٢/ ١٣٨)، وحسنه المناوي في «التيسير» (٢/ ٤٩٧). وراجع «البدر المنير» لابن الملقن (٥/ ٣٣٠).

زهدُ عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وعليّ هو أبو الحسن ابن عم رسول الله ﷺ؛ رابع الخلفاء الراشدين، شهد النبي ﷺ له بالجنة.

وهو أول من أسلم من الغلمان لم يتلعثم، وهو زوج ابنة رسول الله ﷺ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وانظر: في سيرته «البداية» (٢٣٣/٧).

❖ تقدّم في باب [ومن أقوال السلف في الزهد] أثر عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل».

وهو في «الصحيح» معلقاً؛ كما في «الفتح» (٢٣٩/١١).

أما عن طعامه:

فقد روي عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» ص [١٦٤] بسندٍ رجاله ثقات. عن عدي عن عدي بن ثابت^(١) أن عليّاً أتى بفالودج^(٢) فلم يأكله.

فكانوا لا يتنعمون بأطياب الطعام حتى لا يُقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾.

فكانوا يربون أنفسهم على القناعة باليسير والرضا بالقليل ما يسدّ جوعهم ويقيم أصلاهم.

(١) وهو ثقة من رجال الجماعة هو من الطبقة الرابعة فسأعنه من عليّ محتمل؛ والأثر رواه أيضاً هناد في «الزهد» رقم [٦٩٨].

(٢) طيب الطعم، حسن اللون، طيب الريح؛ وانظر: «الزهد» أيضاً ص [١٦٥].

وأما ثيابه:

فقد روى هناد في «الزهد» رقم [٧١٣] بسند حسن. عن ابن أبي الهذيل (عبد الله) قال: «رأيت على عليٍّ قميصًا رازيًا، إذا أرخى كفه بلغ أطراف الأصابع، وإذا تركه صار إلى الرصغ»^(١).



(١) والرصغ والرسغ لغتان: مفصل ما بين الكف والساعد، وانظر: «التواضع والخمول» [١٤٠]، و«إصلاح المال» [٣٦٧]، كلاهما لابن أبي الدنيا.

زهدُ الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو ابن العوام وزوج أسماء أخت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومشهودٌ له بالجنة، وهو من ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [الأنعام: ١٧٢]. كما ثبت ذلك في «الصحيحين».

أما عن زهده:

فقد روى البخاري في «الصحيح» برقم [٥٢٢٤]، ومسلم كذلك برقم [٢١٨٢] من حديث:

أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «تزوجني الزبير وماله في الأرض من مالٍ ولا مملوك ولا شيء غير ناضحٍ وغير فرسه، فكنت أعلفُ فرسه^(١) وأستقي الماء وأخرُزُ غَرَبَهُ^(٢) وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جاراتي من الأنصار، وكن نسوة صديق، وكنت أنقلُ النوى من أرض الزبير - التي أقطعها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ^(٣)... الحديث».

وكلُّ هذا؛ للحاجة والضرورة والشدة التي حلَّت بهم؛ ولضيق ما بأيديهم.

قال النووي: «وأما قولها: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير» فأشار القاضي إلى أن معناه: (أنها تلتقطه من النوى الساقط فيها مما أكله الناس وألقوه).

(١) في رواية مسلم: «فكنت أعلفُ فرسه، وأكفيه مؤنته وأسوسه، وأدق النووي لناضحه وأعلفه».

(٢) غَرَبُهُ: الدلو الكبير.

(٣) أي: من مسكنها بالمدينة. والفرسخ: ثلاثة أميال، والميل: ستة آلاف ذراع، والذراع: أربع وعشرون أصبعًا معترضة معتدلة. قاله النووي (١٤/ ١٦٥).

ومن أقواله المأثورة:

ما رواه أبو داود في «الزهد» برقم [١١٩] بسندٍ صحيح. عنه قال: «من استطاع أن تكون له خبيئة من عملٍ صالحٍ فليعمل» - يعني - : عملاً صالحاً يعمل خفية.

❁ وهذا الزهد ورثه ولده عبد الله بن الزبير بن العوام ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أول مولود بالمدينة في الإسلام، وفي «الزهد» لأبي داود برقم [٣٩٠] عن ثابت قال: «كنت أمر بابن الزبير وهو يصلي خلف المقام، كأنه خشبة منصوبة أو حجر منصوب لا يتحرك» وهو صحيح. وانظر: «الزهد» لأحمد ص [٢٤٩].



(١) وفي «صحيح البخاري» برقم [٤٦٦٥] أن ابن عباس قال: «أما أبوه فحواري النبي ﷺ - يريد الزبير - وأما جدُّه فصاحب الغار يريد أبا بكر، وأما أمه فذات النطاق، يريد أسماء، وأما خالته فأُمُّ المؤمنين يريد عائشة. وأما عمته فزوج النبي ﷺ يريد خديجة، وأما عمة النبي ﷺ، فجدة يريد صفية، ثم عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن...». قلتُ: وقد قتله الحجاج وصلبهُ على عقبة المدينة؛ ويمرُّ الناس عليه، ومَرَّ ابن عمر فوقف عليه، فقال: السلام عليك أبا خبيب! السلام عليك أبا خبيب! السلام عليك أبا خبيب، أما والله لقد كنت أنهارك عن هذا، أما والله لقد كنتُ أنهارك عن هذا!.. أما والله إن كنت ما علمتُ صواماً، قواماً، وصولاً للرحم، أما والله لأمةٌ أنت أشرها لأمةٍ خير» كما عند مسلم في «الصحيح» [٢٥٤٥].

زهّد عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وهو أبو محمد القرشي؛ قال الحافظ ابن كثير^(١): «أسلم قديماً على يدي أبي بكر، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وشهد بدرًا وما بعدها... وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثانية السابقين إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم» إلى نهاية تلك المناقب السامية في حقه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

❦ قلتُ: وقد تاجر عبد الرحمن فربح وصار غنياً؛ لكنه في الوقت ذاته زاهداً فاضل؛ ففي «صحيح البخاري» برقم [٢٠٤٨] من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: لما قدمنا المدينة؛ أخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع؛ فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أيّ زوجتي هويت؛ نزلتُ لك عنها، فإذا حلّت؛ تزوجتها.

قال: فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوقٍ فيه تجارة؟
قال: سوقٌ قينقاع.

قال: فغذا إليه عبد الرحمن، فأتى بأقطي^(٢) وسمن.

قال: ثم تابع الغدو، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة. فقال رسول الله ﷺ: «تزوجت؟» قال: نعم. قال: «ومن؟» قال: امرأة من الأنصار. قال: «كم سقت؟» قال: زنة نواةٍ من ذهب أو نواة من ذهب. فقال له رسول الله ﷺ: «أولم ولو بشاة».

(١) «البداية» (٧/ ١٧٠).

(٢) لبن محفف يابس مستحجر يطبخ به.

فانظر - رعاني الله وإياك - إلى قول عبد الرحمن لأخيه سعد: «لا حاجة لي في ذلك».

«إن زهد عبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَخِيهِ لِيَذْكُرَ بِقِصَّةِ مُحَاسِبَتِهِ نَفْسَهُ وَبِكَائِهِ وَتَرْكِ الطَّعَامِ حِينَ كَانَ صَائِئًا؛ وَذَلِكَ فِي الْقِصَّةِ الَّتِي يَرْوِيهَا ^(١) عَنْهُ سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ ^(٢): «إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى بِطَعَامٍ - وَكَانَ صَائِئًا - فَقَالَ: قَتَلَ مَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ - وَهُوَ خَيْرُ مَنْيٍّ - كُفْنٌ فِي بَرْدَةٍ، إِنَّ غُطِّي رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّي رِجْلَاهُ، بَدَا رَأْسُهُ». وَأَرَاهُ قَالَ: «وَقَتَلَ حِمَزَةٌ وَهُوَ خَيْرُ مَنْيٍّ، ثُمَّ بَسَطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا يُبْسَطُ - أَوْ قَالَ -: أَعْطَيْنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أَعْطَيْنَا - وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتِنَا عَجَلَتْ لَنَا» ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ.

انظر إلى قول عبد الرحمن: «قتل مصعب بن عمير وهو خير مني».

وإن هذا هو التواضع بعينه؛ بل إن هذا هو من الزهد كذلك. وفي «الشعب» (٦ / ٣٠١) للإمام البيهقي أورد عن الحسن قوله: «الزاهد إذا رأى أحداً قال هذا أفضل مني».

ينظر إلى من يراه أفضل منه في أمور دينه لا أمور دنياه؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله». رواه مسلم.

وفي «الصحيحين»: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه».

(١) رواه البخاري كتاب «الجنائز»، انظر: «الفتح» (٢/ ٩٨)، (٣/ ١٤٢).

وهو في «الصحيح» برقم [٤٠٤٥]، وسيأتي الحديث مكرراً في «تذكر سير الصالحين وزهدهم».

(٢) هو ابن عبد الرحمن بن عوف.

ولك أن تتساءل: ما ميزان الخيرية عند عبد الرحمن حين تذكّر مصعباً أخاه، وقال:
«هو خير مني»؟ كفن أخوه في بردة قاصرة!

هكذا هم يزنون الخيرية، أما نحن فنزنها بكثرة الأموال والشهادات والمناصب!
✽ أما ميزان عبد الرحمن بخلاف ذلك.

ولذلك تسابقوا إلى الزهد... وتسابقنا إلى الدنيا.

هذه صورة أبكت عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد كان يعيش الزهد، فما الذي
ينبغي أن نفعله نحن؟ إن الشيء الذي يمكن أن نقدمه هو أن نجود بالدموع، وأن نعزم
على فتح صفحة جديدة من حياتنا؛ نزهد فيها في الدنيا ونطمع فيها في الآخرة، ولنعلم
أن الدنيا فانية والآخرة خير وأبقى.. وجعل عبد الرحمن يبكي حتى ترك الطعام وكان
صائماً حين تذكر إخوانه الذين قضوا نحبتهم وأفضوا إلى ربهم؛ فما لنا لا نبكي وقد نعزي
كلّ يوم أخاً من إخواننا؟ ما لنا لا نبكي من ذنوبنا ونتخلي عن الشهوات»^(١).



(١) انظر: «من مواقف الصحابة» للشيخ العوايشة ص [١٢٩] وما بعدها، ص [١٤١] وما بعدها.

أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وأبو عبيدة هو عامر بن عبد الله بن الجراح أسلم قديماً، وشهد بدرًا، أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة.

أخرج البخاري في «الصحيح» برقم (٤٣٦٠، ٤٣٦١، ٤٣٦٢)، ومسلم في «الصحيح» برقم [١٩٣٥] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «بعث رسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثًا قبل الساجل، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة، فخرجنا وكنا ببعض الطريق في الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع، فكان مزودي تمر، فكان يفوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فنى، فلم يصيبنا إلا ثمرةُ ثمرة، فقلتُ: ما تُغني عنكم ثمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدناها حينَ فُتيت، ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوتٌ مثل الظَّرب، فأكل منه القوم ثمانَ عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا، ثم أمر براحلةٍ فُرِحِلَت، ثم مرَّت تحتها، فلم تصبهما».

وفي رواية^(١): «غزونا جيش الخبط^(٢)، وأمر أبو عبيدة، فجعلنا جوعاً شديداً، فألقى البحر حوتاً ميتاً لم يُر مثله، يُقال له العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظماً من عظامه فمرّ الراكب تحته». وفي الرواية بعدها: «وآدّنا بودكه^(٣) حتى صلحت أجسامنا، قال: فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبه فمرّ الراكب تحته، وكان فينا رجل، فلما اشتد الجوع نحر ثلاث جزائر، ثم ثلاث جزائر ثم نهاه أبو عبيدة».

(١) في «الصحيح» [٥٤٩٣، ٤٣٦٢].

(٢) ورق الشجر.

(٣) الدسم.

وفي رواية ^(١): «فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط فُسِمِي ذلك الجيش جيش الخبط...».

وفي رواية مسلم: قال جابر: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة: نتلقى عيرًا للقريش. وزودنا جرابًا من تمرٍ لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يُعطينا تمرًا تمرًا. قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصّها كما يمصُّ الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفيينا يومًا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط، ثم نبُلّه بالماء فنأكله، قال: وانطلقنا على ساحل البحر. فُرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب ^(٢) الضخم فأتيناه فإذا هي دابةٌ تدعى العنبر. قال: قال أبو عبيدة: مَيِّتة، ثم قال: لا. بل نحن رُسُل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله. وقد اضطررتم فكلُّوا، قال: فأقمنا عليه شهرًا، ونحن ثلاث مائةٍ حتى سَمِنَّا.

قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب ^(٣) عينه بالقلال ^(٤)؛ ونقتطع منه الفدر ^(٥) كالثور (أو كقدر الثور) فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلًا. فأقعدهم في وقب عينه، وأخذ ضلعًا من أضلاعه. فأقامها. ثم رحل ^(٦) أعظم بعير منا. فمرّ من تحتها، وتزودنا من لحمه وشائق ^(٧)، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له. فقال: «هو رزق أخرج به الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟» قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله.

(١) في «الصحيح» برقم [٤٣٦١].

(٢) الجبل الصغير، أو ما تتأ من الجبل.

(٣) داخله؛ ومنه: ﴿وَمِنْ شَرِّ عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣].

(٤) جمع قلة وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه.

(٥) جمع فدره وهي القطعة من اللحم.

(٦) جعل عليه رحلاً.

(٧) اللحم يغلي إغلاءة ويحمل في السفر ولا ينضج لئلا يتهرى.

فانظر إلى حال الصحابة وهم في أسفارهم كيف يلحقهم الجوع الشديد ويعانون منه أشدَّ العناء، ومع ذلك ترى عندهم من الصبر والجلد ما لا تجده في هذا الزمان. فكان الأولون لا ينحرفون يمنةً ولا يسرةً إذا أصيبوا، أما في هذه الأيام فأحدنا: «إذا أصابته فتنة انقلب على وجهه..» ولا حول ولا قوة إلا بالله.



زهد أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وخبر أهل الصفة أضياف الإسلام

وأبو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر على الأشهر.

قال عنه الذهبي في «التذكرة» (١/ ٣٢، ٣٣): «الفقيه صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من أوعية العلم، ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع، وكان من أصحاب الصفة فقيرًا. ذاق جوعًا وفاقة، ثم بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلح حاله وكثر ماله، وكان كثير التبعيد والذكر» ١. هـ.

❦ وفي «صحيح البخاري» برقم [٦٤٥٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه كان يقول: «الله الذي لا إله إلا هو؛ إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه؛ فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني؛ فمرَّ ولم يفعل. ثم مرَّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله؛ ما سألته إلا ليشبعني؛ فمرَّ ولم يفعل، ثم مرَّ بي أبو القاسم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتبسَّم حين رأيته وعرف ما في نفسي، وما في وجهي؛ ثم قال: «يا أبا هريرة» قلتُ: لبيك يا رسول الله؛ قال: «الحق» ومضى، فتبعته، فدخل فاستأذن؛ فأذن لي، فدخل فوجد لبنًا في قدح؛ فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهده لك فلان - أو فلانة. قال: «يا أبا هريرة» قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي» قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد؛ إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلتُ: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحقُّ أن أصيب من هذا اللبن شربةً أتقوى بها، فإذا جاءوا أمرني فكنتُ أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدًّا، فأتيتهم

فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «يا أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله؛ قال: «خذ فأعطهم»؛ فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يردُّ عليّ القدح حتى يروى؛ ثم يردُّ عليّ القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسّم؛ فقال: «أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت» قلت: صدقت يا رسول الله؛ قال: «اقعد فاشرب» فقعدتُ فشربت؛ فقال: «اشرب» فشربتُ فما زال يقول: «اشرب» حتى قلتُ: لا والذي بعثك بالحق، ما أجدُ له مسلَكًا، قال: «فأرني» فأعطيته القدح، فحمد الله، وسمّي وشرب الفضلة.

وفي «صحيح البخاري» برقم [٥٤١٤]: من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه مرَّ بقوم بين أيديهم شاةٌ مصلية فدعوه فأبى أن يأكل قال: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير».

قال الحافظ (٩/ ٤٦١): «ليس هذا من ترك إجابة الدعوة، لأنه في الوليمة لا في كل الطعام، وكأن أبا هريرة استحضر حينئذٍ ما كان النبي ﷺ فيه من شدة العيش فزهّد في أكل الشاة، ولذلك قال: خرج ولم يشبع من خبز الشعير».

وفي «الزهد» لأبي داود برقم [٢٩٧] بسندٍ حسن: من حديث ثعلبة بن أبي مالك أن أبا هريرة أقبل في السوق يحملُ حزمة حطب وهو يومئذٍ خليفة لروان، فقال: «أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك» فقلت: أصلحك الله يكفي هذا. قال: «وسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك» والحزمة عليه.

وفي «صحيح البخاري» برقم [٧٣٢٤] من حديث محمد - ابن سيرين - قال: «كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان فتمخّط فقال: بخ بخ! أبو هريرة يتمخّط في الكتان، لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة

مغشيًا عليَّ فيجيء الجاني، فيضع رجله على عنقي، ويرى أي مجنون وما بي جنون ما بي إلا الجوع».

ممشقان: مصبوغان بالمشق (الطين الأحمر). «الفتح» (٣٠٧ / ١٣).

وفي «صحيح البخاري» رقم [٣٧٠٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن الناس كانوا يقولون: أكثر أبو هريرة، وإني كنت ألزمُ رسول الله ﷺ بشبع بطني حتى لا أكل الخمير، ولا ألبس الحبير، ولا يخدمني فلان ولا فلانة، وكنتُ أُلصقُ بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنتُ لأستقرئ الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني. وكان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلبن بنا فيطعمنا ما كان في بيته. حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّة التي ليس فيها شيء فيشقُّها فنلحق ما فيها.

الحبير: ما كان من البرد موشىً مخططاً.

العكة: ظرف السمن.

وحالة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يصبر عليها كثيرٌ من الناس، وهي حالةٌ فيها مصلحةٌ للدين والشرع، ولولا ذلك لما فعل ذلك؛ إذ الضرر بالنفس وإيصالها إلى الهلكة أمرٌ غير محمود شرعاً ولكن إذا عارضه ما هو أهم من غير تحقق الضرر كما فعل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلا حرج.

ولذلك علم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما لم يعلمه كثيرٌ من الصحابة وكانوا يشهدون له بالحفظ.

قال الحافظ في «الفتح» (٩٥، ٩٤ / ٧): «وأخرج ابن سعد في [باب أهل العلم والفتوى من الصحابة] في «طبقاته» بإسنادٍ صحيح. عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: قالت عائشة لأبي هريرة: إنك لتحدث عن النبي ﷺ حديثاً ما سمعتهُ منه، قال: شغلِك عنه يا أمه المرأة والمكحلة، وما كان يشغلني عنه شيء».

زهدُ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ . وهو الذي دعا له رسول الله ﷺ بالفقه في الدين وعلم التأويل وهو ربانيٌّ من الربانيين، كان إذا فُسِّرَ كأن نورًا يخرج من بين ثناياه.

فهو حبر الأمة، وتُرجمان القرآن.

❁ وكان كثيرَ البكاء؛ فعن أبي رجاء العطاردي قال: «كان هذا المكان من ابن عباس مثل الشراك البالي من الدموع». وهو عند أبي داود في «الزهد» رقم [٣٤١]، وعند عبد الله في «زوائد الزهد» ص [١٨١]، ولفظه: «رأيتُ ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من الدموع»، وأخرجه أيضًا أحمد في «فضائل الصحابة» [١٨٤٣]، وبرقم [١٩٣٠] «زوائد الفضائل»، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥ / ١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٠٧ / ٢)، وفي «معرفة الصحابة» (١٧٠٥ / ٣) بإسنادٍ صحيح.



ابن عمر والمساكين

مع توسع ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في بعض المباح فيما يتعلق بكثرة النساء والسراري والمآكل والملابس ^(١) إلا أن الدنيا ما مالت به وما مال بها ^(٢).

فكان يؤثر المساكين بالطعام على نفسه ويصبح صائماً.

ففي «الزهد» لأبي داود رقم [٣١١] من حديث نافع عن ابن عمر: «أنه كان يجمع أهل بيته على جفنته كل ليلة. قال: فربما سمع بكاء المسكين فأخذ نصيبه من اللحم والخبز، فيدفعه إلى المسكين، ويرجع إلى مكانه، وقد فرغوا مما في الجفنة، ثم يُصبح صائماً».

ويقول ابن عمر: «إنه ليأتي عليَّ الشهر ما أشبع فيه» عند أبي داود في «الزهد» برقم [٢٩٥]، وأحمد في «الزهد» ص [٢٦٣]، وهو صحيح.

وعند أبي داود أيضاً في «الزهد» برقم [٣٠٤] عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: «لو أن طعاماً كثيراً عند عبد الله ابن عمر ما شبع منه بعد إلا أن يجد له آكلاً» وهو صحيح وفي أوله قصة.

وبرقم [٣٠٠] عن نافع مولى ابن عمر قال: «إن كان ابن عمر ليقسم في المجلس الواحد ثلاثين ألف درهم، ثم يأتي عليه الشهر ما يأكل مزعة من لحم» وسنده حسن.

— مزعة: قطعة يسيرة.

** وفي «مصنف ابن أبي شيبة» (١٤٨/١٢) عن جابر قال: «ما منّا أحد أدرك الدنيا إلا وقد مال بها أو مالت به إلا عبد الله بن عمر».

(١) كما قال الحافظ في «الفتح» (٢٨٣/١١).

(٢) انظر: «التذكرة» للذهبي (٤٠/١).

وكان لا ينام من الليل إلا قليلاً. يبيت عابداً لربه؛ كما في «الصحيحين» البخاري [١١٢٢] ومسلم [٢٤٧٩]، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»؛ فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً.

❁ وفي «زوائد الزهد» لعبد الله بن أحمد ص [١٩٣] ^(١)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٣٠٢ / ١)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢٣٣ / ٣) من طريق: قزعة - وهو ابن يحيى البصري - قال: «رأيت على ابن عمر ثياباً خشبة - فقيل - أو خشنة. فقلت: يا أبا عبد الرحمن إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان فتقرّ عيني أن أراه عليك، فإن عليك ثياباً خشبة أو خشنة! قال: أرنيه حتى أنظر إليه؟ قال: فلمسه بيده، وقال: أحرير هو؟ قلت: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف إن أنا لبسته أخاف أن أكون مختالاً فخوراً ❁ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ❁ [الحديد: ٢٣].»

❁ وهذه أبنتهم، وما فيها من خفة مؤنة وكلفة.

(١) وإسناده حسن لأجل هلال بن خباب صدوق تغيّر بأخرة؛ كما قال الحافظ في «التقريب». قلتُ: وللحافظ الذهبي في «السير» (٢٣٤، ٢٣٥ / ٣) تعليق مائع على هذا الأثر؛ فيقول: قلتُ: كل لباس أوجد في المرء خيلاء وفخراً، فتركه متعين ولو كان من غير ذهب ولا حرير؛ فإننا نرى الشاب يلبس الفرجية الصوب بفرو من أثمان أربع مئة درهم ونحوها، والكبر والخيلاء على مشيته ظاهرة؛ فإن نصحته ولمته برفق كابر وقال: ما في خيلاء ولا فخر. وهذا السيد ابن عمر يخاف على نفسه.. ثم قال: وأين مثل ابن عمر في دينه وورعه وعلمه، وتألهه وخوفه، من رجل تعرض عليه الخلافة فيأبأها، والقضاء من مثل عثمان فيرده، ونيابة الشام لعلّي فيهرب منه؛ فالله يجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من ينيب. اهـ.

ففي «صحيح البخاري» برقم [٦٣٠٢] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «رأيتني مع النبي ﷺ بنيتُ بيدي بيتًا يُكْنِي^(١) من المطر ويظلني من الشمس ما أعاني عليه أحدٌ من خلق الله»^(٢).

❁ وبرقم [٦٣٠٣] عنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «والله ما وضعتُ لَبَنَةً على لَبَنَةٍ ولا غرسْتُ نخلة منذ قبض النبي ﷺ». قال سفيان: فذكرته لبعض أهله قال: «والله لقد بنى بيتًا. قال سفيان: قلت: فلعله قال قبل أن يبنى»^(٣).

وفي «الزهد» لأحمد ص [٢٣٩] بسندٍ صحيح عن مجاهد قال: «كنتُ أمشي مع ابن عمر فمر على خربة. فقال [لي]: قل: يا خربة! ما فعل أهلك؟ فقلت: ما فعل أهلك؟ [ثم جذبني] فقال: ذهبوا [والله] وبقيت أعمالهم». ما بين المعكوفتين جاء عند أبي داود في «الزهد» رقم [٣٢٣].



(١) من أكن إذا وقى. وقال أبو زيد الأنصاري: كُنْتَهُ وأكْنْتَهُ بمعنى. أي: سترته وأسررته. «الفتح» (٩٦/١١).

(٢) قال الحافظ: هو تأكيد لقوله: «بَنَيْتُ بيدي»، وإشارة إلى خفة مؤنته.

(٣) قال الحافظ: وهنا اعتذار حسن من سفيان راوي الحديث.

زهد عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو أبو محمد وأبو عبد الرحمن القرشي، أحد من هاجر هو وأبوه قبل الفتح، وأبوه عمرو بن العاص، وقد كان من أيام النبي ﷺ صَوَّامًا قَوَّامًا تَالِيًا لكتاب الله طَلَابَةً لِلْعِلْمِ (١).

ففي «الصحيحين» خ [٣٤١٨] وفي مواضع كرقم [١٩٧٥] وم رقم [١١٥٩] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخبر رسول الله ﷺ أنني أقول: والله لأصومن النهار ولأقوم من الليل ما عشت، فقال له رسول الله ﷺ: «أنت الذي تقول: والله لأصومن النهار ولأقوم من الليل ما عشت؟» قلت: قد قلت. قال: «إنك لا تستطيع ذلك. فصم وأفطر، وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر» فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فصم يومًا وأفطر يومًا. وذلك صيام داود وهو أعدل الصيام». قلت: إني أطيق أفضل منه يا رسول الله، قال: «لا أفضل من ذلك».

وفي رواية: «إن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا» وفي آخر الحديث: «فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ» (٢).

قال الحافظ (٢٥٨/٤): قال النووي: «معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله ﷺ فشق عليه فعله لعجزه، ولم يعجبه أن يتركه لالتزامه له، فتمنى أن قبل الرخصة فأخذ بالأخف». قلت: ومع عجزه وتمنيه

(١) «التذكرة» للذهبي (١/٤١)، و«الفتح» (٢٥٧/٤) تحت رقم [١٩٧٥].

(٢) وفي رواية لمسلم: قال فشددت فشد عليّ. قال: وقال لي النبي ﷺ: «إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر».

الأخذ بالرخصة لم يترك العمل بما التزمه؛ بل صار يتعاطى فيه نوع تخفيف؛ كما في رواية حصين المذكورة: «وكان عبد الله حين ضعف وكبر يصوم تلك الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض، ثم يفطر بعدد تلك الأيام فيقوى بذلك.

وكان يقول: لأن أكون قبلت الرخصة كان أحب إليّ مما عدل به، لكنني فارقت على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره»^١ هـ.

وقد بَوَّب النووي لهذا الحديث بقوله: «باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقاً».

وقد أخرج البخاري في «الصحيح» برقم [١٩٨٠]، ومسلم في «الصحيح» برقم [١١٥٩][١٩١] من حديث عبد الله بن عمر قال: «إن رسول الله ﷺ ذكر له صومي فدخل عليّ فألقيتُ له وسادة من آدم حشوها ليف، فجلس على الأرض وصارت الوسادة بيني وبينه... الحديث».

قال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٢٦٥): «فيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع وترك الاستئثار على جلسه، وفي كون الوسادة من آدم حشوها ليف بيان ما كان عليه الصحابة في غالب أحوالهم في عهده ﷺ من الضيق، إذ لو كان عنده أشرف منها لأكرم بها نبيه ﷺ».

وتدبر قصة زواجه وحاله مع زوجته:

كما في «صحيح البخاري» برقم [٥٠٥٢] عن عبد الله بن عمرو قال: «أنكحني أبي امرأة حسب، فكان يتعاهد كَتَتُهُ فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل، لم يَطَأْ لنا فراشاً ولم يُفْتَشْ لنا كَنَفًا منذ أتيناها، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ، فقال: «أُنْزِنِي بِهِ». فلقيتُهُ بعدُ، فقال: «كيف تصوم؟» قلت: أصوم كلَّ يوم. قال: «وكيف تختتم؟» قلت: كلَّ ليلة.. الحديث».

معاني:

- كنته: قال الحافظ: «بفتح الكاف وتشديد النون هي زوج الولد».

- لم يطأ لنا فراشاً: أي: لم يضاجعنا حتى يطأ فراشنا.

قال الحافظ: «وأرادت بذلك الكناية عن عدم جماعه لها، لأن عادة الرجل أن يدخل يده مع زوجته في دواخل أمرها. وفي رواية هشيم: «فأقبل عليّ يلومني فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعصلتها وفعلت، ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني».

- فلما طال ذلك؛ وكأنه تأنى في شكواه رجاء أن يتدارك. فلما تمادى على حاله خشي أن يلحقه إثم بتضييع حق الزوجة فشكاه». انتهى من «الفتح».

ومن أقواله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ما رواه وكيع في «الزهد» رقم [٢٠]، وأبو داود في «الزهد» [٢٨٦]، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٨٩ / ١)، عنه قال: «لو تعلمون من العلم لبكيتم - وفي رواية: لصرختم - حتى تنفد دموعكم، ولصليتم حتى تنقصم ظهوركم». وعزاه في «الدر» (٢٥٧ / ٤) [التوبة: ٨٢] لأحمد في «الزهد». وهو صحيح.



زهد مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مصعب المستشهد بأحد، كان أول الدعاة وسيد التقاة. سبق الركب، وقضى النخب، ورغب عن الترف، وغلب عليه الزهد والخوف.

وانظر إلى حاله وتدبر وخذ العبرة والعظة منه وتذكر حيث جاء الصحابة ليكفنوه فلم يجدوا ما يوارون به رأسه أو قدميه.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث شقيق قال: قال خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هاجرنا مع النبي ﷺ نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله؛ فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئاً^(٢) منهم مصعب بن عمير، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها، قُتِلَ يوم أحد فلم نجد ما نكفنه إلا بردة إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجله خرج رأسه، فأمرنا النبي ﷺ أن نُغطي برأسه، وأن نجعل على رجله من الإذخر.. وفي رواية: «وترك نمرة»، والنمرة: إزار من صوف مخطط أو بردة.

- أينعت: نضجت واستحقت القطف.

- فهو يهدبها: أي يجتنيها ويقطفها.

فمصعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مات قبل الفتوح؛ فلم يأخذ من عرض الدنيا شيئاً.

قال الحافظ في «الفتح» (٢٨٣/١١): «منهم من مات قبل الفتوح كمصعب بن عمير، ومنهم من عاش إلى أن فُتح عليهم؛ ثم انقسموا فمنهم من أعرض عنه وواسى

(١) البخاري (١٢٦٧، ٤٠٤٧، ٦٤٤٨)، ومسلم [٩٤٠].

(٢) كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتوح، وكأن المراد بالأجر: ثمرته؛ فليس مقصوراً على أجر الآخرة، الحافظ في الفتح. (١٧٠/٣).

به المحاوِيح أوْلاً فأوْلاً؛ بحيث بقي على تلك الحالة الأوْلى وهم قليلٌ. منهم أبو ذر. (وهؤلاء ملتحقون بالقسم الأوْلى).

❖❖❖ ومنهم: من تبسط في بعض المباح فيما يتعلق بكثرة النساء والسراري أو الخدم والملابس ونحو ذلك ولم يستكثر وهم كثير؛ ومنهم ابن عمر.

❖❖❖ ومنهم: من زاد فاستكثر بالتجارة وغيرها مع القيام بالحقوق الواجبة المندوبة وهم كثيرٌ أيضاً منهم عبد الرحمن بن عوف (وإلى هذين القسمين أشار خباب)، فالقسم الأوْلى؛ وما التحق به، توفّر له أجره في الآخرة، والقسم الثاني: مقتضى الخبر أنه يحسب عليهم ما وصل إليهم من مال الدنيا من ثوابهم في الآخرة؛ ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه: «ما من غازية تغزو فتغنم وتسلم إلا تعجلوا ثلثي أجرهم». الحديث. ومن ثمّ أثر كثيرٌ من السلف قلة المال وقنعوا به؛ إما ليتوفر لهم ثوابهم في الآخرة، وإما ليكون أقلّ لحسابهم عليه.

قال ابن بطال: «في الحديث ما كان عليه السلف من الصدق في وصف أحوالهم، وفيه أن الصبر على مكابدة الفقر وصعوبته من منازل الأبرار». انتهى.

ولك أن تتصور بأيّ شيء خرج به مصعب من الدنيا؟ برْدَةٌ قاصرةٌ لو غطيت بها رأسه بدت رجلاه والعكس! فهل استوقفنا هذا الموقف؟!



زهد ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وربيعة كان من الملازمين لخدمة رسول الله ﷺ؛ وله بأهل الصفة اتصال^(١)؛ وكان يبيت في حجرة النبي ﷺ.

✽ فعند أحمد في «المسند» برقم [١٦٥٧٩]^(٢) من حديث ربيعة بن كعب قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع، حتى يُصلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة، فأجلسُ ببابه إذا دخل بيته أقول: لعلها أن تحدث لرسول الله ﷺ حاجةً، فما أزال أسمعُه يقول رسول الله ﷺ: «سبحان الله، سبحان الله وبحمده، حتى أملّ، فأرجع أو تغلبني عيني، فأرقد». قال: فقال: لي يوماً لما يرى خفتي له وخدمتي إياه: «سلني يا ربيعة أعطك» فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله، ثم أعلمك ذلك. قال: فكفرت في نفسي، فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقاً سيكفيني ويأتيني، قال: فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي، فإنه من الله عز وجلّ بالمنزل الذي هو به، قال: فجئته، فقال: «ما فعلت يا ربيعة؟» قال: فقلت: نعم يا رسول الله، أسألك أن تشفع لي إلى ربك، فيعتقني من النار، قال: فقال: «من أمرك بهذا يا ربيعة؟» فقلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت: سلني أعطك، وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به، نظرت في أمري، وعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقاً سيأتيني، فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي.

قال: فصمت رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قال لي: «إني فاعلٌ فأعني على نفسك بكثرة السجود».

(١) «الحلية» لأبي نعيم (٣١/٢).

(٢) وسنده حسن لأجل محمد بن إسحاق وقد صرح بالتحديث فيه.

قلتُ: فانظر إلى همّ ربّعة؛ فلم يكن همُّ موجهًا لطلبِ أمر زائل من أمور الدنيا؛ ولكن جعل همّه للآخرة؛ وأصلُ القصة في «صحيح مسلم» [٤٨٩] عن ربّعة بن كعب الأسلمي قال: كنتُ أبيتُ مع رسول الله ﷺ فأتيتُه بوضوئه وحاجته؛ فقال لي: «سل» فقلتُ: أسألك مرافقتك في الجنة. فقال: «أو غير ذلك؟» قال: هو ذاك. قلت: «فأعني على نفسك بكثرة السجود».



زهدُ عتبة بن غزوان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

❦ فمن الزهاد الأخيار من الصحابة الأبرار: الزاهد في الإمرة والسلطان، التارك لولاية المدن والبلدان، سابع الإسلام والإيمان؛ أبو عبد الله عتبة بن غزوان.

استُغْفَى عن إمرة البصرة بعد أن كان أميراً عليها^(١).

له الخطبة المشهورة في تولي الدنيا وتصرمها (أي: قطعها) وفي تغير الأيام وتلوّنها.

ففي «صحيح مسلم» برقم [٢٩٦٧] من حديث خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإن الدنيا قد آذنت بصرم^(٢) وولّت حذاء^(٣)، ولم يبق منها إلا صُبابَةٌ كصُبابَةِ الإناء. يتصاها صاحبها^(٤).

وإنكم منتقلون منها إلى دارٍ لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه قد ذُكر لنا أن الحجر يُلقى من شفة جهنم، فيهبوي فيها سبعين عامًا لا يُدرك لها قعرًا. والله! لتملأن. أفعجبتم؟

ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يومٌ وهو كظيظ من الزحام. ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا^(٥) فالتقطتُ بردة فشققتها بيني وبين سعد

(١) «الحلية» (١/ ١٧١)، و«السير» (١/ ٣٠٤).

(٢) بذهاب وانقطاع.

(٣) سريعًا.

(٤) يشرب البقية الباقية في أسفل الإناء.

(٥) جرحت بسبب خشونة الورق الذي يأكلونه.

ابن مالك^(١)، فاتزرتُ بنصفها واتزر سعدُ بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحدٌ إلا أصبح أميراً على مصرٍ من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً. وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون آخر عاقبتها ملكاً. فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا».



(١) ابن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

زهد أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وأبو الدرداء؛ مشهور بكنيته؛ وهو عويمر بن قيس، أول غزواته غزوة أحد.

قال أنس: «مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء...»

البخاري [٥٠٠٤].

قال الحافظ^(١): «وكان عابداً».

فقد روي البخاري في «الصحيح» برقم [١٩٦٨] من حديث أبي جحيفة - وهب ابن عبد الله السوائي - قال: أخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فرار سلمان أبا الدرداء. فرأى أم الدرداء متبذلة^(٢) فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا^(٣)، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له^(٤): كل. قال: فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نم. فنام. ثم ذهب يقوم. فقال: نم. فلما كان من آخر الليل. قال سلمان: قم الآن. فصلياً. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه.

فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له.

فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان».

(١) في «التقريب».

(٢) تاركة لبس ثياب الزينة، وأم الدرداء هي خيرة بنت أبي حذرر صحابية بنت صحابي. «الفتح» (٢٤٨/٤).

(٣) وفي رواية: «ليس له في نساء الدنيا حاجة».

(٤) القائل: (سلمان).

قال الحافظ: «والحاصل أن سلمان - وهو الضيف - أبى أن يأكل من طعام أبي الدرداء حتى يأكل معه، وغرضه أن يصرفه عن رأيه فيما يصنعه من جهد نفسه في العبادة وغير ذلك مما شكته إليه امرأته» اهـ.

وهذا الحديث فيه أن التوسط في العبادة وعدم إجهاد النفس فيها لحدٍّ يوصل إلى الملل والسآمة وترك الحقوق والواجبات الأخرى هذا هو المشروع؛ وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليكم من الأعمال ما تطيقون» في قصة تسبقه.

وانظر إلى حال أبي الدرداء في وقت نصر الله فيه المسلمين وأعزهم ففرح المسلمون بنصر الله؛ لكن أبا الدرداء له حالٌ أخرى؛ كما في «الزهد» ص [١٧٦] لأحمد - ورجاله ثقات - من حديث جبير بن نفير قال: «لما فتحت قبرص، وفرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض؛ رأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي. فقلت: يا أبا الدرداء! ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره، بينما هي أمةٌ قاهرةٌ ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله عَزَّجَلَّ، فصاروا إلى ما ترى».

فانظر إلى ماذا يفكر هذا الصحابي الجليل؟!

إنه يفكر ويتأمل في هزيمة الأعداء وليس يفكر في نصرته المسلمين وإن كان هو في قرارة قلبه فرحاً مسروراً بعزة الإسلام والمسلمين ورفع مكانتهم؛ لكنه ظلّ مفكراً في أمرٍ ربما فات الكثيرين منا؛ ألا وهو: أن العزة لمن أقام شرع الله وتمسك بدينه، والذلة والهوان لمن تمرد على أوامره وأوامر رسله عَلَيْهِ السَّلَامُ. فيا خيبة هذا المتمرد!!

فأمة لها السيادة والريادة والعزة والملك والسلطان لكنها تركت أوامر الملك القهار الديان سوف يؤول أمرها إلى الذلة والصغار والهوان، ولا يهلك على الله إلا هالك.

«وجعل الذل والصغار على من خالف أمري». كلمات نبوية صادقة. ف(ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره). كلمات من صحابي تربى على يد سيّد السادة والقادة وإمام الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه.

ومن أقواله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- ما رواه البخاري في «الصحيح» برقم [٦٥٠] من حديث أم الدرداء تقول: دخل عليّ أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: «والله ما أعرف من أمة محمد ﷺ شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً».

قال الحافظ: «ومراد أبي الدرداء أن أعمال المذكورين حصل في جميعها النقص والتغير إلا التجميع في الصلاة، وهو أمر نسبي؛ لأن حال الناس في زمن النبوة كان أتم مما صار إليه بعدها، ثم كان في زمن الشيخين أتم مما صار إليه بعدهما.

فياليت شعري إذا كان ذلك العصر الفاضل بالصفة المذكورة عند أبي الدرداء؛ فكيف بمن جاء بعدهم من الطبقات إلى هذا الزمان؟».

٢- وأخرج أبو داود في «الزهد» برقم [٢١٣] بسند حسن من حديث أم الدرداء قالت: «لما احتضر أبو الدرداء جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ لمثل يومي هذا، لمثل ساعتني هذه، من يعمل لمثل مضجعي هذا؟».

قالت: ثم يقول: ﴿وَنَقَلِبْ أَوْدَانَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طَعْنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، قال تمام الآية».

وأخرجه البيهقي في «الشعب» برقم [١٠١٨٤] (١٣/ ٢٠٠) ط. الرشد.



زهدُ أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

واسمه جندب بن جنادة على المشهور، أسلم قديماً بمكة؛ فكان رابع أربعة أو خامس خمسة^(١).

قال الذهبي في «التذكرة» (١٧/١): «جندب بن جنادة على الصحيح لأحد السابقين الأولين، أسلم في أول المبعث خامس خمسة، ثم رجع إلى بلاد قومه ثم بعد حين هاجر إلى المدينة.

وكان رأساً في العلم والزهد، والجهاد وصدق للهجة والإخلاص، وكان آدم جسيماً كث اللحية».

ثم قال الذهبي: «وكان لا يدّخر مالاً».

❖ قلتُ: ويشهد لهذا؛ ما رواه أحمد في «الزهد» ص [١٨٣] - بسندٍ رجاله ثقات^(٢) - عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن عبد الله بن الصامت قال: «كنتُ مع أبي ذر رَحِمَهُ اللهُ وقد خرج عطاؤه ومعه جارية له فجعل يقضي حوائجه. قال: ففضل معه؛ - قال: أحسبه قال: سبع - فأمرها أن تشتري بها فلوساً؛ فقلتُ: يا أبا ذر لو ادخرته لحاجة تنوبك ولضيف يأتيك. فقال: إن خليلي ﷺ عهد إليّ: «أَيُّمَا ذهب أو فضة أوكي عليه، فهو جمرٌ على صاحبه يوم القيامة حتى يفرغه إفراغاً في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ» أي: حتى ينفقه.

❖ وفي «الزهد» ص [١٨٣] أيضاً ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١/١٦١)، وابن أبي شعبة (١٣/٣٤٤)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» [٩٨] ومن طريقه البيهقي في

(١) «البداية» (٧/١٧١).

(٢) وفي سنده قتادة وهو مدلس وقد عنعن؛ هذا غاية ما يشوبه.

قلت: وأورده الذهبي أيضاً من طريق همام عن قتادة به؛ كما في «التذكرة».

«الشعب» (٣٧٧ / ٧) بإسنادٍ حسنٍ إلى أبي بكر بن المنكدر^(١) - وهو ثقة - قال: «بعث حبيب بن أبي مسلمة إلى أبي ذر - وهو أمير الشام - بثلاثمائة دينار قال: استعن بها على حاجتك. فقال أبو ذر رَحِمَهُ اللهُ: ارجع بها إليه، أما وجد أحدًا أغر بالله منا، مالنا إلا ظلُّ نتواري به، وثلة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها، ثم أنا أتخوف الفضل».

الفضل: يعني: الزيادة.

فكان لا يرضى بالزيادة، وإنما كان يقنع باليسير القليل الذي يقيم صلبه ويسدُّ جوعه، فرفض الدنيا ونفضها بيديه وهي آتيةٌ إليه قادمةٌ عليه، فرضي الله عنه وأرضاه، وحشرنا معه في جنات النعيم.

ومن أقواله:

ما رواه أبو داود في «الزهد» رقم [٢٠٤] بسندٍ رجاله ثقات. عنه قال: «والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون، ولو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم وما تقاررتم على فرشكم».

وأما ميراثه:

فروى أبو داود في «الزهد» برقم [٢٠٧] عن محمد بن سيرين قال: قلت لعبد الله بن الصامت «ما أورث أبو ذر؟ قال: أتأين، وعفوًا، وعبدًا، وأعزًا، وجمالًا».

قال أبو داود: «العفو: الحمار الصغير» ١.هـ.

والأتان: أنثى الحمار.

(١) وقد توبع من أخيه محمد بن المنكدر عند ابن أبي الدنيا، والبيهقي.

زهدُ عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو أبو نُجيد، أسلم عام خيبر.

❦ في «صحيح مسلم» برقم [١٢٢٦]، [١٦٧] عن مطرف قال:

قال لي عمران بن حصين: أحدثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به. ثم ساق الحديث فقال: «وقد كان يسلم عليّ حتى اكتويت فتركتُ، ثم تركتُ الكي فعاد».

يعني: كانت الملائكة تسلم عليه حين كان يلزم الصبر على ما ألم به من مرض، فلما اکتوى تركت الملائكة السلام عليك.

❦ قيل: كان به بواسير.

وفي رواية في الصحيح أيضاً:

قال مطرف: بعث إليّ عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه فقال: إني كنت أحدثك بأحاديث لعلّ الله أن ينفعك بها بعدي، فإن عشتُ فاكنتم عني: وإن مُتُ فحدث بها إن شئت. إنه قد سُلّم عليّ.. الحديث..

قال النووي (٢٠٦/٨): «ومعنى الحديث: أن عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت به بواسير فكان يصبر على ألمها، وكانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى، فانقطع سلامهم عليه، ثم ترك الكي فعاد سلامهم عليه»..هـ.

قلت: وقوى الحافظ في «الفتح» (١٠ / ١٦٤) حديثاً لعمران عند أبي داود في «السنن» رقم [٣٨٦٥]، وغيره قال: «نهى النبي ﷺ عن الكي، فاكتوينا، فما أفلحن ولا أنجحن».

قال الحافظ: «والنهي فيه محمول على الكراهية... وقيل: إنه خاصُّ بعمران؛ لأنه كان به الباسور، وكان موضعه خطرًا فنهاه عن كيه، فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح». وفيه فضلٌ من ترك الرقى والكِي، وأن هذا من كمال التوكل واليقين، وكان قد أنعم الله على عمران بتسليم الملائكة عليه حين اعتمد على الله وعلّق قلبه به وحده. وانظر: «فضائل الأعمال» (١/ ١٣١، ١٣٢) لشيخنا المغربي رَحِمَهُ اللهُ.

وقد استشهد الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ بهذا الحديث في زهد عمران رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ وساق آثارًا أخرى.

فمنها: ما رواه في «الزهد» ص [١٨٦] بسندٍ صحيح عن مطرف قال: «قلت لعمران بن الحصين رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ: إنه بلغني من عبادتك ما أرى من حالك. قال: لا تفعل. فَإِنَّ أَحَبَّهُ إِلَيَّ أَحَبَهُ اللهُ عَزَّجَلَّ».

فكان رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عابداً زاهداً ورعاً عالماً فقيهاً. وانظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٩).



زهدُ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام. مفتي المدينة في زمانه، قاله الذهبي في «تذكرته» (١/٤٣).

وقال: «كان آخر من شهد بيعة العقبة في السبعين من الأنصار، وحمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً نافعا، وله منسك صغير في الحج، أخرجه مسلم، وأراد شهودَ بدرٍ وشهودَ أحدٍ، فكان أبوه يخلفه على أخواته».

ولقد تزوج ثيباً لمصلحة أخواته وتربيتهن. فقدّم نفع إخوته على نفسه وترك الزواج بالأبكار. مع أن النفس تهوى شيئاً كهذا؛ لكنه أثر إخوته على إشباع رغبته.

❦ ففي «صحيح البخاري» رقم [٥٣٦٧] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «هلك^(١) أبي وترك سبع بنات - أو: تسع بنات - فتزوجتُ امرأةً ثيباً؛ فقال لي رسول الله ﷺ: «تزوجت يا جابر؟» فقلت: نعم. فقال: «بكرًا أم ثيبًا؟» قلت: بل ثيبًا. قال: «فهلّا جاريةً تلاعبها وتلاعبك؟ وتضاحكها وتضاحكك؟» قال: فقلت له: إن عبد الله هلك وترك بناتٍ، وإني كرهت أن أجئهن بمثلهن، فتزوجت امرأةً تقوم عليهن وتصلحهن. فقال: «بارك الله لك. أو قال خيرًا».

وأبو جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مات وعليه دين. كما في «صحيح البخاري» [١٣٥١].



(١) يعني: مات، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [جاثية: ٣٤].

زهدُ حَكِيمِ بنِ حَزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وكان قد أسلم عام الفتح ^(١). وكان من أشرف قريش. وعمته خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

✽ أخرج البخاري [٦٤٤١]، ومسلم رقم [١٠٣٥] من حديث حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثلاث مرات، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى».

قال حكيم: فقلت: يا رسول الله! والذي بعثك بالحق لا أرزأ بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا.

لا أرزأ: أي: لا أنقص ماله بالطلب منه. «الفتح» (٣/ ٣٣٦).



(١) كما في «التقريب»، وقاله ابن القيم في «الزاد» (٥/ ١٣٩)، والذهبي في «السير» (٣/ ٤٤).

زهدُ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو: أبو عبد الرحمن، من كبار علماء الصحابة؛ كان عالماً بارزاً في التفسير.
وكانت امرأته زينب تتصدق عليه؛ كما في «الصحيحين» البخاري (١٤٦٢، ١٤٦٦)،
ومسلم رقم [١٠٠٠].

وروى أبو داود «الزهد» برقم [١٥٨] من حديث أبي عثمان النهدي قال: زعم
أنه كان يجالسه بالكوفة - يعني: ابن مسعود. قال: فبينما هو يوماً في صفة له وتحتة فلانة
وفلانة امرأتان ذواتا منصب وكمال، وله منهما ولد كأحسن الولد، إذ سقسق على رأسه
عصفور ثم قذف ماء بطنه ^(١)، فنكته بيده، ثم قال: «والذي نفس عبد الله بيده، لأن
يموت آل عبد الله ثم أتبعهم، أحب إليّ من أن يموت هذا العصفور» ^(٢).

وهذا يدلُّ على رقة قلبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزهده في هذه الحياة، وعدم حب العيش فيها،
ليلتحق بإخوانه هناك في جنات النعيم، نسأل الله أن نكون جميعاً من أهلها.. آمين.



(١) يعني: مات.

(٢) وأخرجه أيضاً: أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٣)، ومن طريقه ابن عساكر (٣٣/ ١٧١).
قلت: وفي إسناده الجريري وهو سعيد بن إياس ثقة؛ لكنه اختلط قبل موته، ولكن الراوي عنه هو
إسماعيل بن عليه، وقد سمع منه قبل التغير، وعليه؛ فإن إسناده صحيح.

زهد أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

قد يعجب الكثير - منا - من زهد أم عبد الله عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، المباركة، والمبرأة من فوق سبع سموات، ولكن يزول العجب إذا علمت أنها الفقيهة العالمة التقية زوج سید الزاهدين نبينا الأمين محمد ﷺ؛ ففي «الزهد» لأحمد ص [٢٠٦] عن عروة قال: «رايتها تقسم سبعين ألفاً، وهي ترفع درعها». وأخرجه أبو داود في «الزهد» [٢٣٥]. وهو صحيح.

وتقدم كيف كانت بيوت أزواج النبي ﷺ من جريد النخل، مغشاة من خارج بمسوح الشعر مع ضيق حجرها.

وقال الحسن البصري: «كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان ابن عفان فأتناول سقفها بيدي» وسبق.

قلت: ويتضح من الأثر الأول أن الحال الذي كان عليه هؤلاء البررة؛ كأمثال عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين لم يكن حال اضطرار؛ بل كان عندها من المال الذي تنفقه في اليوم قرابة سبعين ألفاً^(١)، وهي مع ذلك تختار لنفسها مثل هذا الحال فترقع درعها. ذلك؛ لأنهم باعوا هذه الحياة الرخيصة بالحياة الدائمة؛ حياة الخلود والنعيم المقيم.

وفي «الزهد» لأحمد ص [٢٠٥] عن هشام عن أبيه قال: قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وددت أني كنت نسياً منسياً» وهو عند أبي داود في «الزهد» [٣٣٢١] وهو صحيح^(٢). وعنده: «يا ليتني». وفي «الزهد» لأحمد ص [٢٠٦] أنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَرَّتْ بشجرة فقالت: «يا ليتني كنت ورقة من ورق هذه الشجرة». وهو منقطع بين عائشة والراوي عنها وهو إبراهيم بن يزيد التيمي. وانظر: «جامع التحصيل» ص [١٤١].

(١) وقد ثبت أن أباهما أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان نحلها عشرين وسقاً من ماله بالغابة - موضع على بعد بريد من المدينة في طريق الشام - كما في «الموطأ» لمالك ص [٥٧٦]. «كتاب الأقضية».

(٢) وقد استدركت؛ فقد روي ذلك البخاري في «الصحيح» برقم [٤٧٥٣].

جدة أنس بن مالك مليكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١) وحصير

لها قد اسود من طول ما لبس

روى البخاري في «الصحیح» برقم [٣٨٠] من حديث: إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك؛ أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعت له، فأكل منه، ثم قال: «قوموا فلأصل لكم».

قال أنس: «فقمْتُ إلى حصير لنا قد اسودَّ من طول ما لبس، فنضحته بماء، فقام رسول الله ﷺ، وصففت واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلَّى لنا رسول الله ﷺ ركعتين، ثم انصرف».



(١) وفي كونها جدة أنس خلاف، وقد وردت روايات في كونها أم سليم والددة أنس بن مالك. قال الحافظ «الفتح» (١/٥٨٣): «قوله: عن أنس بن مالك أن جدته مليكة» هي بضم الميم تصغير ملكة، والضمير في «جدته» يعود على إسحاق، جزم به ابن عبد البر وعبد الحق وعياض، وصححه النووي وجزم ابن سعد وابن منده، وابن الحصار بأنها جدة أنس والددة أمه أم سليم، وهو مقتضى كلام إمام الحرمين في «النهاية» ومن تبعه، وكلام عبد الغني في «العمدة» وهو ظاهر السياق».

أحوال السلف مع الزهد

كان السلف الصالح من أزهد الناس في الدنيا، ولم يجعلوها إلا زادًا يبلغهم إلى الآخرة.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ^(١): «وهكذا كان حال العلماء الربانيين؛ كالحسن وسفيان وأحمد؛ اجتزءوا من الدنيا باليسير إلى أن أخرجوا منها، ولم يخلفوا سوى العلم. مع أن بعضهم كان يلبس لباسًا حسنًا، ويأكل أكلاً متوسطًا بعيدًا عن التقشف؛ كالحسن البصري، فإنه كان يأكل اللحم كل يوم، كان يشتري بنصف درهم لحمًا فيطبخه مرقّة طيبة فيأكل منه هو وعياله، ويُطعم كلّ من دخل عليه.

وكان يلبس الثياب الحسنة؛ وهو مع هذا أزهد الناس في الدنيا، وما زاحم على شيء منها قط. وكان الناس إذا دخلوا عليه خرجوا من عنده ولا يعدون الدنيا شيئًا، وما رأوا أشدّ احتقارًا لأهل الدنيا منه. وكانوا يدخلون عليه في مرضه يعودونه وليس في بيته إلا سرير مرمول، هو عليه، وليس في بيته قليل ولا كثير. حتى قال ابن عون: «إنما استبدّ الحسنُ الناسَ بالزهد في الدنيا، فأما العلم فقد شورك فيه».

وكان الحسن يقول: «إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، والراغب في الآخرة، المجتهد في العبادة، القائم بسنة محمد ﷺ. من رأى محمدًا فقد رآه غاديًا ورائحًا لم يضع لبنة على لبنة إنما رفع له علم فشمر إليه»^(٢).

(١) في رسالة «ورثة الأنبياء» (١/ ٥٣) وما بعدها؛ كما في «مجموع رسائل ابن رجب» لأخي الشيخ/ أبي مصعب حَظَّ اللهُ.

(٢) «زوائد الزهد» لعبد الله بن أحمد ص[٣٢٧]، ولا بأس بسنده.

وكان سفيان الثوري أشدَّ تقشفًا في ملبسه من الحسن، حتى كان من يراه ولا يعرفه يظنه من السُّؤال، وكان مع شدة ورعه إذا وجد الحلال أكل منه طيبًا، وإن لم يجد حلالًا استفَّ الرمل، وربما بقى ثلاثًا لا يطعم شيئًا مع عرضِ الناس عليه الأموال الكثيرة. وكان إذا شبع من الحلال يزيد في عمله ويقول: «أطعم الزنجي وكده».

وكان أزهّد الناس في الدنيا في زمانه؛ حتى كان يتعرى بمجلسه عن الدنيا، ولم تكن السلاطين والملوك والأغنياء أذلَّ منهم في مجلسه، ولا الفقراء والمساكين أعزَّ منهم في مجلسه، وكان الخوف قد غلب عليه، فلما مرض مرض الموت نُحِلَّ ماؤُه إلى طيب؛ فقال: «ليس لهذا دواء، هذا قد فتت الحزنُ والخوفُ كبده».

ويقال: لم يكن في زمانه من هو أخوف لله منه، ولا مَنْ هَيَّأَ الله في صدره أعظم منه. ولما مات قال بعض العلماء: «معشر أهل الهوى، كلوا الدنيا بالدين، فقد مات سفيان» يعني: ما بقى بعده أحد يستحيا منه.

وأما الإمام أحمد؛ فكان أشدَّ منهما تقشفًا في عيشه، وأكثر صبرًا على خشونة العيش للقلة، وكانت معيشتُه من حوانيت له ورثها من أبيه، ويأخذ أجرها في الشهر دون عشرين درهمًا، ومات ولم يخلف إلا قطعًا في خرقة له، كان وزنها نصف درهم، وترك عليه دينًا قضى عنه من أجرة حوانيته مع كثرة ما كان يرد عليه من الخلفاء من الجوائز والصَّلات.

وكان يحيى بن أبي كثير من العلماء الربانيين المتوسعين في العلم، وكان يقال: إنه لم يبق على وجه الأرض مثله، وكان حسن الثياب، حسن الهيئة، فلما مات خلف ثلاثين درهمًا كفنوه بها رَحِمَهُ اللهُ.

وكان محمد بن أسلم الطوسي من العلماء الربانيين الزهاد، فمات ولم يخلف سوى كساءه ولبده^(١)، فوضعوهما على نعشه، وإناء للوضوء تصدقوا به، فكان النساء

(١) اللبد: من البسط، كما في «اللسان».

على السطوح يقلن في جنازته: هذا العالم الذي خرج من الدنيا، وهذا ميراثه الذي على جنازته، ليس مثل علمائنا هؤلاء عبيد بطونهم؛ يجلس أحدهم للعلم ستين أو ثلاثاً فيشتري الضياع ويستفيد المال.

وقال العباس بن مرشد: سمعت أصحابنا يقولون: صار إلى الأوزاعي أكثر من سبعين ألف دينار من السلطان من بني أمية، فلما مات خلف سبعة دنائير بقيت بقية، وما كان له أرض ولا دار.

قال العباس: «نظرنا فإذا هو أخرجها في سبيل الله والفقراء».

وقد وصف الله سبحانه في كتابه العلماء بأوصاف منها:

- الخشية.

- والخشوع.

- والبكاء، كما سبق ذكره.

ومنها: احتقار الدنيا والتزهيد فيها؛ كما قال تعالى في قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مَثَلٌ مَّا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿[التَّحَصُّص: ٧٩-٨٠].

❖ وقيل للإمام أحمد: «إن ابن المبارك قيل له: كيف يُعرف العالم الصادق؟ فقال: الذي يزهد في الدنيا، ويقبل على أمر الآخرة. فقال أحمد: نعم، هكذا ينبغي أن يكون. وكان أحمد ينكر على أهل العلم حب الدنيا والحرص على طلبها».



زَهْدُ أُوَيْسَ الْقَرْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو أويس بن عامر القرني بفتح القاف والراء؛ سيدُ التابعين، كما قال الحافظ في «التقريب».

❦ وفي «صحيح مسلم» برقم (٢٥٤٢ / ٢٢٤) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن خير التابعين رجل يُقال له أويس...». الحديث.

وقصته بالتفصيل في الرواية التي بعد هذه؛ فروي مسلم (٢٥٤٢ / ٢٢٥) من طريق: أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم ابن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم. قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة. قال: نعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن. كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم. له والدة هو بها بر. لو أقسم على الله لأبره؛ فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفرت لي. فاستغفرت لي.

فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي. قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم. فوافق عمر. فسأله عن أويس. قال: تركته رث البيت قليل المتاع... الحديث، وفيه: ففطن له الناس، فانطلق على وجهه^(١).

قال أسير: وكسوته بردة.

فكان كلما رآه إنسان. قال: من أين لأويس هذه البردة؟».

معاني:

غبراء الناس: من لا يؤبه بهم. رث البيت: رديئة.

(١) قال ابن رجب: «وكان أويس وغيره من الزهاد إذا عرفوا في مكان ارتحلوا عنه». «شرح حديث ما ذئبان جائعان». (١/ ٨٨) «مجموع رسائل ابن رجب».

سعيد بن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سعيد بن المسيَّب بن حزن أبوه صحابي، وكان سعيد سيد التابعين في زمانه.
كان زاهداً رَحِمَهُ اللَّهُ؛ حتى قال سلام بن مسكين: «سمعت بأحد من الناس كان
أزهـد في الدنيا ولا أحسن تجملاً منه».
كما عند أبي داود في «الزهد» [٤٢٠].

عُروَةُ بن الزبير

هو أخو عبد الله بن الزبير بن العوام، وعُروَةُ عالم.
كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة.

وفي «الزهد» لأبي داود برقم [٤٤٢] من طريق هشام بن عروة عن عروة أنه: كان إذا
دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفاً، فإذا رجع إلى أهله فدهل الدار قرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ
عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٣) وَأَمْرُ أَهْلِكَ
بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طَلْحَا: ١٣١، ١٣٢].

قال: «الصلاة الصلاة رحكم الله». وهو صحيح.

وفي لفظ [٤٤٣] أنه قال: «إذا رأى أحدكم من زينة الدنيا وزهرتها، فليأت أهله
فليأمرهم بالصلاة، وليصطر عليها؛ فإن الله يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طَلْحَا: ١٣١]». ثم
قرأ إلى آخر الآية.



زهد الحسن البصري

هو أبو سعيد البصري؛ لازم الجهاد ولازم العلم والعمل؛ قال ابن سعد: كان جامعاً عالماً رفيعاً ثقة حجة مأموناً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً.. من بحور العلم، فقيه النفس، كبير الشأن، عديم النظر، مليح التذكير، بليغ الموعظة، رأس في أنواع الخير. «التذكرة» للذهبي (١/ ٧٢).

وفي «زوائد الزهد» لعبد الله بن أحمد ص [٣٣٤] بسند صحيح من حديث حماد ابن سلمة قال: تذاكروا عقل مطرف وورع ابن سيرين وعبادة مسلم بن يسار وزهد الحسن - قال: وقال يونس بن عبيد - يعني: حاضراً - فقال يونس - : قد اجتمعت هذه الخصال كلها في الحسن رَحِمَهُ اللهُ.

ومن أقواله:

ما في «الزهد» لأحمد ص [٣٤٣] بسند صحيح عن الحسن في قوله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢]؛ قال: «إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكلمتي؟ يقول: ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ فلا تراه إلا يعاتبها. وإن الفاجر يمضي قدماً فلا يعاتب نفسه».

زهد عمر بن عبد العزيز

أبو حفص الأموشي القرشي؛ ولد بالمدينة ونشأ في مصر؛ قال الذهبي: «وكان قانتاً لله أواهاً منيباً». «التذكرة» (١/ ١١٨). وقال: «وبعدله وزهده يضرب المثل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ». وقد عدّه الشافعي خامس الخلفاء الراشدين. لقد أتنه الدنيا فتركها^(١). وكان كثير البكاء.

(١) قاله مالك بن دينار؛ كما عند ابن أبي الدنيا في «الزهد» [٥٢٩]، وفي «ذم الدنيا» [٥٤٧]، ومن طريقه ابن الأعرابي في «الزهد والزاهدين» رقم [٥١]: «إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتنه الدنيا فآخرة فآها فتركها»، وأخرجه كذلك من طريقه البيهقي في «الزهد الكبير» [٤٤]، وابن عساكر من

وفي «الزهد» لأحمد ص [٣٦٥] من طريق: رجاء بن حيوة قال: «كان عمر بن عبد العزيز من أعطر الناس، وألبس الناس، وأخيلهم مشية، فلما استخلف قوّموا ثيابه اثني عشر درهماً من ثياب مصر كميته^(١) وعمامته وقميصه وقباه وقرطقه^(٢) وخفيه ورداءه» وسنده حسن.

وفيه أيضاً ص [٣٦٣] من طريق المغيرة بن حكيم قال: قالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز: «يا مغيرة إني أعلم أنه قد يكون من الناس من هو أكثر صلاة وصوماً من عمر، فأما أن أكون رأيت رجلاً أشدَّ فرقا من ربه عَزَّجَلَّ من عمر فإني لم أره، كان إذا صلى العشاء الآخرة ألقى نفسه في مسجده، فيدعو ويبكي حتى تغلبه عينه، ثم ينتبه ويدعو ويبكي حتى تغلبه عينه، فهو كذلك حتى يصبح»^(٣). وسنده صحيح.

زهد سعيد بن جبير

وهو كوفي؛ قال الذهبي في «التذكرة» (١/ ٧٦): «قتله الحجاج قاتله الله».

روى أحمد في «الزهد» ص [٤٤٤] بسند حسن؛ من طريق بكير عتيق قال: «أتيت سعيد بن جبير بقدر فيه شربة عسل فشربه، ثم قال: والله لا تسكن عني هذه. قلت: لم؟ قال: إني شربته واستلذذت به». ورواه هناد في «الزهد» رقم [٦٩٣].



طريقه في «تاريخه» (٤٥/ ٢٠٨، ٢٠٩).

(١) القلنسوة.

(٢) القباء.

(٣) وفي رواية: «أن فاطمة قالت له: ما يبكيك وقد صرت خليفة للمسلمين. فقال عمر بصوت حزين: يا فاطمة إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، فتبكي فاطمة وهي تقول: اللهم أعذه من النار».

أسبابٌ معينةٌ على الزهد

مما يدفع إلى الزهد في الدنيا؛

تذكر سير الصالحين وزهدهم

فذلك مما يجلب للعبد الزهد ويعين عليه؛ وأعظم ذلك أن يذكر سيرة أفضل الخلق وأزهد الخلق نبينا محمد ﷺ وكيف كان عيشه، وكيف كان ملبسه، وكيف كان مسكنه، وقد تقدّم بيانٌ موجزٌ لتلك السيرة العطرة الكريمة.

ومن ذلك؛ الاطلاع على سير الصحابة ومن بعدهم:

فهذا عبد الرحمن بن عوف - وهو من أغنياء الصحابة - حين قدّم له الطعام تذكر إخوانه الأفاضل من الصحابة؛ كأمثال مصعب بن عمير، وهاك الحديث بذلك.

ففي «صحيح البخاري» برقم [٤٠٤٥] من حديث إبراهيم - وهو ابن عبد الرحمن ابن عوف - أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام^(١) - وكان صائماً - فقال: «قتل مصعب ابن عمير وهو خيرٌ مني، كُفّن في بردة، إن غُطيّ رأسه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه بدا رأسه. وأراه قال: وقتل حمزة وهو خيرٌ مني. ثم بسط من الدنيا ما بسط^(٢). أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا. وقد خشينا أن تكون حسناتنا^(٣) قد عَجَلَتْ لنا. ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام».

(١) في رواية أن الطعام كان خبزاً ولحماً؛ كما عند الترمذي في «الشمال».

(٢) يشير إلى ما فتح لهم من الفتوح والغنائم وحصل لهم من الأموال، وكان لعبد الرحمن من ذلك الحظ الأوفر. «الفتح» (٧/٤١٠).

(٣) في رواية: «طيباتنا».

قال الحافظ في «الفتح» (١٠/٤١٠): «وفي الحديث فضل الزهد، وأن الفاضل في الدين ينبغي له أن يمتنع من التوسع في الدنيا لئلا تنقص حسناته، وإلى ذلك أشار عبد الرحمن بقوله: خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت».

قال ابن بطال: «وفيه ينبغي ذكر سير الصالحين وتقليلهم في الدنيا، لتقل رغبته فيها. قال: وكان بكاء عبد الرحمن شفقاً أن لا يلحق بمن تقدمه».

ومما يدفع إلى الزهد:

تذكر أحوال أهل النار وهم في النار

فمما يسوقنا إلى الإقبال على الله، والزهد في الدنيا وفي ملذاتها وشهواتها تذكر عذاب أهل النار في الجحيم؛ والنار تلهب من غيظ وحنق على من عصى وأعرض عن آيات ربه.

فتذكر نداء أهل النار، وهم يقولون: ﴿يَمْلِكُ لِقَضِ عَيْنَايُكَ﴾ [الْجَنَّة: ٧٧].

فيأتيهم الجواب بعد ألف عام^(١): ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَنِكُوتٌ﴾. أي: مقيمون في النار وفي العذاب؛ قَالَ الْعَالِي: ﴿لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النَّبَا: ٢٣]، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٥٦].

وحينئذ يئسوا فلا صبر ينفع ولا جزع يدفع؛ يقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [الْزُحُر: ٢١]. وقرّر الله ذلك؛ فقال لهم: ﴿أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ نَعْمَلُونَ﴾ [الْطُّور: ١٦].

النار محيطه بهم؛ ومؤصدة عليهم: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [الْهُنَّة: ٨-٩].

(١) صحّ عن ابن عباس عند ابن جرير في «التفسير» (٥٩/٢٥)، وأسد بن موسى في «الزهد» برقم [٤]، وعزاه الحويني لابن جرير - كما مرّ - وعبد الرزاق في «تفسيره» وغيرهما.

﴿ فاذكر النار؛ واقرأ قول الله: ﴿ سَأَرْهُقُهُ، صَعُودًا ﴾ [الملك: ١٧]. قيل: جبل في جهنم يكلف صعوده؛ وقيل: عذابًا لا راحة فيه.

وارعو من «الغي» الذي في جهنم؛ يُقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات؛ وجروا وراء حطام الدنيا الفاني؛ قَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [برئ: ٥٩].

وانتبه لشرايهم: ﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٥٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ [الزَّكَاةِ: ٤٥-٤٦]، وطعامهم: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ شوك ﴿ لَا يَسْنُونُ وَلَا يَغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ [العنكبوت: ٦-٧]. ولباسهم: ﴿ قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ [الحج: ١٩]، ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرٍ ﴾ [الزَّهَرِ: ٥٠]. وفرشهم ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأنعام: ٤١]، نعوذ بالله من النار.

ومما يدفع إلى الزهد:

زيارة القبور

فزيارة القبور، ورؤية الموتى، والتفكير في أمرهم، وحالهم؛ مما يجلب تأثيرًا على قلب العبد وحياته وعيشه.

وفي «سنن ابن ماجه» برقم [١٥٧١]^(١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ؛ فزوروها؛ فَإِنَّهَا تَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَتَذَكِّرُ الْآخِرَةَ».

وأصله في «صحيح مسلم» برقم [٩٧٧] عن بريدة مرفوعًا؛ لكن بدون (فإنها تزهد في الدنيا)؛ وهو بهذا اللفظ لا يصح.

(١) وقد ضعفه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «ضَعِيفِ ابْنِ مَاجَهَ» ص [١١٩]. وقال في «المشكاة» برقم [١٧٦٩]: «سند ضعيف؛ وحسنه البوصيري؛ وفيه عنعنة ابن جريح».

لكن تذكر الآخرة يعينُ على الزهادة في الدنيا بلا شك ويُرفق القلب ويعينه على إرادة الله والدار الآخرة.

فمن أزهّد الناس في الدنيا:

من لم ينس المقابر والبلى، وترك أفضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يُعَدَّ غداً من أيامه وعدّ نفسه من الموتى ^(١).

فكفى بالموت مزهداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة؛ قال الحسن: «لقد فضح الموت الدنيا، لم يدع لذي لبّ فرحاً».

فدائماً يذكر الإنسان نفسه بالموت وبأهوال القبور والقيامة والنار.

وقرأ النبي ﷺ يوماً ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ؛ فقال: «يا ابن آدم ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت».

ويقول: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له».



(١) ورد ذلك في حديث أخرجه ابن أبي شيبة في «الزهد» من «المصنف» (٧ / ٧٧)؛ لكنه ضعيف.

ومما يدفع إلى الزهد في الحياة؛ المشاركة في ساحات القتال والجهاد في سبيل الله

فمن صدق في حب الدين وعزته ورفع رايته؛ ورغب في الشهادة ابتغاء مرضاة ربه كان ذلك دافعاً له على التقلل من الدنيا؛ بل وطرحها بالكلية من القلب شوقاً للقاء الرب؛ لأنه يؤمن بأن: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾؛ فهو يبيع نفسه لربه ليظفر بجنته؛ لينال رضوانه في جنات النعيم؛ قَالَ الْعَلَاءُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

وَقَالَ الْعَلَاءُ: ﴿بَنَاتُهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تَحْرِيفِ نُجُجِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٠-١١].

وتلك نماذج مختصرة لخيارٍ وأطهارٍ من صحابة رسول الله ﷺ باعوا الدنيا واشتروا الآخرة ببذل النفس والمهج في سبيل الله.

ففي «صحيح البخاري» برقم [٤٠٤٦] و«صحيح مسلم» برقم [١٨٩٩] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رجلٌ للنبي ﷺ يوم أحد: أرايت إن قُتِلْتُ أنا؟ فأين أنا؟ قال: «في الجنة»؛ فألقى تمراتٍ في يده، ثم قاتل حتى قُتل.

❖ وقريبٌ منها في قصة عمير بن الحُمام؛ كما في «صحيح مسلم» برقم: [١٩٠١] من حديث أنس: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر. وجاء المشركون. فقال رسول الله ﷺ: «لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه» فدنا المشركون. فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض». قال: يقول عمير بن الحُمام الأنصاري: يا رسول الله! جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم» قال: بخٍ بخٍ. فقال رسول الله ﷺ:

«ما يحملك على قولك: بخٍ بخٍ؟» قال: لا والله! يا رسول الله! إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها» فأخرج تمراتٍ من قرنه. (أي: جعبة السهام). فجعل يأكل منهن. ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة؛ قال: فرمى بما كان معه من التمر. ثم قاتلهم حتى قُتل.

❁ وفي سنن النسائي (٦٠ / ٤) بسندٍ صحيحٍ من حديث شداد بن الهاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فأمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك. فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة؛ غنم النبي ﷺ سبيًا. فقسم وقسم له. فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسمٌ قسمه لك النبي ﷺ. فأخذه، فجاء به النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك؟» قال: ما على هذا اتبعتك؛ ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا (وأشار إلى حلقه) فأموت؛ فأدخل الجنة؛ فقال: «إن تصدق الله يصدقك».

فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو. فأتى به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه» ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدّمه فصلّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك».

فهذا الصحابي الفاضل ما جعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه ولم يركن إلى حطامها الزائل وما أسلم منذ أسلم من أجل غنيمة يغنمها أو دنيا يحرص عليها: «ما على هذا اتبعتك» ما على مالٍ.. ما على متاعٍ.. ما على دنيا فانية قاتلتُ معك وصاحبتك!!

فانظر - أعانني الله وإياك - كيف كانت الآخرة أكبر همه وكيف زهد الدنيا ونبذها من قلبه؟ قال هذا الأعرابي الصادق: «اتبعتك على أرمى إلى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم، فأموت فأدخل الجنة».

على أن هذه الكلمات ليست دعاوى فارغة كما هو حال كثير منا في تلك الأزمان، بل إنه يعي مقولته، ولذلك وثق بها؛ فقاتل حتى قُتل؛ فهل أحب الدنيا وركن إليها منذ أسلم؟! هل طمع في غنائم يحصلها من وراء القتال؟

أبدًا ما فكر في شيء من ذلك، وإنما أثر الباقي على الفاني، وأثر الآخرة الباقية على الدنيا الزائلة.

فكر في جنة عرضها السموات والأرض.. فأعدّها من يومه بإخلاص، ونزع الدنيا بحطامها من قلبه بصدق؛ ابتغاء وجه ربه الأعلى.

فأتى به إلى النبي ﷺ يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «صدق الله فصدقه». ثم كفنه ﷺ في جبهته، ثم قال النبي ﷺ: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدًا، أنا شهيدٌ على ذلك». فهل هناك أعظم من ذلك؟ لا والله.

وفي «الصحيحين» البخاري [٤٠٤٨]، ومسلم [١٩٠٣] من حديث أنس بن مالك: أن عمه ^(١) غاب عن بدر؛ فقال: غبتُ عن أوّل قتال النبي ﷺ، لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرين الله ما أجدُّ (وعند مسلم: ما أصنع) فلقى يوم أحد. فهُزم الناس؛ فقال: «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني: المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون» فتقدم بسيفه، فلقى سعد بن معاذ؛ فقال: أين يا

(١) وهو أنس بن النضر، وفي رواية مسلم: قال أنس بن مالك: عمي الذي سُميت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا.

سعد؟؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد. فمضى فقتل. فما عُرف حتى عرفته أخته بشامةٍ أو ببنانه - وبه بضعٌ وثمانون: من طعنةٍ وضربةٍ ورميةٍ بسهم.

وفي رواية: ونزلت فيه هذه الآية: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الْجُرُف: ٢٣].

❁ وقد خرجوا للغزو في سبيل الله ولم يخطر ببالهم من ورائهم من النساء والأولاد والضيعات؛ لأن عندهم الثقة المطلقة برعاية وكفالة رب الأرض والسماءات فلم يكونوا قلقين.

ولم يلتفتوا إلى وساوس الشيطان حين يقول لمن خرج في طريقه للجهاد: تجاهد فتقاتل فتقتل فتتكح امرأتك، ويقسم مالك^(١).

وفي «صحيح البخاري» برقم [٤٠٥٣] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن أباه استشهد في يوم أحد وترك عليه ديناً وترك ست بناتٍ. فلما حضر جذاذ النخل. قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أحد وترك ديناً كثيراً. وإني أحب أن يراك الغرماء. فقال: «اذهب فبيدِرْ كل تمرٍ على ناحيةٍ»، ففعلت، ثم دعوته، فلما نظروا إليه كأنهم أُغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون - أطاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه ثم قال: «ادع لك أصحابك» فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدي أمانته، وأنا أَرْضَى أن يؤدي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى إخواني بتمرة، فسلم الله البيادر كلها، حتى إني أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ كأنها لم تنقص تمره واحدة.

(١) كما عند النسائي (٢٢، ٢١/٦)، وأحمد (٤٨٣/٣) من حديث سبرة بن أبي فاكه مرفوعاً. قلت: وله طريق عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣/٥) يقوِّيه؛ كما ذكرته في تحقيقي لـ «كيد الشيطان» لابن الجوزي ص [٣٢].

فانظر كيف عوّض الله والد جابر بعد استشهاده خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة، وسّع الله على أولاده فلم يضيعهم. وما تردّد لحظة في أن يخرج فيقاتل حتى يُقتل؛ لأنه يعلم أن الذي خلق لم يكن ليضيع. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وهذا هو نبينا محمد ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل» (١).

- لما يرى من فضل الشهادة -. وقد أرسل عبد الله بن المبارك إلى الفضيل بن عياض، وقد قعد للعبادة وانشغل بها عن الجهاد؛ فقال:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	تعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الكريهة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رُهج (٢) السنايك (٣) والغبار الأطيب.
ولقد أتانا عن مقال نبينا	قولٌ صحيح صادق لا يكذب.
لا يستوي غبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نارٍ تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميتٍ لا يكذب

بل قَالَ الْعَالِي: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٣) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿

[ال عمران: ١٦٩-١٧١]



(١) أخرجه البخاري [٢٩٧٢]، ومسلم [١٨٧٦].

(٢) الرهج: الغبار.

(٣) السنايك: السنايك من السيف طرف حليته.

ومما يُعين على الزهادة؛ الأركان الأربعة؛ الصلاة والزكاة والصيام والحج

❁ الصلاة؛ التي هي صلةٌ وثيقةٌ بين العبد وربّه تبارك وتعالى، وكان السلف ينصحون ويحرصون إذا شغلت الدنيا أحدهم دخل في الصلاة وأطال فيها ويخلو فيها بربه بعيداً عن الخلق وعن منغصات الحياة ومتاعها الفاني يتملّل فيها ويبكي ويتدلّل ويخضع للملك الجبار.

❁❁ وكذلك الزكاة؛ إما بالزكاة المفروضة، وإما بالتطوع، وهذا وذاك يجعل العبد ينخلع لله بهاله الذي يبذله - ابتغاء وجه ربه الأعلى - ونفسه رضيةً وصدره منشرحٌ، وهو يأخذ جزءاً من ماله يعطي حقاً للفقراء والمساكين أوجه الله عليه. مع أنه جُبِلَ على حب المال؛ كما قال العجّال: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [الْعَلَّامَاتِ: ٨]، وقال: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمٍّ﴾ [التَّحْنُوتِ: ٢٠]، ومع ذلك؛ يهجر هذه اللذّة ويتجرد منها، وربما أنفق كلّ ماله، وهو صحيح، كما أنفق أبو بكر الصديق كلّ ماله. وهذا إنما هو لزهد في الدنيا، وعدم ركونه إليها.

❁❁ وكذلك الصيام؛ فالعبد يترك الشهوات والملذات ويزهد فيها وهو قادرٌ على ارتكابها؛ لكنه يترك الطعام والشراب والشهوة - إما في صوم الفريضة أو التطوع - فيستجيب لأمر ربه في هذه العبادة العظيمة، ويتجرد عن كل ما تشتهيه النفس وتهواه برغبته واستطاعته.

❁❁ وكذلك الحج؛ عبادةٌ من نمطٍ مختلفٍ؛ عبادةٌ تستغرق زمناً ستة أيام أو خمسة؛ فيها تتغير أحوال الحجاج، فيتركون ما اعتادوه قبل ذلك من مسكنٍ هادئٍ ومأكّلٍ

مستلذ، وعيشه مختلفة، عما سبق في حياتهم؛ فيألفون جوًّا آخر وحياة أخرى يتربون فيها على الزهد في الدنيا.

❖ وكذلك؛ الاشتغال بالذكر دومًا؛ والأركانُ المتقدمة تحتوي على ذلك؛ بل أعظم مقاصد تلك الأركان هي إقامة الذكر والتمتع به، والاشتغال به يصرف العبد عن مشاغل الدنيا ويريح باله وقلبه ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرَّحْمَٰنُ: ٢٨].

❖ ويتلخص الزهد في أمور: المال والنساء والنوم والطعام والمسكن والملبس والرئاسة والثناء، فمن زهد في ذلك فهو الزاهد مع الرغبة في الآخرة، وصرف كلّ الهموم لها، وجعل الهم همًّا واحدًا؛ إنه هم المعاد مع الإخلاص في الزهد، والبعد عن الرياء، وامثال هدي رسول الله ﷺ في ذلك كلّهُ. أعاننا الله والمسلمين بتطبيق ذلك على الوجه الذي يرضيه.

❖ وأختم هذا الفصل بما قال ابن القيم في رَحْمَةِ اللَّهِ في «الفوائد» ص[١٠٧]: «لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا، إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول - النظر في الدنيا، وسرعة زوالها، وفنائها، واضمحلالها، ونقصها، وخستها، وألم المزاحمة عليها، والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص، والنغص، والأنكاد، وآخر ذلك الزوال، والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من همٍّ قبل حصولها، وهمٍّ في حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها.

فهذا أحد النظرين:

النظر الثاني - النظر في أمور الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما هاهنا؛ فهي كما

قال سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الْعَلَق: ١٧]؛ فهي خيراتٌ كاملة دائمة، وهي خيالات ناقصة متقطعة مضمحلة.

❁ فإذا تم له هذان النظران؛ أثر ما يقتضي العقل إثارة، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه.

فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا أثر الفاني الناقص كان ذلك، إما لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل. وكل واحد من الأمرين يدلُّ على ضعف الإيمان وضعف العقل والبصيرة، فإن الراغب في الدنيا الحريص عليها المؤثر لها، إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق، فإن لم يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق، فإن لم يصدق بذلك كان عادماً للإيمان رأساً، وإن صدق بذلك ولم يؤثره كان فاسد العقل سيئ الاختيار لنفسه.

وهذا تقسيم حاضر ضروري لا ينفك العبد من أحد القسمين منه؛ فإيثار الدنيا على الآخرة؛ إما من فسادٍ في الإيمان، وإما من فسادٍ في العقل، وما أكثر ما يكون منهما.

ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم، وأطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدوها سجنًا لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد ولو أرادوها لنالوا منها كلَّ محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب، فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردَّها، وفاضت على أصحابه فأثروا بها، ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل.

من ثمرات الزهد وفوائده

فالزاهد يُحَصِّلُ أمورًا لا يُحَصِّلُهَا غَيْرُهُ؛ وَيَحْظِي بِفَضَائِلٍ يَصْعُبُ عَلَى الْمَرْءِ الْعَادِي أَنْ يَظْفَرَ بِهَا؛ وَمَنْ أَعْظَمَهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ:

- ١- محبة الله تعالى للعبد؛ فالزهد يثمر الطاعة والعبادة ومحبة الله والأنس به.
- ٢- الإخلاص؛ قال ابن تيمية في «المجموع» (١/ ٩٤): «لا يحصل الإخلاص: إلا بعد الزهد، ولا زهد إلا بتقوى، والتقوى: متابعة الأمر والنهي».
- فالزهد يدفع العبد إلى الإخلاص والصدق في الأقوال والأعمال والأحوال في غالب الأحيان، إلا من شذَّ وتظاهر بالزهد؛ فهذا لا شك بعيدٌ عن الإخلاص.
- ٣- ومن ثمراته: «أنه يقطع الطمع والجشع، وأصل الفساد والفجور يأتي من الطمع؛ والزهد يقطع مواده، ويفرغ البال، ويملا القلب، ويستحث الجوارح، ويذهب الوحشة التي بين العبد وبين ربه، ويجلب الأنس به، ويقوي الرغبة في ثوابه.
- فالزاهد أرواح الناس بدناً وقلباً، وأنعم الناس عيشاً، وأقرهم عيناً، وأطيبهم نفساً، وأفرحهم قلباً.
- فإن الرغبة في الدنيا تشتت القلب، وتبدد الشمل، وتطيل الهم والغم والحزن، فهي عذابٌ حاضر يؤدي إلى عذابٍ منتظر أشد منه.
- وتُفَوِّتُ عَلَى الْعَبْدِ مِنَ النِّعَمِ وَالثَّوَابِ أَضْعَافَ مَا يَرُونَ تَحْصِيلَهُ بِالرَّغْبَةِ فِيهَا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالطَّاعَةِ»^(١).

(١) «عدة الصابرين» ص (٢٢٦، ٢٢٧).

٤- يقطع حب الشئ والمدح:

قال ابن القيم^(١): «فصل: لا يجتمع الإخلاص في القلب، ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار، والضرب والحوث، فإذا حدثت نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس.

وأقبل على المدح والثناء فازهد فيها زهدَ عشاق الدنيا في الآخرة؛ فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الشئ والمدح؛ سهل عليك الإخلاص.

فإن قلت: وما الذي يسهل عليّ ذبح الطمع والزهد في الشئ والمدح؟

❖ قلت: أما ذبح الطمع؛ فيسهله عليك علمك يقيناً أنه ليس من شيء يطمع فيه إلا ويبيد الله وحده، خزائنه لا يملكها غيره، ولا يؤتى العبد منها شيئاً سواه.

- وأما الزهد في الشئ والمدح؛ فيسهله عليك علمك أنه ليس أحدٌ ينفع مدحه، ويزين، ويضر ذمه ويشين، إلا الله وحده....».

٥- مقتضى لمحبة الناس؛ فالاستغناء عن دنيا الناس موجب لمحبتهم وإكرامهم.

٦- والزهد من مرققات القلوب، ومتى ضجّت النفس لقلّة صبر على أمرٍ من أمور الدنيا، فاتل عليها أخبار الزهاد، فإنها ترعوي وتستحي وتنكسر إن كانت لها همة، وفيها يقظة؛ كما قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر» ص [٣٠٢].

٧- وبالجملة: بالزهد تصلح الأمة وتسعد؛ ففي «الزهد» ص [١٦]، والطبراني في «الأوسط» [٧٦٥٠]، والبيهقي في «الشعب» [١٠٨٤٥]، والخطيب في «تاريخه» (١٨٦/٧)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٠٦/٥)^(٢)، من حديث عبد الله بن عمرو

(١) في «الفوائد» ص [١٦٨] ط. العلمية.

(٢) قلت: وإسنادهُ يحتمل التحسين؛ كما قال المنذري وغيره.

قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلاحُ أولِ هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل».

وبالجملة؛ فبالزهد يُحَصِّلُ المرءُ خيرِي الدنيا والآخرة وعَزَّهما، نَسألُ اللهَ خيرَهما واللاحقَ بنبيِّنا محمدٍ ﷺ في جناتِ النعيمِ.

ويُعرفُ الزهدُ بـ:

- ١- بالرضا عن الله تعالى والقناعة؛ والقنوع هو الغنيُّ.
- ٢- ويعرف بانقطاع التعلق بالمخلوقين رجاءً وخوفاً.
- ٣- ويعرف بالصبر على الابتلاء والمصائب (فمن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب).
- ٤- ويعرف بعدم النظر لثناء أحدٍ من الناس أو لذمِّه؛ فإنه من عظمت الدنيا عنده اختار المدح وكره الذم وربما ترك كثيراً من الحق خشية الذم وفعل كثيراً من الباطل رجاء المدح؛ فهذه من علامات الزهد.
- ✽ والزاهد في مدح نفسه وتعظيمها كالزاهد في الرياسة؛ فمن أخرج من قلبه حب الرياسة في الدنيا والترفع فيها على الناس؛ فهو الزاهد.
- ✽ وكذا يستوي عند الزاهد إقبال الدنيا وإدبارها وزيادتها ونقصها كاستواء حال المصيبة وعدمها.

وقال العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٢٦٤ / ٢ / ٧): «وهذا إسنادٌ حسنٌ لغيره على الأقل؛ لأنَّ محمد بن مسلم وهو الطائفي - فيه كلام من قبل حفظه، وروى له مسلم متابعة على التحقيق، وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوقٌ مخطئ». قلتُ: «وقد أَمَنَّا خطأه بمتابعة ابن لهيعة الآتية، وقد روى الخطيب عن علي بن محمد بن بشار الجنابي - وهو أجمع من جمع - أنه ما سمع في «الزهد» أحسن من هذا الحديث...». انتهى.

أمور لا تقدر في الزهد

✽ السعي للكسب والمعيشة^(١)؛ فقد كان الأنبياء والصالحون يعملون ويتاجرون ويبيعون ويشتررون ولم يكن هذا قاذحاً في زهدهم بل كانوا أزهد الخلق.

✽✽ التجميل ولبس الثياب الحسنة إذا لم يؤثر ذلك على القلب ولم يطبع على الظاهر تكبراً؛ ومن ذلك اتخاذ الطيب والتطيب منه فقد كان هذا حال نبينا محمد ﷺ.

✽✽✽ إجابة الدعوات والمناسبات والخروج إلى الناس ومعاشرتهم والاحتكاك بهم والصبر على أذاهم.

✽✽✽ اتخاذ الأفراح والأعياد المشروعة التي حثَّ عليها الإسلام وأوصى بها الشرع.

✽✽ النوم بالليل والفطر بالنهار والنكاح.

فقد كان النبي ﷺ وسائر الأنبياء لهم زوجات وسراري، وجمهور الصحابة كانوا على الإكثار من ذلك.

قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر» ص (٢٦-٣٣): «.. فَإِنْ طَلَبَ التَّزْوِجَ لِلتَّعْبُدِ فهو الغاية في التعبد، وإن أراد التلذذ فمباح يندرج فيه من التعبد ما لا يحصى، من إعفاف نفسه والمرأة إلى غير ذلك.

(١) وإن قامت القيامة؛ فقد قال ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها» أخرجه أحمد (٣/ ١٩١). وسنده صحيح.

وقد أنفق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من عمره الشريف عشر سنين في مهر بنت شعيب^(١)، فلولا أن النكاح من أفضل الأشياء لما ذهب كثير من زمان الأنبياء فيه، وقد قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «خيار هذه الأمة أكثرها نساء»^(٢).. وأما المطعم؛ فالمراد منه تقوية البدن لخدمة الله عَزَّجَلَّ وحق على ذي الناقة أن يكرمها لتحملها، وقد كان النبي ﷺ يأكل ما وجد، فإن وجد اللحم أكله، وأحب الأشياء إليه الحلوى والعسل^(٣)، وما نقل عنه أنه امتنع عن مباح.

وإنما يكره الأكل فوق الشبع، واللبس على وجه الاختيال والبطر.

وقد امتنع أقوام بالدون من ذلك، لأن الحلال الصافي لا يمكن فيه تحصيل المراد. وإلا فقد لبس النبي ﷺ حلة.. فجاء أقوام؛ فأظهروا التزهد، واتبعوا طريقة زينها لهم الهوى، ثم تطلبوا لها الدليل، وإنما ينبغي للإنسان أن يتبع الدليل لا أن يتبع طريقاً ويتطلب دليلها؛ ثم انقسموا.

فمنهم: متصنعٌ في الظاهر، ليث الشرى في الباطن، يتناول في خلواته الشهوات وينعكف على اللذات، ويُري الناس بزيه أنه متصوفٌ متزهد، وما تزهد إلا القميص، وإذا نظر إلى أحواله فعنده كبر فرعون.

❖ ومنهم: سليم الباطن، إلا أنه بالشرع جاهل.

(١) في ذلك نظر؛ أي كونه شعيباً، وانظر: «روضة المشتاقين في فضائل الأنبياء والمرسلين» ص [٢٥١]

لكاتب هذه الأسطر - غفر الله له، وللمسلمين والمسلمات -.

(٢) انظر: البخاري [٥٠٦٩].

(٣) انظر: البخاري [٥٢٦٨]، ومسلم [١٤٧٤] [٢١].

❁❁ ومنهم من تصدّر وصنف، فاقتدى به الجاهلون في هذه الطريقة، وكانوا كعمى اتبعوا أعمى، ولو أنهم تلمحوا الأمر الأول الذي كان عليه الرسول ﷺ والصحابة لما زلّوا.

ولقد كان جماعة من المحققين لا يبالون بمعظم في النفوس إذا حاد عن الشريعة، بل يوسعونه لوّمًا.

❁ فنقل عن أحمد أنه قال له المروزي: ما تقول في النكاح؟ فقال: سنة النبي ﷺ، فقال: فقد قال إبراهيم. قال: فصاح بي. وقال: جئنا بُنيّات الطريق! ❁❁ وقيل له: إن سرّيّ القبطي. قال: لما خلق الله تعالى الحروف. وقف الألف وسجد الباء. فقال: «نقرّوا الناس عنه».

واعلم أن المحقق: لا يهوّله اسم معظم؛ كما قال رجلٌ لعلّي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على الباطل؟

فقال له: «إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله»^(١).

ولعمري أنه قد وقر في النفوس تعظيم أقوام، فإذا نقل عنهم شيء فسمعه جاهلٌ بالشرع قبله لتعظيمهم في نفسه؛ كما يُنقل عن أبي يزيد أنه قال: «تراعت^(٢) على نفسي، فحلفتُ لا أشرب الماء سنة». وهذا إذا صح عنه كان خطأ قبيحًا، وزلّة فاحشة؛ فقد سعى في أذى بدنه...

(١) وهذا كلامٌ نفيس؛ إذ إن كثيرًا من الناس يغترون بظواهر بعض الناس؛ فإذا ما زلَّ أحدٌ هؤلاء دافعوا عنه بالباطل - وإن كان الزلل في عقيدته - لأنهم عظموه وما عظموا الحق والله المستعان.

(٢) حمل نفسه ما لا تطيق.

وكذا ينقلون عن بعض الصوفية، أنه قال: سِرْتُ إلى مكة على طريق التوكل حافيًا فكانت الشوكة تدخل في رجلي فأحكها بالأرض ولا أرفعها، وكان عليّ مسح، فكانت عيني إذا آلمتني أدلكها بالمسح: فذهبت إحدى عيني.

وأمثال هذا كثير وربما حملها القصاص على الكرامات، وعظموها عند العوام، فتخايل لهم أن فاعل هذا أعلى مرتبة من الشافعي، وأحمد.

ولعمري إن هذا من أعظم الذنوب، وأقبح العيوب، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال النبي ﷺ: «إِنْ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»^(١)، وقد نقل عن قدماء هذه الأمة بدايات هذا التفریط، وكان سببه عن وجهين:

أحدهما - الجهل بالعلم.

الثاني - قرب العهد بالرهبانية.

وقد كان الحسن يعيب فرقدًا السبخي، ومالك بن دينار في زهدهما، فرئى عنده طعام فيه لحم، فقال: لا رغيفي مالك، ولا صحنني فرقد، ورأى على فرقد كساء، فقال: يا فرقد إن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية. وكم قد زوق قاص مجلسه بذكر أقوام، قد خرجوا إلى السياحة بلا زاد ولا ماء، وهو لا يعلم أن هذا من أقبح الأفعال! وأن الله تعالى لا يجرب عليه، فربما سمعه جاهل من التائبين، فخرج فمات في الطريق، فصار للقاتل نصيب من إثمه.

(١) حديث صحيح، وقد تقدم في قصة سلمان مع أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكم يروون عن ذي النون: أنه لقي امرأة في السياحة فكلمها وكلمته، وينسون الأحاديث الصحاح: «لا يحل لامرأة أن تسافر يوماً وليلة إلا بمحرم»^(١)! وكم ينقلون: أن أقواماً مشوا على الماء، وقد قال إبراهيم الحربي: لا يصح أن أحداً مشى على الماء قط! فإذا سمعوا هذا قالوا: أتتكرون كرامات الأولياء الصالحين؟ فنقول: لسنا من المنكرين لها، بل نتبع ما صح؛ والصالحون هم الذين يتبعون الشرع، ولا يتعبدون بأرائهم. وكم يحثون على الفقر حتى حملوا خلقاً على إخراج أموالهم، ثم آل بهم الأمر إما إلى التسخط عند الحاجة، وإما إلى التعرض بسؤال الناس.

وكم تأذى مسلم بأمرهم الناس بالتقليل! وقد قال النبي ﷺ: «ثَلْثُ طَعَامٍ، وَثَلْثُ شَرَابٍ، وَثَلْثُ نَفْسٍ»^(٢). فما قنعوا حتى أمروا بالمبالغة في التقليل، فحكى أبو طالب المكي في «قوت القلوب»: أن فيهم من كان يزن قوته بكرمة رطبة، ففي كل ليلة يذهب من رطوبتها قليل، وكنت أنا ممن اقتدى بقوله في الصبا، فضايق المعى، وأوجب ذلك مرض سنين؛ أفترى هذا شيء تقتضيه الحكمة، أو ندب إليه الشرع؟ وإنما مطية الآدمي قواه، فإذا سعى في تقليلها ضعف عن العبادة.

فإننا لو دخلنا ديار الروم، فوجدنا أثمان الخمر وأجرة الفجور، كان لنا حلالاً بوصف الغنيمة، أفترى حلالاً على معنى أن الحبة من الذهب لم تنتقل مذخرت من المعدن على وجه لا يجوز! فهذا شيء لم ينظر فيه رسول الله ﷺ أو ليس قد سمعت

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري [١٠٨٨]، ومسلم [١٣٣٩]، [٤٢١] عن أبي هريرة مرفوعاً.
(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (١٣٢/٤)، والترمذي [٢٣٨٠]، والنسائي في «الكبرى» [٦٧٣٨، ٦٧٣٩] من طريق عن يحيى بن جابر الطائي، عن المقدم بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وقال الحافظ في «الفتح» (٥٢٨/٩): «حديث حسن».

وقال ابن مفلح في «الآدب» (١٨٣/٣): «حديث صحيح له طرق»، قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» حديث [٤٧]: «وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها».

أن الصدقة عليه حرام؟ فلما تصدق على بريرة بلحم فأهدته^(١)، جاز له أكل تلك العين لتغير الوصف.

وقد قال أحمد بن حنبل: أكره التقلل من الطعام، فإن أقوامًا فعلوه فعجزوا عن الفرائض ثم يعجز عن مباشرة أهله وإعفافهم، وعن بذل القوى في الكسب لهم، وهذا صحيح؛ فإن المتقلل لا يزال يتقلل إلى أن يعجز عن النوافل ثم الفرائض، وعن فعل خير قد كان يفعله، ولا يهولنك ما تسمعه من الأحاديث التي تحت على الجوع، فإن المراد بها إما الحث على الصوم، وإما النهي عن مقاومة الشبع، فأما تنقيص المطعم على الدوام، فمؤثر في القوى، فلا يجوز^(٢).

ثم في هؤلاء المذمومين من يرى هجر اللحم، والنبى ﷺ كان يود أن يأكله كل يوم، واسمع مني بلا محاباة: لا تحتجنّ عليّ بأسماء الرجال، فتقول: قد قال بشر، وقال إبراهيم بن أدهم، فإن من احتجّ بالرسول ﷺ، وأصحابه رضوان الله عليهم أقوى حجة، على أن أفعال أولئك وجوه نحملها عليهم بحسن الظن.

وقد ذكرتُ بعض مشايخنا ما يُروى عن جماعة من السادات، أنهم دفنوا كتبهم فقلت له: ما وجه هذا؟ فقال: أحسن ما نقول أن نسكت، يشير إلى أن هذا جهلٌ من فاعله، وتأولت أنا لهم؛ فقلت: لعل ما دفنوا من كتبهم فيها شيء من الرأي، فما رأو أن يعمل الناس به.

(١) كما في «الصحيحين» [١٤٩٥ وم ١٠٧٤] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ أتى بلحم تُصدّق به على بريرة، فقال: «هو عليها صدقة، وهو لنا هدية».

(٢) وهذا كلامٌ في غاية الدقة والبراعة، فرحم الله أحمد بن حنبل، وابن الجوزي، على هذا التأصيل المهم.

ولقد روينَا في الحديث عن أحمد بن أبي الحواري: أنه أخذ كتبه فرماها في البحر، وقال: نعم الدليل كنت، ولا حاجة لنا إلى الدليل بعد الوصول إلى المدلول.

وهذا إذا حسنا به الظن قلنا: كان فيها من كلامهم ما لا يرضيه، فأما إذا كانت علوماً صحيحة، كان هذا من أفحش الإضاعة، وأنا وإن تأولت لهم هذا، فهو تأويل صحيح في حق العلماء منهم، لأننا قد روينَا عن سفيان الثوري: أنه قد أوصى بدفن كتبه، وكان ندم على أشياء كتبها عن قوم، وقال: حملني شهوة الحديث - وهذه لأنه كان يكتب عن الضعفاء والمتروكين - فكأنه لما عسر عليه التمييز، أوصى بدفن الكل.

وكذلك من كان له رأي من كلامه ثم رجع عنه، جاز أن يدفن الكتب التي فيها ذلك، فهذا وجه التأويل للعلماء.

فأما المتزهدون، الذين رأوا صورة فعل العلماء، ودفنوا كتباً صالحة لئلا تشغلهم عن التعبد، فإنه جهل منهم، لأنهم شرعوا في إطفاء مصباح يُضيء لهم، مع الإقدام على تضييع ما لا يحل.

ومن جملة من عمل بواقعة دفن كتب العلم: يوسف بن أسباط، ثم لم يصبر عن التحديث فخلط فعُدَّ في الضعفاء. أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا محمد بن المظفر الشامي قال: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي قال: حدثنا يوسف بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن عمرو العقيلي، قال: حدثنا محمد بن عيسى، قال: أخبرنا أحمد بن خالد الخلال، قال: سمعت شعيب بن حرب يقول: قلت: ليوسف بن أسباط: كيف صنعت بكتبك؟ قال: جئت إلى الجزيرة، فلما نضب الماء دفتها حتى جاء الماء عليها، فذهبت. قلت: ما حملك على ذلك؟ قال: أردت أن يكون الهم هماً واحداً. قال العقيلي: وحدثني آدم، قال: سمعت البخاري قال: قال صدقة: دفن يوسف بن أسباط كتبه، وكان بعد يغلب عليه، فلا يجيء كما ينبغي، وقال المؤلف: قلت: الظاهر أن هذه كتب علم ينفع،

ولكن قلة العلم أوجبت هذا التفريط الذي قصد به الخير، وهو شر، فلو كانت كتبه من جنس كتب الثوري، فإن فيها عن ضعفاء، ولم يصح له التمييز قرب الحال، إنما تعليقه بجمع المهم، هو الدليل على أنها ليست كذلك، فانظر إلى قلة العلم، ماذا تؤثر مع أهل الخير.

ولقد بلغنا في الحديث عن بعض من نعظمه ونزوره، أنه كان على شاطئ دجلة، فبال ثم تيمم، فقليل له الماء قريب منك، فقال: خفت أن لا أبلغه، وهذا وإن كان يدل على قصر الأمل، إلا أن الفقهاء إذا سمعوا مثل هذا الحديث تلاعبوا له، من جهة التيمم إنما يصح عند عدم الماء، فإذا كان الماء موجودًا كان تحريك اليدين بالتيمم عبثًا، وليس من ضرورة وجود الماء أن يكون إلى جانب المحدث، بل لو كان على أذرع كثيرة كان موجودًا، فلا فعل للتيمم، ولا أثر حينئذٍ.

ومن تأمل هذه الأشياء، علم أن فقيهاً واحداً - وإن قلَّ أتباعه، وخِفَتْ إذا مات أشياعه - أفضل من ألوف تتمسح العوام بهم تبركاً، ويشيع جنازتهم ما لا يحصى؛ وهل الناس إلا صاحب أثر نتبعه، أو فقيه يفهم مراد الشرع ويفتي به؟ نعوذ بالله من الجهل، وتعظيم الأسلاف تقليدًا لهم بغير دليل! فإن من ورد المشرب الأول رأى سائر المشارب كدرة، والمحنة العظمى مدائح العوام، فكم غرت؛ كما قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أبقي خفق النعال وراء الحمقى من عقولهم شيئاً. انتهى.

وتلك كلماتٌ وعباراتٌ من العلامة ابن الجوزي قلَّ أن تراها بهذا الرصانة، والمتانة، في كتاب آخر، ومن فهم هذا الباب فهو على خيرٍ عظيمٍ؛ نسأل الله التوفيق ووالسداد في الأمر كله.



التَّوَسُّطُ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا

قال ابن الجوزي في «صيده» ص (١٢٤-١٢٦):

«فصل: اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل والشرع، فمن ذلك حفظ ماله وطلب تنميته والرغبة في زيارته، لأنه سبب بقاء الإنسان ماله؛ فقد نهى عن التبذير فيه، ف قيل [له]: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النِّسَاء: ٥]، فاعلم أنه سبب لبقائه: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النِّسَاء: ٥]؛ أي: قوامًا لمعاشكم.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الْإِسْرَاء: ٢٩]. وقال عَجَّالِي: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الْإِسْرَاء: ٢٦]. وقال عَجَّالِي: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الْقُرْآن: ٦٧]، ومن فضيلة المال أن الله تعالى قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البَقَرَة: ٢٤٥].

وقال عَجَّالِي: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥]. وقال عَجَّالِي: ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٢]، وقال عَجَّالِي: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ [الْحَدِيد: ١٠]، وجعل المال نعمة، وزكاته تطهيرًا؛ فقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التَّوْبَة: ١٠٣]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»^(١).

وقال: «ما نَفَعَنِي مَالٌ كَمَالِ أَبِي بَكْرٍ»^(٢). وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخرج إلى التجارة ويترك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا ينهائهم عن ذلك، وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأن أموت بين شعبي جبل أطلب كفاف وجهي أحب إلي من أن أموت غازيًا في سبيل الله.

(١) تقدّم. وهو صحيح.

(٢) صحيح؛ أخرجه الترمذي في «السنن» [٣٦٦١]، وابن ماجه [٩٤]، وأحمد (٢/٢٥٣، ٣٦٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتَجَرَّونَ، ومن سادات التابعين سعيد بن المسيب؛ فمات وخلف مالا وكان يحتكر الزيت، وما زال السلف على هذا، ثم تعرَّض نواب كالمريض يحتاج فيها إلى شيء من المال فلا يجد الإنسان بُدًّا من الاحتيال في طلبته، فيبذل عرضه أو دينه، ثم للنفس قوة بدنية عند وجود المال، وهو معدود عند الأطباء من الأدوية، حكمة وضعها الواضع، وإنما نبغ أقوام طلبوا طريق الراحة فادعوا أنهم متوكلة، وقالوا: نحن لا نمسك شيئاً ولا نتزود لسفر، ورزق الأبدان يأتي، وهذا على مُضادة الشرع؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن إضاعة المال ^(١).

وموسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما سافر في طلب الخضر تزوّد، ونبينا ﷺ لما هاجر تزوّد، وأبلغ من هذا قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، ثم يدّعي هؤلاء المتصوفة بُغض الدنيا فلا يفهمون ما الذي ينبغي أن يبغض، ويرون زيادة الطلب للمال حرصاً وشرهاً، وفي الجملة؛ إنما اخترعوا بآرائهم طريقاً فيها شيء من الرهبانية إذا صدقوا، وشيء من البهجة إذا نصبوا شباك الصيد بالترهيد؛ فسموا ما يصل إليهم من الأرزاق فتوحاً.

قال ابن قتيبة في «غريب الحديث» في قوله ﷺ: «(اليد العليا)» ^(٢)؛ قال: هي المعطية، قال: فالعجب عندي من قوم يقولون هي الآخضة، ولا أرى هؤلاء القوم إلا قوماً استطابوا السؤال، فهم يحتاجون للدناءة، فأما الشرائع فإنها بريئة من حالهم... وقد نفر جماعة من المتصوفة خلقاً من الخلق من الكسب، وأوحشوا بينهم وبينه، وهو دأب الأنبياء والصالحين..

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري [٢٤٠٨]، ومسلم [٥٩٣]، عقب رقم [١٧١٥] عن المغيرة ابن شعبة مرفوعاً.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري [١٤٢٩]، ومسلم [١٠٣٣] عن ابن عمر.

وإنما طلبوا طريق الراحة، وجلسوا على الفتوح؛ فإذا شبعوا رقصوا؛ فإذا انهمض
الطعام أكلوا، فإن لاحت لهم حيلة على غنى أوجبوا عليه دعوة، إما بسبب شكرٍ أو
بسبب استغفار، وأطم الطامات ادعائهم أن هذا قربة، وقد انعقد إجماع العلماء أن من
ادعى الرقص قربة إلى الله تعالى كفر، فلو أنهم قالوا مباح كان أقرب حالاً، وهذا لأن
القرب لا تعرف إلا بالشرع، وليس في الشرع أمر بالرقص ولا ندب إليه».



شبهات والجواب عليها

الإعراض عن الأهل والأولاد بدعوى الزهد!!

س: هل من الزهد هجران الأهل والأولاد والأقارب خشية الوقوع في المحرمات

والشبهات؟

ج: أجاب شيخ الإسلام على مثل هذا في سؤال طُرح عليه وهو ما نصه^(١):
سئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ عن رجلٍ تفقه وعلم ما أمر الله به وما نهى عنه ثم تزهد وترك الدنيا والمال والأهل والأقارب والأولاد خائفًا من كسب الحرام والشبهات وبعث الآخرة وطلب رضا الله ورسوله، وساح في أرض الله والبلدان؛ فهل يجوز له أن يقطع الرحم ويسيح كما ذكر أم لا؟

فأجاب: الحمد لله وحده؛ الزهد المشروع هو: ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة وثقة القلب بما عند الله؛ كما في الحديث الذي في الترمذي^(٢): «ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق بما في يدك، وأن تكون المصيبة - إذا أصبت - أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك»؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [التَّيْدِ: ٢٣]، فهذا صفة القلب. وأما في الظاهر؛ فترك الفضول التي لا يستعان بها على طاعة الله من مطعم وملبس ومال وغير ذلك، كما قال الإمام أحمد: «إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وصبر أيام قلائل» وكان من عادته رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المطعم أنه لا يرد موجودًا ولا يتكلف مفقودًا، ويلبس من اللباس ما تيسر من قطن وصوف وغير ذلك وكان القطن أحب إليه، وكان إذا بلغه أن بعض أصحابه يريد أن يعتدي فيزيد

(١) في رسالة «الزهد والعبادة» [٧٣].

(٢) في «السنن» برقم [٢٣٤٠].

قلت: وسنده ضعيف. ورجَّح ابن رجب في «جامعه» [٢٨٩] وقفه.

في الزهد أو العبادة على المشروع ويقول: أينما مثل رسول الله ﷺ يغضب لذلك؛ ويقول: «إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدود الله تعالى». وبلغه أن بعض أصحابه قال: أما أنا فأصوم فلا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم فلا أنام، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فلا أكل اللحم؛ فقال ﷺ: «لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وأكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

فأما الإعراض عن الأهل والأولاد فليس مما يحبه الله ورسوله ولا هو من دين الأنبياء؛ بل قد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

والإنفاق على العيال والكسب لهم يكون واجباً تارة ومستحباً أخرى؛ فكيف يكون ترك الواجب أو المستحب من الدين. انتهى.

فالواجبات أو المستحبات لا يصلح فيها زهد ولا ورع، وأما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد والورع، وأما المباحات فيصلح فيها الزهد دون الورع؛ كما قرره ابن تيمية في «الفتاوى» (١٠/٦١٩)؛ ويبيّن ما يقع من بعضهم من غلط وخلط في هذا الباب فأزال التلبس؛ كما في «الفتاوى» (٢٠/١٥٠ - وما بعدها) فقال: «وقد يقع الغلط في الزهد من وجوه:

أحدها- أن قومًا زهدوا فيما ينفعهم بلا مضرة، فوقعوا به في ترك واجبات أو مستحبات، كمن ترك النساء واللحم، ونحو ذلك^(١)، وقد قال ﷺ: «لكني أصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وأكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

(١) او نظر: «الفتاوى» (١٠/٤٥٢، ٦٢٣).

وقال ابن الجوزي في «التلبس» ص [٤٠٧] ط. المدني: «كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعب، إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق، إنما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة الباطل، وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة؛ فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان، يبيت وحده، ويصبح وحده، ففاته الجماعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم...».

والثاني- إن زهد هذا أوقعه في فعل محذور، كمن ترك تناول ما أبيح له من المال والمنفعة، واحتاج إلى ذلك فأخذه من حرام، أو سأل الناس المسألة المحرمة، أو استشرف إليهم، والاستشراف مكروه.

والثالث- مَنْ زهد زهد الكسل والبطالة والراحة، لا لطلب الدار الآخرة بالعمل الصالح والعلم النافع، فإن العبد إذا كان زاهدًا بطالًا فسد أعظم فساد، فهو لاء لا يعمرن الدنيا ولا الآخرة؛ كما قال عبد الله بن مسعود: «إني لأكره أن أرى الرجل بطالًا ليس في أمر الدنيا ولا في أمر الآخرة، وهؤلاء من أهل النار».

وكما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن عياض ابن حمار عن النبي ﷺ قال: «وأهل النار خمسة - فذكر منهم - الضعيف الذي لا زير له، الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلاً ولا مالاً».

فمن ترك بزهد حسناتٍ مأمورًا بها كان ما تركه خيرًا من زهده، أو فعل سيئاتٍ منهيًا عنها، أو دخل في الكسل والبطالات، فهو من الأخسرين أعمالًا: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

❖ وَمَنْ زهد فيما يشغله عن الواجبات أو يوقعه في المحرمات فهو من المقتصدين أصحاب اليمين.

❖❖ ومن زهد فيما يشغله عن المستحبات والدرجات؛ فهو من المقدمين^(١) السابقين». انتهى المراد.

س: هل الزهد في الدنيا يُنافي الغنى؟

ج: قال في «عدة الصابرين» ص[٢٢٥]: «الزهد لا ينافي الغنى، بل زهد الغنى أكمل من زهد الفقير، فإن الغني زهد عن قدرة، والفقير زهد عن عجز، وما بينهما بعدٌ

(١) وقد تكون: «المقرين».

بعيد، وقد كان رسول الله ﷺ في حال غناه أزهد الخلق، وكذلك إبراهيم الخليل كان كثير المال، وهو أزهد الناس في الدنيا؛ وقد روى الترمذي في «جامعه»^(١) من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْثَقَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمَصِيبَةِ إِذَا أَنْتَ أَصَبْتَ بِهَا أَرْغَبَ فِي ثَوَابِهَا لَوْ أَنَّهَا بَقِيَتْ لَكَ». وسئل الإمام أحمد عن الرجل يكون معه ألف دينار؛ هل يكون زاهداً؟ قال: «نعم. بشرط أن لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت».

وقال بعض السلف: «الزاهد من لا يغلبُ الحلالُ شكره، ولا الحرامُ صبره»، وهذا من أحسن الحدود حقيقة مركبة من الصبر والشكر؛ فلا يستحق اسم الزاهد من لا يتصف بهما. فمن غلب شكره لما وسع عليه من الحلال، وصبره لما عرض له من الحرام فهو الزاهد على الحقيقة، بخلاف من غلب عليه الحلالُ شكره، والحرامُ صبره، فكان شكره وصبره مغلوبين؛ فإن هذا ليس بزاهد.

وسمعت شيخ الإسلام يقول: «الزهد تركك ما لا ينفعك، والورع تركك ما يضرك»؛ فالزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليدين منها^١. هـ. فالزاهد يجعل الدنيا في يده وليس يجعلها في قلبه؛ وهذا هو المراد.

(١) برقم [٢٣٤٠]، وسنده ضعيف، وأخرجه ابن ماجه [٤١٠٠].

قال الترمذي: «وعمر بن واقد منكر الحديث».

وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٨٦/١٠) بعد أن عزاه إلى الطبراني في «الأوسط»: «وفيه عمرو بن واقد وقد ضعفه الجمهور. وقال محمد بن المبارك: «كان صدوقاً» وبقي رجاله ثقات»، والحديث تقدم مراراً. وقد رواه أحمد في «الزهد» ص [٢٥]، من قول أبي مسلم الخولاني.

س: هل يكون العبد زاهداً إن زهد في الحرام خاصة ولم يزهد في فضول المباحات

كالطعام والشراب واللباس أم لا ؟

ج: قال ابن رجب في «جامع العلوم» ص [٢٩٢]: «على قولين:

أحدهما- أنه يستحق اسم الزهد بذلك، وقد سبق ذكر ذلك عن الزهري وابن عيينة وغيرهما.

والثاني- لا يستحق اسم الزهد بدون الزهد في فضول المباحات. وهو قول قول طائفة من العلماء العارفين وغيرهم.

حتى قال بعضهم: لا زهد اليوم لفقد المباح المحض.. وهو قول يوسف بن أسباط وغيره.

وفي ذلك نظر؛ وكان يونس بن عبيد يقول: وما قدر الدنيا حتى يمدح من زهد فيها.

ونقل عن أبي سليمان الداراني - بعد ذكره اختلاف أهل العراق في الزهد: «وأنا أذهب إلى أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله عَزَّجَلَّ».

وهذا الذي قاله أبو سليمان حسن وهو يجمع جميع معاني الزهد وأقسامه وأنواعه». انتهى.

س: هل الزهد واجبٌ على العبد ؟

ج: قال ابن تيمية في «الفتاوى» (٦٥١ / ٧): «الناس يتفاضلون في الإيمان؛

كتفاضلهم في شعبه، وكل إنسان يطلب ما يمكنه طلبه، ويقدم ما يقدر على تقديمه في الفاضل.

والناس يتفاضلون في هذا الباب:

❖ فمنهم: من يكون العلم أيسر عليه من الزهد.

* ومنهم من يكون الزهد أيسر عليه.

* ومنهم: من تكون العبادة أيسر عليه منهما.

فالمشروع لكل إنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير؛ كما قال العجاني: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا

أَسْطَعْتُمْ﴾ [التَّجَانُّنُ: ١٦].

وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدم ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر^١ هـ.

قلت: وقد قدّم ابن الجوزي مرتبة العلم مع التقوى على الزهد وحده؛ وإن شئت

فانظره في «صيد الخاطر» ص [١٢٩].



ذَمُّ الدُّنْيَا لِأَغْرَاضِ دُنْيَوِيَّةٍ لَيْسَ بِزَهْدٍ شَرْعِيٍّ

بَعْضُ النَّاسِ إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مَرَادُهُ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ رِبْحٍ وَكَسْبٍ وَتِجَارَةٍ سَبَّهَا وَلَعَنَهَا وَذَمَّهَا؛ وَهَذَا مَذْمُومٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ.

وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا لَطَلَبِ رَاحَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ عَاجِلَةٍ فَقَطْ ذَمٌّ وَلَمْ يَحْمَدْ أَيْضًا.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي «الْفَتَاوَى» (١٤٦/٢٠): «لَا حَمْدَ عَلَى تَرْكِ الدُّنْيَا لِغَيْرِ عَمَلِ الْآخِرَةِ»، وَقَالَ: «إِنْ مَجَرَّدَ الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا لَا حَمْدَ فِيهِ؛ كَمَا لَا حَمْدَ عَلَى الرِّغْبَةِ فِيهَا، وَإِنَّمَا الْحَمْدُ عَلَى إِرَادَةِ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ، وَالذَّمُّ عَلَى إِرَادَةِ الدُّنْيَا الْمَانِعَةِ مِنْ إِرَادَةِ ذَلِكَ».

وَقَالَ ص [١٤٨]: «إِنْ أَكْثَرَ الْعَامَّةُ إِنَّمَا يَذْمُونَهَا لِعَدَمِ حَصُولِ أَغْرَاضِهِمْ مِنْهَا، فَإِنَّمَا لَمْ تَصِفْ لِأَحَدٍ قَطْ، وَلَوْ نَالَ مِنْهَا مَا عَسَاهُ أَنْ يَنَالَ، ... وَهَؤُلَاءِ حَقِيقَةُ ذَمِّهِمْ لَهَا ذَمُّ دُنْيَوِيٍّ لِمَا فِيهَا مِنَ الضَّرَرِ الدُّنْيَوِيِّ؛ كَمَا يَذِمُّ الْعُقَلَاءُ التِّجَارَةَ وَالصَّنَاعَةَ الَّتِي لَا رِبْحَ فِيهَا، بَلْ فِيهَا تَعَبٌ، وَكَمَا تَذِمُّ مَعَاشِرَةٌ مِنْ يَضْرُكُ وَلَا يَنْفَعُكَ فِي التَّزْوِيجِ بَسِئَةُ الْخُلُقِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَعُودُ مُضِرَّتْهَا وَمَنْفَعَتُهَا إِلَّا إِلَى الدُّنْيَا أَيْضًا» ثُمَّ قَالَ ص [١٤٩]: «فَأَكْثَرَ ذَمَّ النَّاسِ لِلدُّنْيَا لَيْسَ مِنْ جِهَةٍ شَغَلَهَا لَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةٍ مَا يُلْحَقُهُمْ مِنَ الضَّرَرِ فِيهَا»^(١).

فَالزَّهْدُ الْحَقِيقِيُّ الْمَحْمُودُ أَنْ يَتْرَكَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَشْغُلُهُ عَنْ مَصْلَحَةِ الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَفِي كَلَامِ لَابْنِ الْقِيَمِ فِي «طَرِيقِ الْهَجْرَتَيْنِ» ص [٣٨٠] يَقُولُ فِيهِ: «الزَّهْدُ الْمَشْهُوبُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَنُوْعٍ عَجَزَ أَوْ مَلَامَةٍ وَسَآمَةٍ وَتَأْذِيَةٍ بِهَا وَبِأَهْلِهَا، وَتَعَبَ قَلْبِهِ بِشُغْلِهِ بِهَا؛ وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْمَزْهَدَاتِ فِيهَا؛ كَمَا قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَا الَّذِي أَوْجَبَ زَهْدَكَ فِي الدُّنْيَا؟

(١) وَانْظُرْ: «الْفَتَاوَى» أَيْضًا (٧/٦٥٢، ٦٥٣).

قال: قلة وفائها، وكثرة جفائها، وخسة شركائها، فهذا زهد ناقص، فلو صفت للزاهد تلك العوارض لم يزهد فيها بخلاف من كان زهده فيها لامتلاء قلبه من الآخرة، ورغبته في الله، وقربه، فهذا لا نقص في زهده، ولا علة من جهة كونه زاهداً.

❖ ووقفتُ على كلام آخر لشيخ الإسلام في «الفتاوى» (٦٥٢/٧) فقد قال: «ولهذا كان في المشرّكين زهاد، وفي أهل الكتاب زهاد، وفي أهل البدع زهاد، ومن الناس من يزهد لطلب الراحة من تعب الدنيا.

ومنهم: من يزهد لمسألة أهلها والسلامة من أذاهم.

ومنهم: من يزهد في المال لطلب الراحة.

إلى أمثال هذه الأنواع التي لا يأمر الله بها ولا رسوله، وإنما يأمر الله ورسوله أن يزهد فيما لا يحبه الله ورسوله ويرغب فيما يحبه الله ورسوله، فيكون زهده هو الإعراض عما لا يأمر الله به ورسوله أمر إيجاب ولا أمر استحباب؛ سواء كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً...».



متزهدون على غير هدى

مع فضل الزهد وشرف أهله إلا أن هناك ثلّةً من الناس لم يفهموا حقيقة الزهد والعمل به وبعضهم انتسب إليه تشويهاً للدين وصورة الشرع الخفيف.. إلخ، وهاك شيئاً من هذه الطرائق والمسالك المحدثّة في الزهد:

فهناك: قوم ما عرفوا الزهادة وما معناها حسبوا أن الزهادة؛ شتم الدنيا، وأكل النخالة، ولبس الصوف، وذم الأغنياء، ومدح الفقراء، وتضييع الأهل والأولاد، وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت (يعول).

وقوم آخرون أظهروا الزهد وقلوبهم مشحونة بالدنيا والتطلع إليها.

وقومٌ زعموا الزهد وقد رَوَّجوا على الحمقى والجهال فرَوَّوا لهم أحاديث متعلقة بالزهد وكذبوا فيها على رسول الله ﷺ يقولون: «نحن لا نكذب عليه ولكننا نكذب له» وكذبوا!!.

فهم قوم نسبوا أنفسهم إلى الزهد وقد أضروا بالدين.

وهؤلاء؛ كما قال القرطبي في «التفسير» (١/ ٨٠) [باب هل ورد في القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب] قال: «فحذار مما وضعه أعداء الدين وزنادقة المسلمين في باب الترغيب والترهيب، وغير ذلك، وأعظمهم ضرراً أقوامٌ من المنسوين إلى الزهد وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم، وركونا إليهم فضلوا وأضلوا»^(١).

وصنف من المنتسبين إلى الزهد بغير علم أذاهم الجهل إلى أن أبدعوا من تلقاء أنفسهم بدعاً، وحسبوا أن الزهادة في الدنيا؛ تجنب الأشياء فعلاً، والعزلة عن أهل

(١) وانظر: كلاماً لابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٩٢).

الدنيا، فضيعوا الحقوق، وقطعوا الأرحام، وجفوا الخلق، وأكفهروا في وجوه الأغنياء، وفي قلوبهم من شهوة الغنى أمثال الجبال الشاخات^(١). ولم يعلموا أن أصل الزهد موت الشهوات من القلب، فلما اعتزلوها بالجوراح اكتفوا به وحسبوا أنهم استكملوا الزهد حتى تأدى بهم الجهل إلى أن طعنوا في الأئمة الذين عرفوا بسعة المعاش وكثرة المال حتى عابوا على هؤلاء.

وزعموا هم أنهم هم المتوكلون على ربهم فتركوا السعي وزعموا أن الطلب شك وأن الرزق يأتي في وقته فقعدوا رفضاً للطلب والمكسب فضيعوا الأهلين والأولاد - كما سبق -^(٢).

وأقوام اجتهدوا في العبادة حتى تجاوزوا فيها السنة؛ والاعتدال والتوسط
مطلوب حتى في الأكل والشرب؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الْإِسْرَافُ: ٣١].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الْفَرَقَان: ٦٧]. وصحَّ عن ابن مسعود أنه قال: «اقتصادٌ في سنة خير من اجتهد في بدعة».

فقد تعمل قليل عمل؛ لكنه موافق للسنة فيقبل منك، وقد يؤديك اجتهدك إلى استحسان طريقة ما في عبادة من العبادات؛ كمن يجمع أفراداً يصلون معه ركعات من الليل دون رمضان، وكمن يجلس في حلقة من الحلقات التي تسبح وتذكر الله بطريقة

(١) قلتُ: والله درّ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ حين قال معلقاً على حديث لا يصح: «وقد عمل جماعة من المتصوفة والمتزهدين على هذا الحديث، الذي لا يثبت، وانفردوا في بيت الخلوة أربعين يوماً، وامتنعوا عن أكل الخبز، وكان بعضهم يأكل الفواكه ويتناول الأشياء التي تتضاعف قيمتها على قيمة الخبز، ثم يخرج بعد الأربعين، فيهدي ويتخيل إليه أنه يتكلم بالحكمة! ولو كان الحديث صحيحاً؛ فإن الإخلاص يتعلق بقصد القلب، لا بفعل البدن، فلله در العلم». «الموضوعات» (١٤٤/٣).

وقال قريباً من ذلك في «التلبس» ص [٢٨٦] ثم قال: «فالإخلاص عمل القلب».
(٢) انظر: «نوادير الأصول» (٢/٢٤٦).

وكيفية معينة خلاف ما كان عليه محمد بن عبد الله ﷺ؛ فمجازوة الحد في العبادة والزهد أمر مذموم إذا لم يأت من الشرع ما يؤيده.

وقد جاء في «الصحيحين» من حديث أنس قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ؛ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم؛ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا... أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أفصم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني».

فانتبه لذلك تفلح وتكن من الفائزين^(١).

*** فأي عبادة يريد صاحبها أن يتقرب إلى الله بها لا بد لها من شرطين:

الأول- الإخلاص.

الثاني- الاتباع.

لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

فلا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً صواباً، أحسن فيه صاحبه، ووافق فيه سنة النبي ﷺ.

(١) قال ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ١٠٠): «والمسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة، فالمهتدون من مشايخ العباد والزهاد يوصون باتباع العلم المشروع، كما أن أهل الاستقامة من العلم يوصون بعلمهم الذي يسلكه أهل الاستقامة من العباد والزهاد، وأما المنحرفون من الطائفتين فيعرضون عن المشروع: إما من العلم وإما من العمل؛ وهما طريق المغضوب عليهم والضالين».

وعليه كذلك:

فليس كلُّ أشعث أغبر يكون زاهداً حتى نراه متبعاً لهدي النبي ﷺ في أحواله ^(١) الظاهرة؛ ففي «صحيح مسلم» برقم [١٠١٥] من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ ذكر الرجل: «يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء؛ يا ربِّ يا ربِّ! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام! فأنى يستجاب لذلك».

فمع أن الرجل أشعث أغبر إلا أن أعماله فاسدة... كما أنه ليس الزاهد أن يكون الرجل ثائر الرأس غير نظيف؛ بل هو مأمور بالتجمل والنظافة؛ ففي «سنن أبي داود» برقم [٤٠٦٢]، والنسائي (١٨٣/٨) بسندٍ صحيح - وقد أعل ^(٢) - من حديث جابر أن النبي ﷺ رأى رجلاً شعثاً قد تفرّق شعره فقال: «أما كان هذا يجد ما يسكن به شعره»، ورأى رجلاً وعليه ثيابٌ وسخة فقال: «أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه». وقد تقدم قول النبي ﷺ: «إن الله جميل يحبُّ الجمال».

❖ كما أنه لا يُغتر بزهدٍ أحدٍ حتى يُعرض اعتقادهُ على عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين.

وهذا ينطلي على كثيرٍ من الناس حين يرون رجلاً يتصف بالزهد في الدنيا، ومجتهداً في العبادة، حسنَ الأخلاق، حسنَ السمّت والمظهر، يظهر عليه الخشوع، لكن الاعتقاد عنده مشوّبٌ فيتأثرون به ويقلّدونه ويتبعونه في انحرافه، فقد يرى بعضهم نفى القدر وهو

(١) ثم إن الزهد لا يكون باللباس والمنظر فحسب؛ بل هو من أعمال القلوب أكد، ولهذا كان أبو سليمان الداراني يقول: «لا تشهد لأحدٍ بالزهد فإن الزهد في القلب». «جامع العلوم» ص [٢٨٩].

فليس كل من لبس ثياباً رديئة مرقعة يُحكم عليه بالزهد، فكثيراً ما ترى في هؤلاء من يتعلق بالملخوقين أكثر من تعلقهم بالخالق سبحانه من مدّ الأيدي وسؤال الناس ونحو ذلك.

(٢) قلت (مصطفى): نعم هو معلوم.

عابدٌ زاهد، وقد يرى الخروج بالسيف على الأئمة والحكام وهو عابدٌ زاهد، وقد يعتقد اعتقاد الصوفيّة في الاتحاد والحلول وهو عابدٌ زاهد. ومنهم الزاهد الذي يزهد في تعلّم العلم بالكتاب والسنة، ومنهم الذي يكذب على رسول الله ﷺ وهو موصوفٌ بالزهد، ومنهم الضعيف السيئ الحفظ في الحديث، لكنه من أهل الزهد والعلم.

الخلاصة: أنه لا يغتر بأحدٍ ظاهره حُسْنُ السمْتِ والمظهر والخشوع والعبادة والزهد حتى تعرض معتقده - بل ومنهجه الذي يسير عليه في الدعوة - على منهج السلف الصالح واعتقادهم.

أقول هذا، مع أنه قد وقع في هذا المنزلق الخطير كثيرٌ من الناس؛ فقد اغتروا بمن قد وصفتُ وهم على غير المعتقد الصحيح، والمنهج السوي الذي سار عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وفي «تهذيب التهذيب» لأُمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وقال جعفر الطيالسي: سمعت ابن معين قال: سمعت من عبد الرزاق كلامًا استدلت به على ما ذكر عنه من المذهب^(١)، فقلت له: إن أستاذك الذين أخذت عنهم ثقات، كلهم أصحاب سنة: معمر، ومالك، وابن جريج، والثوري، والأوزاعي، فعَمَّنْ أخذت هذا المذهب؟

قال: قدم علينا جعفر بن سليمان، فرأيتَه فاضلاً، حسن الهدى، فأخذتُ هذا عنه».

- وهذا محمد بن كرام الذي تنتمي إليه فرقة الكرامية الضالة، قال عنه الذهبي في «الميزان»: «المبتدع شيخ الكرامية، كان زاهداً عابداً ربانياً».

(١) قال الحافظ في «التقريب» في ترجمة عبد الرزاق: «وكان يتشيع».

- وكذا عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة يذكر أيضًا بالعبادة؛ ومع ذلك جاء عنه أنه كان يشتم الصحابة ^(١).

- وقبل ذلك الخوارج؛ وصفهم النبي ﷺ بقوله: «يحقّر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم»؛ كما في في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري ^(٢).

وكان لهم بالقرآن دوي كدوي النخل، حتى إن أشقاهم عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ قال عنه الذهبي في «الميزان»: «كان عابداً قانتاً لله، لكنه ختم بشرّاً، فقتل أمير المؤمنين عليّاً متقرباً إلى الله بدمه بزعمه».

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٣٣/٧): «وقد قيل: إن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه، وكحلت عيناه، هو مع ذلك يقرأ سورة ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى آخرها، ثم جاءوا ليقطعوا لسانه، فجزع، وقال: إني أخشى أن تمرّ عليّ ساعة لا أذكر الله فيها، ثم قطعوا لسانه، ثم قتلوه، ثم حرقوه في قوصرة، والله أعلم» ^(٣).

فقد ترى في الشخص بساطة في تكاليف المعيشة، وقلة حظ من متاع الدنيا، ولا يلتفت إلى متاعها وحطامها، فتشعر بأنك أمام رجلٍ فذّ منقطع النظير؛ وهو مع ذلك منحرف في العقيدة؛ وقد تقدّم أن هذا وقع في طوائف شتى.

فمن هؤلاء - كما تقدم الخوارج؛ كانوا أعظم الناس زهداً ولكنهم في ضلالٍ وعمى فقد حملوا فكرًا منحرفاً، كالخروج على الأئمة والحكام مع التكفير بالمعصية واستحلال الدماء.

(١) «الميزان» (٣/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦/ ٦١٧) رقم [٣٦١٠]، ومسلم [١٠٦٤] وغيرهما.

(٣) انظر: «إعلان النكير» ص [٥٢، ٥١] لشيخنا أحمد حفظه الله.

❖❖ وكثير من جماعة التبليغ والدعوة ترى أكثرهم في غاية من الزهادة والعبادة لكنهم على غير هدى في كثير من المسائل العقدية كالتوسل وغير ذلك، ومنهجهم قائم على بدع متعددة كبدعة الخروج أياماً محددة والتزهد في العلم الشرعي وتعلُّم العقيدة ونحو ذلك.

❖❖ وجماعات من الشيعة والروافض، والشيعة معلومٌ فسقٌ، بل وكفر كثيرٍ من دعائهم وزعمائهم؛ كالخميني في هذا العصر.

ومن الشيعة قومٌ زهاد بدعتهم غير مفسقة، فترى في هذا الصنف نوع ديانة، وهم قلة، كما حكى عن بعضهم شيخ الإسلام في كثير من كتبه، وانظر مثلاً: «منهاج السنة» (٧/ ٢١٤، ٢٦٣).

❖❖ وجماعة من الصوفية - وقد تقدم شيءٌ عنهم - الذين يحكِّمون هواجسهم وخواطرم على الكتاب والسنة (يقولون: حدثني قلبي عن ربي).

وهذه الجماعة المتصوفة تزعم أنها في أعلى مقامات الزهد والعبادة.

ومع ذلك؛ فعندهم بدعٌ كثيرة محدثة في طريقة الزهد والعبادة.

فالزهد وحده لا يكفي في استقامة الشخص؛ بل لابد معه من اتباع لهدي خير العباد محمد ﷺ.

فكثيرٌ من الزهاد نحسبهم من الصادقين إلا أنهم سلكوا في زهدهم طريقةً غير مرضية على خلاف هدي سيد البشرية ﷺ.

فلا بد من الموافقة للكتاب والسنة في جميع الأعمال؛ وإلا ردت تلك الأعمال على وجه أصحابها؛ فقد قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

جعلنا الله وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات من المتبعين لهدي رسولنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه.

ومن شبهات المتصوفة المتزهدة: أنهم يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ويقولون: كلما كانت الأعمال أشق على النفس فهي أفضل، فكيف يردُّ عليهم؟

قال ابن تيمية في «الجواب الصحيح» (٤٤، ٤٣/٦): «يقال لهم: الجهاد أعظم مشقة من هذا كله؛ فإنه بذل النفس وتعريضها للموت، ففيه غاية الزهد المتضمن لترك الدنيا كلها، وفيه جهاد النفس في الباطن، وجهاد العدو في الظاهر».

ومن جهل الصوفية المتتسبين إلى الزهد؛ ما قاله شيخ الإسلام في «النبوات» ص [١٥٠] في معرض رده على المتفلسفة قال: «وهكذا يقول من يقول من مبتدعة أهل الزهد والتصوف إذا دخلوا في عبادات منهي عنها ومذمومة في الشرع قالوا: كان الصحابة مشغولين عنها بالجهاد، وكان النبي ﷺ يخاف أن يشتغلوا بها عن الجهاد».

ثم شرع شيخ الإسلام يردُّ عليهم بأنهم لم يعرفوا الصحابة مع نسبتهم إليهم ما لا يوافق إلا أهواءهم فابتدعوا أقوالاً باطلة ظنوا أنها هي أصول الدين لا يكون عالماً بالدين إلا من وافقهم عليها.

قلت: وقد أجاد وأفاد العلامة ابن الجوزي في بيان حالهم؛ فقال في «صيد الخاطر» ص [٢٥]: «تأملت أحوال الصوفية والزهاد فوجدت أكثرها منحرفاً عن الشريعة، بين جهل بالشرع وابتداع بالرأي، يستدلون بالآيات لا يفهمون معناها، وبأحاديث لها أسباب، وجمهورها لا يثبت» ثم أخذ يسرد شبههم.

وقال ص [٥٧]: «ولقد دخل المتزهدون في طرق لم يسلكها الرسول الله ﷺ ولا أصحابه، من إظهار التخشع الزائد في الحد، والتنوُّق^(١) في تخشين الملبس، وأشياء

(١) المبالغة. «اللسان» (١٠/ ٣٦٢).

صار العوام يستحسنونها، وصارت لأقوام كالمعاش يجتنون من أرباحها، تقبيل اليد، وتوفير التوقير، وحراسة الناموس، وأكثرهم في خلوته على غير حالته في جلوته.

وقد كان ابن سيرين يضحك بين الناس قهقهة، وإذا خلا بالليل، فكأنما قُتل أهل القرية.

فنسأل الله علماً نافعاً، فهو الأصل، فمتى حصل أوجب معرفة المعبود عزَّ وجلَّ، وحرَّك إلى خدمته بمقتضى ما شرعه وأحبه. وسلك بصاحبه طريق الإخلاص، وأصل الأصول: العلم، وأنفع العلوم؛ النظر في سيرة الرسول ﷺ وأصحابه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] هـ.

وقد يرأى المتزهد من حيث يشعر أو من حيث لا يشعر؛ قال ابن الجوزي أيضاً في «صيده» ص [٢٩٩]: «تأملت على مُتْزَهْدِي زماننا أشياء تدلُّ على النفاق والرياء وهم يدعون الإخلاص.

- منها: أنهم يلزمون زاوية فلا يزورون صديقاً، ولا يعودون مريضاً، ويدعون أنهم يريدون الانقطاع عن الناس اشتغالاً بالعبادة، وإنما هي إقامة نواميس ليشار إليهم بالانقطاع، إذ لو مشوا بين الناس زالت هيبتهم، وما كان الناس كذلك.

كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويشترى الحاجة من السوق، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتجر في البز، وأبو عبيدة بن الجراح يحفر القبور، وأبو طلحة أيضاً^(١)، وابن سيرين يغسل الموتى، وما كان عند القوم إقامة ناموس.

وأصحابنا يلزمون الصمت بين الناس، والتخضع والتماوت، وهذا هو النفاق؛ فقد كان ابن سيرين يضحك بالنهار وبين الناس ويبكي بالليل... إلى آخره».

(١) «كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة ما لا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء»، كما في «صحيح البخاري» [١٤٦١]، ومسلم [٩٩٨]، ومع ذلك أنفقها في سبيل الله عملاً بقوله: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّ﴾ [التوبة: ٩٢]، قال: وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله».

نصيحة للزهاد^(١)

الأعمال بالنيات، وَقَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿اللَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزَّهَادُ: ٣].

يا معشر المتزهدين؛ إنه - تعالى - يعلم السر وما خفى، أتظهرون الفقر في لباسكم، وأنتم تستوفون شهوات النفوس! وتظهرون التخاشع والبكاء في الجلوات دون الخلوات.

آه للمرائي من يوم ﴿وَحَصِلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (الْعَلَّامَاتُ: ١٠). وهي بالنيات.

فأفيقوا وتوبوا واستقيموا: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزَّهَادُ: ٥٦]، والزموا الجادة والطريق السوي في زهدكم، واجعلوه كزهد نبيكم والصحابه والتابعين، ولا تحيدوا فتركوا ما أحله الله لكم من طعامٍ أو نكاحٍ ونحو ذلك من الطيبات، وقد نهى نبيكم عن التبتل^(٢) والرهبانية^(٣).

ورفقا الله وإياكم لكل ما يحبه ويرضى...



(١) انظر: «صيد الخاطر» ص [٣٦٠].

(٢) انظر: «صحيح البخاري» [٥٠٧٤]، و«صحيح مسلم» [١٤٠٢]، وكذا «سنن الترمذي» [١٠٨٢].

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٢٢٦/٦)، وبرقم [٢٥٨٩٣] ط. شعيب مجلد [٤٣].

خاتمة؛ ومقالات

- ١- اعلم أن رزق الله لا يسوقه إليك حرصٌ حريص، ولا يردهُ عنك كراهية كاره.
 - ٢- ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى. «ترتيب صحيح الجامع» (٧٢ / ٤).
 - ٣- صلاح هذه الأمة في الزهد واليقين. «الصحيحة» [٣٤٢٧].
 - ٤- علامة الورع؛ الزهد في الدنيا، فمن تمسك بالزهد والورع بلغاه كل درجة رفيعة. ولكن الزهد الآن أصبح رواية، والورع تصنعاً - إلا من رَحِمَهُ اللهُ -.
 - ٥- ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس. «ترتيب صحيح الجامع» (٧٠ / ٤).
 - ٦- كم من مستقبل يوماً لا يستكمله.. وكم من مؤمل لغدٍ لا يدركه.
 - ٧- قال بعض السلف: الزاهد إذا رأى أحداً قال: هذا أفضل مني.
 - ٨- قال بعضهم:
- | | |
|----------------------|---------------------------|
| ما الدنيا بباقية لحي | وما حيُّ على الدنيا بباقي |
|----------------------|---------------------------|
- ٩- وقال آخر:
- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| يسر الفتى ما كان قدم من تقى | إذا علم الداء الذي هو قاتله |
|-----------------------------|-----------------------------|
- ١٠- وكان عمر بن عبد العزيز يقول:
- | | |
|------------------------------|----------------------------|
| أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم | وكيف يطيق النوم حيران هائم |
| فلو كنت يقظان الغداة لحرقت | مدامع عينيك الدموع السواجم |
| بل أصبحت في النوم الطويل وقد | دنت إليك أمور مفضعات عظامم |
| نهارك يا مغرور سهو وغفلة | وليلك نومٌ والبردي لك لازم |

يغرك ما يغني وتشغل بالمني كما غر باللذات في النوم حالم
ويشغل فيما سوف يكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

١١- اجعل الزهد والتقوى لباسك، والعلم والذكر كلامك.

١٢- ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك. لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع.

١٣- قال الفضيل بن عياض: «رغبة العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهده في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة».

١٤- تفتنى اللذائذ ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار.
يلقى عواقب سوء من مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار.

١٥- تزين بالزهد فما تزين الأبرار في الدنيا بمثل الزهد في الدنيا؛ فهو زينة المتقين سيهاهم في وجوهم من أثر السجود.

هذا؛ وأسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يرزقنا حُسْنَ الختام؛ إنه - تعالى - على كل شيء قدير،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين



الفهرست

الفهرس

٥.....	تقديم فضيلة الشيخ / محمد حسان
٨.....	تقديم فضيلة الشيخ / مصطفى العدوي
١٣.....	مقدمة المؤلف
٢١.....	تعريف الزهد
٢١.....	لغة
٢٢.....	واصطلاحاً
٢٥.....	من أقوال الصحابة في الزهد
٢٨.....	فضل الزهد وشرفه وحقيقته
٣٠.....	أفضل الزهد
	أبواب في الترغيب والحث على التزهد في الدنيا وبيان حقارتها وخستها إلا ما كان فيها
٣٨.....	من صالح الأعمال
٣٨.....	الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَالزُّهْدُ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ
٤٦.....	متاع الدنيا قليل، وظل زائل!!
٥٥.....	سؤال الله للعبد يوم القيامة عن المال
٦٠.....	اجعل همك هم المعاد
٦٣.....	رغبة النبي ﷺ عن طيبات الدنيا
٧١.....	تعوذ النبي ﷺ من فتنة الغنى وفتنة الفقر

- فَصَلُّ مِنْ أَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الزُّهْدِ ٧٤
- أَبْوَابُ فِي زُهْدِهِ ﷺ فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَطْعَمِ وَالْمَسْكَنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ٨٨
- زُهْدُهُ ﷺ فِي الْمَطْعَمِ ٨٩
- ظَهْوَرُ أَثَرِ الْجُوعِ عَلَى نَبِينَا ﷺ ٩٥
- رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ فِي جُوعٍ شَدِيدٍ تَسَبَّبَ فِي إِخْرَاجِ ثَلَاثَتِهِمْ مِنْ بَيْوتِهِمْ يَبْحَثُونَ
عَنِ الطَّعَامِ ٩٧
- رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِلَالٌ ٩٨
- زُهْدُهُ ﷺ فِي الْمَسْكَنِ ١٠٤
- صِفَةُ فِرَاشِهِ ﷺ ١٠٧
- اضْطِجَاعُهُ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ وَحَالُ بَيْتِهِ مِنَ الدَّخْلِ ١٠٨
- زُهْدُهُ ﷺ فِي الْمَلْبَسِ ١١١
- فَصَلُّ فِي بَيَانِ لِبَسِ الْمَرْقَعِ مِنَ الثِّيَابِ وَتَرْكِ التَّجَمُّلِ ١١٥
- أَبْوَابُ فِي زُهْدِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ١٢٠
- أَحَادِيثُ عَامَةٍ فِي زُهْدِ الصَّحَابَةِ ١٢١
- زُهْدُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٢٥
- زُهْدُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٢٨
- زُهْدُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٣٢
- زُهْدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٣٤
- زُهْدُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٣٦

- ١٣٨..... زهدُ عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ١٤١..... أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
- ١٤٤..... زهدُ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخبرُ أهلِ الصفة أضيافِ الإسلام
- ١٤٧..... زهدُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
- ١٤٨..... ابن عمر والمساكين
- ١٥١..... زهدُ عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ١٥٤..... زهدُ مصعب بن عمير
- ١٥٦..... زهدُ ربيعة بن كعب الأسلمي
- ١٥٨..... زهدُ عتبة بن غزوان
- ١٦٠..... زهدُ أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ١٦٣..... زهدُ أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ١٦٥..... زهدُ عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ١٦٧..... زهدُ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ١٦٨..... زهدُ حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ١٦٩..... زهدُ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ١٧٠..... زهدُ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ١٧١..... جدَّة أنس بن مالك واسمها: مليكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحصيَّرها قد اسود من طول ما لبس... ١٧١
- ١٧٢..... أحوال السلف مع الزهد
- ١٧٥..... زهدُ أويس القرني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- ١٧٦..... سعيد بن المسيب
- ١٧٦..... عروة بن الزبير
- ١٧٧..... زُهد الحسن البصري
- ١٧٧..... زهدُ عمر بن عبد العزيز
- ١٧٨..... زهد سعيد بن جبير
- ١٧٩..... **أسبابُ معينة على الزهد**
- ١٧٩..... مما يدفع إلى الزهد في الدنيا؛ تذكرُ سير الصالحين وزهدهم
- ١٨٠..... تذكرُ أحوالِ أهل النار وهم في النار
- ١٨١..... زيارة القبور
- ١٨٣..... مما يدفعُ إلى الزهد في الحياة المشاركة في ساحات القتال والجهاد في سبيل الله
- ١٨٨..... ومما يُعين على الزهادة؛ الأركان الأربعة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج
- ١٩١..... من ثمرات الزهد وفوائده
- ١٩٤..... أمورٌ لا تقدر في الزهد
- ٢٠٢..... التوسُّطُ في طلبِ الدُّنيا
- ٢٠٥..... **شبهاتٌ والجواب عليها**
- ٢٠٥..... الإعراض عن الأهل والأولاد بدعوى الزهد
- ٢٠٧..... هل الزهد ينافي الغنى
- ٢٠٩..... هل الزهد واجب على العبد
- ٢١١..... ذمُّ الدنيا لأغراض دنيوية ليس بزهد شرعي

٢١٣.....	متزهدون على غير هدى
٢٢٢.....	نصيحة للزهاد
٢٢٣.....	خاتمة ومقالات
٢٢٥.....	فهرس الرسالة